في رحاب العقيدة

باقر شريف القرشي

دار جواد الأئمة (ع)



مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

في

رحاب العقيدة

الطبعة الأولى
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

دار جواد الأئمة (ع)
بيروت - لبنان
ت - ١٣٧٣٧٣ /٠٣

في رحاب العقيدة

باقر شريف القرشي

دار جواد الأئمة (ع)
بيروت - لبنان


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْـراهِـيمَ وَآلَ عِـمْرانَ عَـلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

آل عمران ٣ : ٣٣ ـ ٣٤

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُـمْ تَطْهِيراً﴾ الأحزاب ٣٣ : ٣٣

﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَـوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ الشورى ٤٢ : ٢٣

الإهداء

إلى فقيد العلم والتقوى.. إلى من رافقته في حياته أخاً وصديقاً لم أرَ منه زلّة في القول، ولا خطلاً في العمل.. إلى الذي عشت في ذرى عطفه وكنف مودّته.. إلى الذي جسّد في سلوكه معي جميع مفاهيم الاخوة الصادقة، وكانت حياته في جميع أدوارها صفحة مشرقة بالبرّ والتقوى.. إلى الذي لم يغب عن فكري لحظة واحدة.. إلى الورع التقي الفقيه فقيد الإسلام أخي

سماحة حجّة الإسلام الشيخ هادي شريف القرشي

(نضّر الله مثواه)

راجياً الله تعالى أن يرفع ثواب هذا المجهود المتواضع لروحه الطاهرة

لئن غبت عن عيني وشطّ بك النوى ... فأنت بقلبي حاضر وقريب

خيالك في فكري وذكرك في فمي ... ومثواك في قلبي فأين تغيب

اللهمّ الهمني الصبر، وأجزل لي الأجر، فإنّك وليّ ذلك والقادر عليه



المقدّمة

هذه بحوث كنت قد نشرتها بين القرّاء وقد لاقت إقبالاً ورضاً منهم ، فقد ألقت الأضواء بصورة أمينة وجادّة على بعض معتقدات الشيعة التي تنسجم كلّ الانسجام مع الكتاب والسنّة ، وحكومة العقل ، ومن المؤسف أنّه قد اُلصقت بها بعض التهم التي هي بريئة منها ، اتّهمهم بها من لا حريجة له في الدين تقرّباً للسلطات الحاكمة في تلك العصور التي شذّت في سياستها وسلوكها عن المنهج الإسلامي ، ولم تكن هناك جبهة معارضة لها سوى الشيعة ، فقد حفل تاريخها بالثورات العارمة ضدّ الظلم والاستبداد والطغيان ، ومن ثمّ أوعزت السلطات الحاكمة إلى عملائها من وعّاظ السلاطين إلى تكفير الشيعة وإباحة دمائهم ، وإلصاق التهم الكاذبة بهم .

لقد كان ذلك سائداً في العصور المظلمة ، فما هو المبرّر لإثارة التهم الفاسدة والباطلة في هذه العصور التي تفتّحت فيها العقول ، وفتحت المعاهد والجامعات أبوابها ، وظهرت الحقيقة ، وبان زيف الباطل .

وعلى أي حال ، فمن بين التهم الكاذبة التي يطبّل لها بعض المغرضين ، وهي :

١ ـ إنّ الشيعة اتّخذت الأقراص التي يسجدون عليها في صلواتهم والمأخوذة من تربة سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه‌السلام ، اتّخذوها صنماً يعبدونها من دون الله تعالى ، وهو اتّهام رخيص ، فإنّ الشيعة إنّما تسجد عليها لا لها ؛ لأنّها أُخذت من أطهر بقعة على وجه الأرض ، وقد أُثر عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله وعن أئمّة الهدى أنّ السجود في الصلاة إنّما يكون على الأرض أو ما أنبتت ، والتربة الحسينيّة قطعة من الأرض ، فلذا تسجد عليها

الشيعة ، وقد ألّفت رسالة موجزة أوضحت فيها ذلك ، وقد طُبعت غير مرّة ، وقد أسميتها (السجود على التربة الحسينيّة عند الشيعة) .

٢ ـ ومن التهم الفاسدة التي أُلصقت بالشيعة القول بتحريف القرآن ، وقد فنّدت ذلك في رسالة موجزة أسميتها (سلامة القرآن الكريم من التحريف) وقد طُبعت غير مرّة .

٣ ـ اتّهام الشيعة بالغلوّ في أئمّتهم ، وفنّدت ذلك في رسالة أسميتها (براءة الشيعة من الغلوّ والغلاة) ، وقد طُبعت .

٤ ـ ومن التهم الرخيصة التي أُلصقت بالشيعة أنّهم يذهبون إلى تكفير الصحابة أجمعين أكتعين ، وهو قول باطل لا أساس له من الصحّة مطلقاً ، وقد ألّفت رسالة في هذا الموضوع سمّيتها (الشيعة والصحابة) عرضت فيها إلى ضحالة هذا القول ، وقد طُبعت .

٥ ـ من الرسائل التي ألّفتها (أهل البيت في رحاب القرآن) ورسالة أُخرى (أهل البيت في السنّة النبويّة) عرضت فيهما إلى سموّ منزلة أهل البيت ﷺ وعظيم مكانتهم عند الله تعالى وعند رسوله ، وقد طُبعت هاتان الرسالتان .

وقد رغبت بعض دور النشر إلى طبعها جميعاً في كتاب واحد ، وقد أجزنا ذلك ، ورحّبنا بكلّ عمل يكون في خدمة أهل البيت ﷺ .

والله تعالى وليّ التوفيق

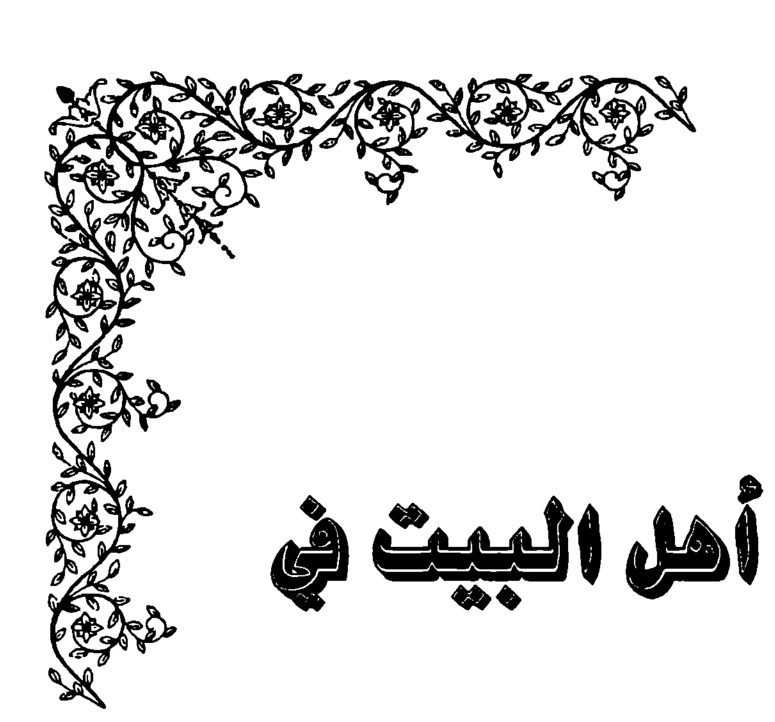
باقر شريف القرشي

١٧ / ربيع الأوّل / ١٤٢٦هـ

مناسبة مولد النبيّ الأعظم

وحفيده الصادق صلوات الله عليهما

الفهرس الإجمالي



أهل البيت في رحاب القرآن الكريم

تقديم



من مظاهر إعجاز القرآن الكريم أنّه يتحدّث بصيغه الحضارية عمّا يصلح الإنسان عبر الزمان والمكان كما يساير الطبيعة ، وسنن الكون ، لا يشذّ عنهما في أيّ مرحلة من مراحل تشريعاته الهادفة إلى تحقيق مجتمع أفضل في سلوكه وحقوقه وأمنه ورخائه .

لقد قنّن القرآن أرصدته الروحية والزمنية وفق ما يصلح الإنسان ، وتتطوّر به حياته ، وعالج جميع قضاياه وشؤونه بمنتهى الدقّة والحكمة ، وكان ممّا عنى به أنّه لاحظ بصورة موضوعيّة وشاملة عناصر الضعف في المجتمع الإسلامي ، فوصف لها بأرصدته السياسية ما يصلحها اصلاحاً كاملاً لا يبقى أثراً لأفانين الهزل والضعف فيها . كما أوضحتْ ذلك البحوث السياسية في الفقه الإسلامي .



لقد قدّم القرآن للمسلمين أعظم حصيلة رائعة في الحفاظ على قوّتهم وأصالتهم ودورهم التاريخي لقيادة أمم العالم وشعوب الأرض وتأسيس معالم الحضارة القائمة على حقوق الإنسان وتحرير إرادته وفكره .. فاهتمّ اهتماماً بالغاً بقيادتهم الروحية والزمنية التي هي المقياس في تقدّمهم وبناء حضارتهم فرشّح لقيادتهم أفضل من في

الأمّة سلوكاً وورعاً ، واحاطة بمجريات الأحداث وهم عترة رسول الله الطيّبون الذين هم من ألصق الناس به وأشبههم به في هديه والتزامه بحرفية الإسلام .



وفرض القرآن الكريم مودّة أهل البيت عليهم السلام على كلّ مسلم ومسـلمة بـصورة واضـحة لا تقبل الجدل ، ولا التأويل وجعلها جزءً من حياتهم العقائدية ، قال تعالى :

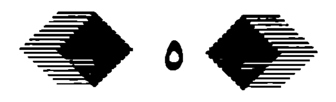
﴿ قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَىٰ ﴾ .

ومن أظهر صور المودّة والولاء لأهل البيت أن نكنَّ لهم في أعماق قلوبنا ودخائل نفوسنا الحبّ وأن نأخذ بما اثر عنهم من أحكام الدين وشؤون شريعة سيّد المرسلين .

وممّا لا شبهة فيه أنّ العمل بما جاء عنهم من أحكام الله مـبرء للـذمّة ومـجزٍ عـن الواقع ، كما صرّح بذلك شيخ الأزهر الشيخ سليم رحمه الله في مناظراته الرائعة مع قـداسـة الإمام شرف الدين قدس سره .



والشيء المحقّق أنّ أعظم خدمة تؤدّى إلى العالم الإسلامي هي نشر فضائل أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، وإذاعة مآثرهم التي هي صور حيّة لكلّ ما تعتزّ به الإنسانية من المبادئ الرفيعة ، والقيم العليا ، فقد تجاوزت فضائلهم حدود الزمان والمكان وأصبحت مناراً لشعوب العالم تبعث على استقامة الإنسان وتوازنه في سلوكه .



وليست في هذه البحوث أيّة دعوة إلى النعرات الطائفية التي مزّقت شمل المسـلمين

وألقتهم في شرّ عظيم . وإنّما فيها دعوة إلى التآلف ، وجمع الكلمة وإشاعة المودّة فهي تجمع ولا تشتّت ، وتوحّد ولا تفرّق .

ونحن ـ يعلم الله ـ من أحرص المسلمين على جمع كلمتهم ، وقد ألّفنا كوكبة من الكتب في الدعوة إلى التآلف ، ونبذ الحزازات والخصومات .. إنّنا في عصر قد تكالبت علينا القوى الاستعمارية ، وهي تريد أن تفرض علينا إسرائيل لنكون تحت نفوذها وسيطرتها أعاذنا الله منها وكفانا شرّها .



وأقتصر في هذه البحوث على الآيات النازلة في حقّ العترة الطاهرة من دون أن أعرض إلى ما روته الصحاح والسنن عن النبيّ صلى الله عليه وآله في فضلهم فإنّا سنقدّم ذلك إلى القرّاء بصورة مستقلّة آملاً من الله تعالى أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم .

إنّه تعالى وليّ القصد والتوفيق

مكتبة الإمام الحسن العامّة
النجف الأشرف

باقر شريف القرشي
٢٢ /ربيع الأوّل /١٤١٧هـ

مَنْ هم أهل البيت ؟

أمّا أهل البيت فهم أهل بيت النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن الرحمة، وخزان العلم، ومنتهى الحلم، وأبواب الإيمان، وأُمناء الرحمن، وسلالة النبيّين، ولهم في مدح الله تعالى غنىً عن مدح المادحين ووصف الواصفين.

فقد عصمهم من الزلل وآمنهم من الفتن، وطهّرهم من الدنس وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وجعلهم حججاً على بريّته، وأنصاراً لدينه، وأعلاماً لعباده، ومناراً في بلاده وأدلّاء على صِراطه.

وقد هام بولائهم حكيم المعرة أبو العلاء المعري وراح يقول في مدحهم:

وَالشُّخوصُ الَّتي أضاءَ سَناها ... قبلَ خَلقِ المرّيخِ والميزانِ[1]

قبلَ أن تُخلَق السَّمٰوات ... وتُؤمَر أَفلاكُهُنَّ بِالدَّورانِ[2]

إنّ أهل البيت عليهم السلام سفن النجاة وعدلاء الذِّكر الحكيم وملء فم الدنيا في فضائلهم وسموّ ذاتهم وعظيم شأنهم، وهم:

---

(١) أراد بالشخوص الإمام أمير المؤمنين وسيّدة النساء زهراء الرسول والحسن والحسين عليهم السلام.

(٢) سقط الزند.

الإمام علي ؑ

وهو أخو النبيّ ﷺ ، وأبو سبطيه ، وباب مدينة علمه ، ووارث حكمته ، وأمينه على شرعه ، ومَن كان منه بمنزلة هارون من موسى ، وهو صاحب المواقف المشهودة ، والمقامات المشهورة ، والأيام المذكورة يوم بدر الذي كان معظم النصر للإسلام على يده ، ويوم الأحزاب ، إذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنُّون بالله الظنون هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ـ كما تحدّث القرآن ـ بذلك فكان الإمام البطل البارز في تلك المعركة ، وقد كتب الله النصر لنبيّه بجهود الإمام وجهاده .

وفي واقعة أُحد لمّا انهزم المسلمون الهزيمة المنكرة ، وأحاط المشركون بالنبيّ ﷺ فكان الإمام يذودهم عنه بذات اليمين وذات الشمال حتى أنقذ الله نبيّه منهم فما أعظم عائدة الإمام على النبيّ ﷺ وعلى المسلمين ؟ وما أعظم جهاده في سبيل الله .

أمّا مواهب الإمام وعبقرياته فهي لا تعدّ فقد ملأ الدنيا بعلومه وحكمه وآدابه وهو أمير البيان وأعلم الصحابة بأحكام الدين وشؤون شريعة سيّد المرسلين كما انّه أوّل مولود ولد في الكعبة كما استشهد في بيت الله والصلاة بين شفتيه .

الزّهراء عليها السلام

ومن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء سلام الله عليها التي هي بضعة من رسول الله ﷺ من آذاها فقد آذى أباها ـ كما في الحديث[١] ـ، وكانت من أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ ، وقد أشاد بمكانتها وأشاع أنّها سيّدة نساء العالمين[٢].

وقلّدها بعدّة أوسمة والتي منها انّه قال :

« **إِنَّ اللهَ يَغْضَبُ لِغَضَبِكِ ، وَيَرْضىٰ لِرضاكِ** »[٣].

وقال ﷺ : « **أَوَّلُ شَخْصٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فاطِمَة** »[٤].

وقد أخلص لها النبيّ ﷺ كأعظم ما يكون الإخلاص لأنها البقية الباقية من أبنائه وبناته ، وانحصر نسله الطيّب فيها ، وقد أعلن ﷺ انّهم ينتمون إليه ، قال :

---

(١) صحيح الترمذي : ٣١٩/٢. مستدرك الصحيحين : ١٥٨/٣ وفي كنز العمّال : ٢١٩/٦ : « إنّ رسول الله ﷺ : قال : **إنّما فاطمة شجنة منّي يبسطني ما يبسطها ، ويقبضني ما يقبضها** ».

(٢) أُسد الغابة : ٥٢٢/٥. حلية الأولياء : ٣٩/٢. مشكل الآثار : ٤٨/١. مستدرك الصحيحين : ١٥٦/٣.

(٣) مستدرك الصحيحين : ١٥٣/٣ ، وعلّق على الحديث أنّه صحيح الاسناد ، وذكره ابن الأثير في أُسد الغابة : ٥٢٢/٥ ، وابن حجر في الإصابة : ١٥٩/٨ ، تهذيب التهذيب : ٤٤١/١٢ ، وذكره المتّقي في كنز العمّال : ١١١/٧ ، والذهبي في ميزان الاعتدال : ٧٢/٢ ، والمحبّ الطبرني في ذخائر العقبى : ٣٩.

(٤) ميزان الاعتدال : ١٣١/٢. كنز العمّال : ٢١٩/٦.

«كُلُّ بَني آدمَ يَنْتَمونَ إلىٰ عُصْبَتِهِمْ إلَّا وُلْد فاطِمَةَ فَإنّي أنا أَبوهُم وَأَنا عُصْبَتُهُمْ»[١].

وقال ﷺ : **«إنَّ لِكُلِّ بَني أُمٍّ عُصْبَةٌ يَنْتَمونَ إلَيْها إلَّا وُلْد فاطِمَة فَأَنا وَلِيُّهُم، وَأَنا عُصْبَتُهُمْ، وَهُم خُلِقوا مِنْ طينَتي، وَيْلٌ لِلْمُكَذِّبينَ بِفَضْلِهِمْ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ»**[٢].

ولمّا قرب انتقال النبيّ ﷺ إلى حظيرة القدس كانت سيّدة النساء من أفجع المنكوبين بوفاته، فقد مزّق الأسى قلبها الرقيق، وبصر بها الرسول ﷺ فرآها مذهولة ولهى قد خطف المصاب لونها فأسرّ إليها فبكت ثمّ أسرّ إليها ثانياً فضحكت وعجبت عائشة من ذلك وقالت: «ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن» وسألتها عن ذلك فأشاحت بوجهها عنها وأبت أن تخبرها. ولمّا انصرمت الأيام أخبرت عن ذلك فقالت:

«أَخْبَرَني أَنَّ جَبْرَئيلَ كانَ يُعارِضُني بِالْقُرآنِ في كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً وَأَنَّهُ عارَضَني في هذا العامِ بِهِ مَرَّتَينِ، وَلا أَراهُ إلَّا وَقَدْ حَضَرَ أَجَلي...».

وكان هذا هو السبب في بكائها ولوعتها، وأمّا السبب في سرورها وابتهاجها فقالت:

«أَخْبَرَني أَنَّكِ أَوَّلُ أَهْلُ بَيْتي لُحوقاً بي، ونِعْمَ السَّلَفُ أَنا لَكِ.. أَلا تَرْضَينَ أَنْ تَكوني سَيِّدَةَ نِساءِ هذِهِ الْأُمَّةِ»[٣].

---

(١) تاريخ بغداد: ٢٨٥/١١. كنز العمّال: ٢١٦/٦.

(٢) تاريخ بغداد: ٢٨٥/١١، وقريب منه في مستدرك الصحيحين: ١٦٤/٣. مجمع الزوائد: ١٧٢/٩.

(٣) حياة الإمام الحسن عليه السلام: ١٦٣/١.

وبعد وفاة أبيها أضناها الأسى وبرح بها الألم ، ولم تطل الأيام حتى نخب الحزن قلبها ، وقد حدثت بينها وبين أعلام الصحابة أحداث مؤلمة ومؤسفة ، ولشدّة تألّمها منهم أوصت الإمام عليّاً عليه السلام أن يدفنها في غلس الليل البهيم ، ولا يحضر أحد منهم جنازتها ، وأن يخفي موضع قبرها ليكون شاهداً لكراهيتها لهم عبر الأجيال والقرون ، ونفّذ الإمام ذلك .

فسلام الله عليها يوم ولدت ويوم ماتت ويوم تبعث حيّةً

الإمام الحسن

سبط رسول الله ﷺ الأوّل ، وريحانته ، وهو وأخوه سيّدا شباب أهل الجنة ، وإمامان إن قاما وإن قعدا ـ كما في الحديث ـ ، وهو أحد أئمّة أهل البيت عليهم‌السلام الذين أذهب الله عنهم الرِّجس وطهّرهم تطهيراً .

وقد امتُحن هذا الإمام العظيم كأشدّ ما يكون الامتحان وأقساه ، فقد ابتُلي بطاغية زمانه معاوية بن أبي سفيان العدوّ الألدّ للأُسرة النبوية ، فقد سلب منه الخلافة وأقصاه عن الحياة السياسية واغتاله بالسمّ ، وقد أوضحنا ذلك في كتابنا « حياة الإمام الحسن عليه‌السلام » وذكرنا ما جرى عليه من النكبات والخطوب السود من هذا الذئب الجاهلي الذي لم يؤمن بأيّ مبدأ من مبادئ الإسلام وقيمه ، وهو صاحب الأحداث والموبقات التي كشفت عن حقده البالغ على الإسلام والمسلمين .

الإمام الحسين

هو الشهيد الخالد في دنيا الإسلام الذي قدّم روحه وأرواح البررة الممجّدين من أبنائه واخوانه وأبناء عمومته وأصحابه قرابين خالصة لوجه الله تعالى فأحيى بها دين جدّه الذي جهد الحكم الأُموي على قلع جذوره ومحو سطوره .

إنّ ثورة أبي الأحرار أعظم ثورة عملاقة سجّلها التاريخ ، فقد أيقظت المسلمين من سباتهم وحطّمت عنهم سياج الذلّ والعبودية فانطلقت الثورات يتبع بعضها بعضاً في معظم أنحاء العالم الإسلامي وهي تحمل شعار الثورة الحسينية وتطالب بعزّتها وكرامتها وأمنها ورخائها الذي فقدته أيام الحكم الأُموي ، حتى أطاحت به وقلعت جذوره ،كلّ ذلك ببركة ثورة أبي الأحرار ، التي أوضح الله بها الكتاب وجعلها عبرة لأُولي الألباب .

وهؤلاء الذوات الكريمة على الله تعالى هم الذين نزلت فيهم آية التطهير ـ كما سنوضّح ذلك ـ في البحوث الآتية .

أمّا بقيّة أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين هم أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وحملة علومه ، وخزنة وحيّه فهم :

الإمام السجاد

وهو سيّد الساجدين ، وإمام المتّقين والعارفين ، لا يضارعه أحد في تقواه وورعه وعبادته سوى آبائه الأئمّة العظام ، وهو صاحب الصحيفة السجّادية التي هي إنجيل آل محمّد ، ومن مناجم الفكر الإسلامي ومن ذخائر ما تملكه الأُمّة الإسلامية من الثروات والقيم العلمية ، وقد حفلت بأروع القيم التربوية والاجتماعية والسياسية مضافاً إلى روعة بلاغتها وفصاحتها فقد احتلّت القمّة في هذا الميدان وجاءت في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة .

والإمام زين العابدين هو مؤلّف رسالة الحقوق التي قنّنت البرامج للحقوق العامّة للفرد والمجتمع والدولة ، وغيرهم من شرائح المجتمع .

وللإمام سيرة ندية عطرة تضارع سيرة الأنبياء والأوصياء فسلام الله عليه في جميع مراحل حياته وبعد وفاته .

الإمام الباقر

وهو أحد عمالقة الفكر الإسلامي ، وقد وهب حياته لاشاعة العلم ونشر الثقافة الإسلامية ، وتتلمذ عنده جهابذة العلماء أمثال : زرارة بن أعين العالم الشهير ومحمّد بن مسلم الفقيه الكبير وغيرهما من مشاهير الفقهاء والعلماء الذين يرجع لهم الفضل في تدوين أحاديث أئمّة أهل البيت عليهم السلام .

الإمام الصادق

وهو الذي ملأ الدنيا بعلومه ـ على حدّ تعبير الجاحظ ـ، وقد اعتبره الغربيون الدماغ المفكّر للإنسانية، ويكفي في سموّ منزلته العلمية انّه تتلمذ عنده زهاء أربعة آلاف عالم، وقد تناولت محاضراته مختلف أنحاء العلوم من علم الفقه والأُصول والحديث وعلم الطبّ والكيمياء والفيزياء، وكان من تلاميذه جابر بن حيان العالم الكيمياوي مفخرة الشرق ومن أركان النهضة العلمية لا في عصره فحسب وإنّما في العصور التي تلت بعده.

الإمام الكاظم عليه السلام

وهو من أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، وكان وحيد عصره في علمه وتقواه وورعه والممثّل الوحيد للجبهة المعارضة للحكم العبّاسي ، فقد نَقِمَ على هارون تصرّفاته وسياسته الشاذّة عن كتاب الله وسنّة نبيّه ، وقد أودعه الطاغية في ظلمات السجون حفنة من السنين ، ودسّ إليه السمّ فقضى شهيداً مضطهداً .

وقد عُرِف هذا الإمام بباب الحوائج فما قصده مكروب إلّا نفّس الله عنه كربته ولا صاحب حاجة إلّا قضى حاجته ، وقد شاع ذلك عند جميع الأوساط وآمن به الناس على اختلاف أفكارهم ومذاهبهم .

الإمام الرضا

وهو من أئمّة الهدى ومصابيح الإسلام وأسمى شخصية إسلامية في عصره في علمه وتقواه وورعه .

وقد انتخبه المأمون فجعله وليّ عهده ، وضرب السكّة باسمه ، ولم يكن ذلك عن إيمان منه بحقّ الإمام عليه السلام وإنّما اضطرّته الظروف السياسية لذلك .

وحينما كان الإمام في خراسان جلب المأمون جميع علماء الدنيا والتقى بهم سرّاً ووعدهم بالثراء العريض إن امتحنوا الإمام عن مسألة لا يستطيع الجواب عنها ليتّخذ من ذلك وسيلة للتشهير بالشيعة وإبطال معتقدهم في الإمام من انّه لا بدّ أن يكون أعلم علماء عصره ، وفعلاً فقد سأل العلماء الإمام عن أربع وعشرين ألف مسألة في مختلف أنحاء العلوم فأجاب عنها جواب العالم المتمرّس ، وقد دان معظم العلماء بإمامته ممّا اضطرّ المأمون إلى حجبه عن العلماء وفرض الرقابة عليه وأخيراً اغتاله بالسمّ .

الإمام الجواد

هو أصغر إمام من أئمّة الهدى عليهم السلام، تقلّد الإمامة وعمره الشريف تسع سنين أو أقلّ من ذلك، وقد جلبه المأمون إلى بغداد ليزوّجه بابنته أُمّ الفضل وحسده العبّاسيون فجمعوا العلماء وطلبوا منهم أن يمتحنوه بأعقد المسائل فاستجابوا لهم، وهيّأوا لامتحانه أُمّهات المسائل في مختلف الفنون وأحضروا الإمام الجواد في البلاط العبّاسي وقد اكتظ بكبار العلماء والفقهاء وقادة الجيش وسائر الوجوه والأشراف وأجلسوا الإمام على منبر ليشاهده العلماء، فتقدّم قاضي القضاة يحيى بن أكثم فسأله عن مُحرم قتل صيداً ففرّع الإمام على هذه المسألة عدّة فروع فبهر يحيى وظلّ حائراً، وطلب منه أن يتفضّل بالاجابة عنها، فأجابه الإمام وتقدّم إليه بقيّة العلماء فسألوه عن مختلف المسائل العلمية فأجاب عنها وبهر الناس من سعة علومه وهو في هذا السنّ الذي لا يسمح لصاحبه أن يخوض في الميادين العلمية، وقد دلّل الإمام عليه السلام بذلك على أصالة ما تذهب إليه الشيعة من انّ الإمام لا بدّ أن يكون أعلم أهل عصره من دون فرق بين أن يكون كبير السنّ أو صغيراً.

وقد اغتاله العبّاسيون بالسمّ وهو في روعة الشباب ومضى إلى الله شهيداً صابراً محتسباً.

الإمام الهادي ﷺ

تقلّد الإمامة بعد وفاة أبيه محمّد الجواد ﷺ ، وقد احتفّ به العلماء والفقهاء والرواة وهم ينتهلون من نمير علومه ، وقد سرى ذكره في البلدان وتحدّث الناس عن سعة علومه فحقد عليه فرعون زمانه المتوكّل العبّاسي الذي هو من أحقد أعـداء أهـل البيت ومن أكثرهم بغضاً لهم ، وهو الذي حرث قبر الإمام الحسين ﷺ وحرَّم زيارته كما فرض الحصار الاقتصادي على السادة العلويّين .

وقد جلب الإمام الهادي من يثرب إلى سامراء وفرض عليه الإقامة الجبرية فيها وأحاطه بعصابة من الأمن تُحصي عليه أنفاسه ، ومنع العلماء والشيعة من الاتّصال به ، وكان يوعز إلى شرطته بكبس داره وتـفتيشها مـخافة أن يكـون فـيها السـلاح والمال ، وقد ألقاه غير مرّة في غياهب سجونه ، كما كانت شرطته تأتي به مخفوراً إلى قصر المتوكّل فيقف بين يديه والمتوكّل غارق فـي السكـر والمـغنّون والراقـصات يعزفون بين يديه كلّ ذلك للاستهانة بالإمام ﷺ .

قضى الإمام الهادي شهيداً فقد اغتاله العبّاسيون بالسمّ كما اغتالوا آباءه من قبل ، وقد دفن في داره التي أصبحت مرقداً من مراقد أئمّة الهدى ﷺ ومركزاً من مراكز العبادة في الإسلام .

الإمام العسكري

وهو من أئمّة الهدى عليهم السلام الذين امتُحنوا كأشدّ ما يكون الامتحان من حكّام بني العبّاس ، فقد فرضوا عليه الإقامة الجبرية في سامراء كأبيه ، وأحاطوه بأمنهم ، ومنعوا العلماء من الاتّصال به ، وأخيراً دسّوا له السمّ فقضى شهيداً كآبائه الذين رفعوا راية الحقّ ولم يصافحوا حكّام الظلم والجور ، فسلام من الله عليه وتحيّات معطّرة مشفوعة بالولاء والإيمان به .

الإمام المهدي

هو آخر أئمّة الهدى الذين نصبهم الرسول ﷺ أعلاماً لأُمّته وخزنة لعلمه ، وهو الذي يقيم العدل ، ويصلح ما اعوجّ من نظام الدنيا والدين ، وفي ظلال حكمه يأمن المظلومون ، وينعم المحرومون ، وتوزّع خيرات الله على عباده ، فلا يستأثر بها فريق دون فريق .

إنّ الإمام المهدي عليه السلام أعظم مصلح اجتماعي في الأرض ، وهو جزء من رسالة الإسلام .

في رحاب القرآن الكريم

وبعد أن عرفنا مَن هم أهل البيت الذين فرض الله علينا مودّتهم والولاء لهم، نعود إلى الحديث عن الآيات الكريمة التي نزلت فيهم وأشارت بفضلهم وهي :

آية المودّة

﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾(١).

ذهب جمهور الرواة والمفسّرين إلى أنّ المراد بالقربى الذين فرض الله مودّتهم أجراً لجهود النبيّ ﷺ هم عليّ وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، وانّ اقتراف الحسنة إنّما هي في مودّتهم والولاء لهم، وهذه كوكبة من الأخبار أعلنت ذلك :

١ ـ روى عبدالله بن عبّاس، قال :

«لمّا نزلت هذه الآية، قالوا : يا رسول الله من قرابتك الذين أوجبت علينا مودّتهم، قال : **عَلِيٌّ وَفاطِمَةُ وَابْناهُمَا**»(٢).

٢ ـ روى جابر بن عبدالله، قال :

«جاء أعرابي إلى النبيّ ﷺ فقال : يا محمّد، اعرض عليّ الإسلام، فقال ﷺ :

---

(١) الشورى ٤٢ : ٢٣.

(٢) مجمع الزوائد : ١٠٣/٧. ذخائر العقبى : ٢٥. نور الأبصار : ١٠١.

تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰـهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

فانبرى الأعرابي قائلاً :

تسألني عليه أجراً ؟

قال ﷺ : **إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ .**

فقال الأعرابي :

قرباي أم قرباك ؟

فأجابه الرسول : **قُرْبايَ .**

وراح الأعرابي قائلاً :

هات أُبايعك فعلى من لا يحبّك ولا يحبّ قرباك لعنة الله . . .

واسرع النبيّ ﷺ قائلاً :

آمين »[1] .

٣ ـ روى ابن عبّاس ، قال :

« لمّا نزلت آية المودّة قال قوم في نفوسهم ـ يعني الحسد لآل البيت ـ ما يـريد إلّا أن يحثّنا على قرابته من بعده ، فأخبر جبرئيل النبيّ ﷺ أنّهم اتّهموه فـأنزل الله **﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً ﴾**[2] .

فقال القوم : يا رسول الله ، إنّك صادق ، فنزل : **﴿ وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾**[3] »[4] .

---

(١) حلية الأولياء : ٢٠١/٣ .

(٢) الشورى ٤٢ : ٢٤ .

(٣) الشورى ٤٢ : ٢٥ .

(٤) الصواعق المحرقة : ١٠٢ .

احتجاج العترة بالآية :

واحتجّت عترة الرسول ﷺ بأنّ الآية الكريمة نزلت في لزوم مودّتهم ومحبّتهم . وهذه بعض احتجاجاتهم .

١ ـ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

احتجّ الإمام أمير المؤمنين بآية المودّة على خصومه فقال :

« فِيْنا الـ حم ، آيَة لا يَحْفَظُ مَوَدَّتَنا إلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ » ، وتلا : **﴿ قُل لَا أَسْـأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبىٰ ﴾**[1] » .

٢ ـ الإمام الحسن عليه السلام

خطب الإمام الحسن سبط رسول الله ﷺ وريحانته خطاباً بليغاً عرض فيه إلى مكانة أهل البيت ، ثمّ استشهد بالآية على أنّه منهم قال :

« وَأَنا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ افْتَرَضَ اللهُ مَوَدَّتَهُمْ عَلىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ ، قَالَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ : ﴿ قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً ﴾ ، فَاقْتِرافُ الْحَسَنَةِ مَوَدَّتُنا أَهْلَ الْبَيْتِ » .

٣ ـ الإمام زين العابدين عليه السلام

احتجّ الإمام زين العابدين عليه السلام بالآية الكريمة لما جيء به أسيراً إلى فاجر بني أُميّة يزيد بن معاوية ، وأُقيم على درج دمشق ، ومعه بنات رسول الله ﷺ سبايا ، فانبرى إليه رجل من أهل الشام قد أظلّته الدعاية الأُموية ، فقال للإمام :

« الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرني الفتنة . . .

---

(١) كنز العمال : ٢١٨/١ . الصواعق المحرقة : ١٠١ .

فنظر إليه الإمام فرآه مغفّلاً ، فقال له :

أَقَرَأْتَ الْقُرآنَ ؟

نعم .

أَقَرَأْتَ الـ حم ؟

قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم .

ما قَرَأْتَ : ﴿ قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبىٰ ﴾ ؟

فذهل الرجل ، ومشت الرعدة بأوصاله وسارع قائلاً :

إنّكم لأنتم هم ؟

نَعَمْ »[1].

وودّ الرجل أن الأرض قد ساخت به ولم يتكلّم مع الإمام تلك الكلمات القاسية وطلب منه العفو فعفا عنه .

إنّ الولاء لأهل البيت من الواجبات الإسلامية التي لا غنى عنها يقول محمّد بن إدريس الشافعي :

يا أَهْـلَ بَـيْتِ رَسُـولِ اللهِ حُـبُّكُمُ — فَرْضٌ مِـنَ اللهِ فِـي الْـقُرْآنِ أَنْـزَلَهُ

كَفاكُمُ مِـنْ عَـظِيمِ الْـقَدْرِ أَنَّكُـمُ — مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ[2]

وقال ابن العربي :

رأَيتُ وَلائــــي آلَ طــه فَــرِيضَةً — عَلىٰ رَغْمِ أَهْلِ البُعدِ يورثُني القُرْبىٰ

---

(١) تفسير الطبري : ٢٥/١٦.

(٢) نور الأبصار : ١٠٤.

فما طَلَبَ المَبْعوثُ أجْراً عَلى الهُدىٰ بِـتَبليغِهِ إلَّا المَـوَدَّةَ فـي القُـرْبىٰ

انّ في مودّة العترة الطاهرة أداءً لأجر الرسول ﷺ على ما لاقاه من جهد شاق وعسير من جبابرة قريش في سبيل نشر كلمة التوحيد واشاعة قيم الإسلام ومبادئه وقد جعل تعالى جزاء جهوده الجبّارة الولاء والمحبّة لعترته الطيّبين الأبرار.

آيـة المباهلة

من الآيات الكريمة التي نزلت في أهل بيت النبوّة ومعدن الحكمة آية المباهلة قال الله تعالى في محكم كتابه:

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[1].

أجمع المفسّرون ورواة الحديث على أنّ الآية نزلت في أهل بيت النبوّة وهم: الإمام عليّ والحسنان وفاطمة[2]. والمراد بالأبناء هم الحسنان وبنسائنا سيّدة نساء العالمين زهراء الرسول، والمراد بأنفسنا هو الإمام عليّ عليه السلام فإنّه نفس رسول الله ﷺ.

سبب نزول الآية

نزلت الآية الكريمة في حادثة بالغة الخطورة جرت بين الرسول وبين وفد من

---

(١) آل عمران ٣: ٦١.

(٢) تفسير الرازي: ٦٩٩/٢. تفسير الكشّاف: ٤٩/١. تفسير روح البيان: ٤٥٧/١. تفسير الجلالين: ٣٥/١. صحيح الترمذي: ١٦٦/٢. سنن البيهقي: ٦٣/٧. مصابيح السنّة: ٢٠١/٢. سير أعلام النبلاء: ١٩٣/٣.

نصارى نجران قدموا على النبيّ ﷺ ليناظروه في الإسلام ، واتّفقا على الابتهال إلى الله أن يصبّ عذابه على الكاذب منهما ، وعيّنوا وقتاً خاصّاً لذلك ، ولمّا حان الوقت اختار النبيّ ﷺ للمباهلة أفضل الخلق وأكرمهم عند الله تعالى وهم :

١ ـ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام باب مدينة علمه ، وأبو سبطيه .

٢ ـ بضعته الطاهرة فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين .

٣ ـ الحسنان : وهما سيّدا شباب أهل الجنّة وريحانتا رسول الله ﷺ ، وأقبل النبيّ ﷺ وقد احتضن الحسين ، وأمسك بيده الأُخرى الحسن ، وسارت خلفه الزهراء مغشاة بملأة من نور الله تعالى ، يسير خلفها الإمام أمير المؤمنين وهو باد الجلال .

وخرج السيّد والعاقب بولديهما عليهما الحلي والحلل ومعهم نصارى نجران وفرسان بني الحرث على خيولهم وهم على أحسن هيئة ، واحتشدت جماهير المسلمين واشرأبت الأعناق وصار الكلام همساً .

ولمّا رأت النصارى هيئة الرسول ﷺ مع أهل بيته وهم في صورة تعنوا لها الجباه امتلأت نفوسهم هلعاً ورعباً ، وجثا النبيّ ﷺ للمباهلة فتقدّم السيّد والعاقب إليه وقد سرت الرعدة في نفوسهم قائلين :

يا أبا القاسم بمن تباهلنا ؟

فأجابهم النبيّ ﷺ بكلمات فيها روعة الإيمان والخشية من الله قائلاً :

أُباهِلُكُمْ بِخَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَأَكْرَمِهِمْ إِلَى اللهِ ، وأشار إلى أهل بيته .

وانبريا يسألان :

لِمَ لا تباهلنا بأهل الكرامة والكبر وأهل الشارة ممّن آمن بك واتّبعك ؟

وراح النبيّ ﷺ يؤكّد لهم أنّ أهل بيته هم أفضل الخلق وأكرمهم عند الله قائلاً :

أَجَل، أُباهِلُكُمْ بِهؤُلاءِ خَيْر أَهْلِ الْأَرْضِ وَأَفْضَل الْخَلْقِ.

فذهلوا وساد عليهم الوجوم وأيقنوا أنّ الرسول على حقّ وقفلوا راجعين إلى الأسقف زعيمهم يعرضون عليه الأمر قائلين له :

يا أبا حارثة ، ماذا ترى في الأمر ؟

وغمرته هيبة الرسول وآل بيته وأسرع قائلاً :

أرى وجوهاً لو سأل الله بها أحد أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله .

ولا يكتفي بذلك وإنّما راح يحذّرهم من الابتهال قائلاً :

أفلا تنظرون محمّداً رافعاً يديه ، ينظر ما تجيئان به وحقّ المسيح إن نطق فوه بكلمة لا نرجع إلى أهل ولا إلى مال ....

ثمّ أخذ يريهم ما نزل بهم من العذاب إن باهلوا النبيّ ﷺ قائلاً :

ألا ترون الشمس قد تغيّر لونها والأُفق تنجع فيه السحب الداكنة والريح تهب هائجة سوداء ، حمراء ، وهذه الجبال يتصاعد منها الدخان .

لقد أطلّ علينا العذاب انظروا إلى الطير وهي تقيء حواصلها ، وإلى الشجر كيف تتساقط أوراقها ، وإلى هذه الأرض كيف ترجف تحت أقدامنا .

لقد رأوا ما حلّ بهم من عذاب ، فأسرعوا إلى النبيّ ﷺ قائلين :

يا أبا القاسم ، إقلنا أقال الله عثرتك .

وخضعوا لشروط النبيّ ﷺ وأخبر النبيّ ﷺ أصحابه أنّهم لو استجابوا للمباهلة لهلكت النصارى قائلاً :

وَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ أَنَّ الْعَذابَ تَدَلّىٰ عَلىٰ أَهْلِ نَجْرانِ ، وَلَو لاعَنُوا لَمُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنازِيرَ ، وَلاضْطرَمَ عَلَيْهِمُ الْوادي ناراً ، وَلاسْتَأْصَلَ اللهُ نَجْرانَ وَأَهْلَهُ

حَتّى الطَّيْرَ عَلَى الشَّجَرِ ، وَما حالَ الْحَولُ عَلَى النَّصارىٰ كُلِّهِم[١].

وأوضحت هذه الحادثة مدى أهمّية أهل البيت ومكانتهم عند الله تعالى فإنّ النبيّ ﷺ لو وجد من هو خير منهم لاختارهم للمباهلة ، بل لو كان هناك من يساويهم في الفضل لامتنع أن يقدّم أهل بيته عليهم لقبح الترجيح بلا مرجّح ـ كما يقول علماء الأُصول ـ انّ النبيّ ﷺ لم ينتدب للمباهلة أحداً من عشيرته الأقربين فلم يدع صنو أبيه وعمّه العبّاس بن عبدالمطّلب ولا غيره من الهاشميّين ولا واحدة من أُمّهات المؤمنين وهنّ كنّ في حجراته ولم يدع شقيقة أبيه صفية ولا غيرها من عقائل الشرف وخفرات العلى ولا واحدة من نساء الخلفاء الثلاثة ليضمّهن إلى بضعته الطاهرة سيّدة نساء العالمين ، والغرض من ذلك واضح وهو الاشادة بفضل أهل بيته سلام الله عليهم ﴿ **ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾[٢].

يقول سماحة الإمام الأعظم شرف الدين نضّر الله مثواه :

« وأنت تعلم أنّ مباهلته ﷺ بهم والتماسه منهم التأمين على دعائه بمجرّده لفضل عظيم ، وانتخابه إيّاهم لهذه المهمّة العظيمة واختصاصهم بهذا الشأن الكبير ، وايثارهم فيه على من سواهم من أهل السوابق فضل على فضل لم يسبقهم إليه سابق ولن يلحقهم فيه لاحق ، ونزول القرآن العزيز آمراً بالمباهلة بهم بالخصوص فضل ثالث ، يزيد فضل المباهلة ظهوراً ، ويضيف إلى شرف اختصاصهم بها شرفاً وإلى نوره نوراً »[٣].

ومن الجدير بالذكر أنّ الآية الكريمة دلّت ـ بوضوح ـ على أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو نفس رسول الله ﷺ ، ومن المؤكّد أنّ رسول الله ﷺ أفضل من

---

(١) نور الأبصار : ١٠٠.

(٢) الحديد ٥٧ : ٢١. الجمعة ٦٢ : ٤.

(٣) الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء : ١٨٤.

جميع خلق الله فعليّ كذلك بمقتضى المساواة بينهما وقد أشار الفخر الرازي إلى ذلك بقوله :

كان في الريّ رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي ، وكان معلم الاثنى عشرية ، وكان يزعم أنّ علياً أفضل من جميع الأنبياء سوى محمّد ﷺ ، واستدلّ على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾ إذ ليس المراد بقوله : ﴿ وَأَنفُسَنَا ﴾ نفس محمّد ﷺ لأنّ الإنسان لا يدعو نفسه ، بل المراد غيرها ، وأجمعوا على أنّ ذلك الغير كان عليّ بن أبي طالب ، فدلّت الآية على أنّ نفس عليّ هي نفس محمّد ولا يمكن أن يكون المراد أنّ هذه النفس هي عين تلك ، فالمراد أنّ هذه النفس مثل تلك النفس وذلك يقتضي المساواة بينهما في جميع الوجوه وتركنا العمل بهذا العموم في حقّ النبوّة وفي حقّ الفضل بقيام الدلائل على أنّ محمّداً ﷺ كان نبيّاً وما كان عليّ كذلك .

ولانعقاد الإجماع على أنّ محمّداً ﷺ كان أفضل من عليّ فيبقى ما وراءه معمولاً به ثمّ الإجماع دلّ على أنّ محمّداً ﷺ كان أفضل من سائر الأنبياء فيلزم أن يكون عليّ أفضل من سائر الأنبياء[١] .

آية الأبرار

من آيات الله البيّنات التي أشادت بفضل بيت آل رسول الله ﷺ آية الأبرار قال تعالى :

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ﴾[٢] .

---

(١) تفسير الرازي : ٢/٤٨٨.

(٢) الإنسان ٧٦: ٥ ـ ٧.

ذهب جمهور المفسّرين والرواة أنّ سورة « هل أتى » نزلت في أهل البيت عليهم السلام[١]، وانّ السبب في نزولها أنّ الحسن والحسين عليهما السلام مرضا، فعادهما جدّهما الرسول صلى الله عليه وآله ومعه كوكبة من أصحابه، وطلبوا من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن ينذر لله صوماً إن عافاهما، فنذر الإمام صوم ثلاثة أيام وتابعته في نذره سيّدة نساء العالمين عليها السلام وجاريتها فضّة، ولمّا أبل الحسنان من المرض صاموا جميعاً، ولم يكن عند الإمام شيء من الطعام ليجعله افطاراً لهم فاستقرض ثلاثة أصواع من الشعير فعمدت الصدّيقة الطاهرة سلام الله عليها في اليوم الأوّل إلى صاع فطحنته وخبزته، فلمّا آن وقت الافطار وإذا بمسكين يطرق الباب يستمنحهم شيئاً من الطعام فعمدوا جميعاً إلى هبة قوتهم له، وطووا ليلتهم لم يتناولوا من الطعام شيئاً.

وفي اليوم الثاني عمدت بضعة الرسول صلى الله عليه وآله إلى صاع ثان فطحنته وخبزته، ولمّا حان وقت الإفطار وإذا بيتيم قد أضناه الجوع فطرق الباب وطلب منهم أن يسعفوه فتبرّعوا جميعاً بقوتهم ولم يتناولوا من الطعام شيئاً سوى الماء القراح.

وفي اليوم الثالث قامت زهراء الرسول فطحنت ما بقى من الطعام وخبزته، فلمّا حان وقت الافطار وإذا بأسير طرق الباب يطلب منهم الطعام فسحبوا أيديهم منه وقدّموه له.

أي إيثار أبلغ من هذا الايثار؟

أي مبرّة أعظم من هذه المبرّة؟

وفي اليوم الرابع وفد عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله فرآهم قد ارتعشت أجسامهم من الضعف وذابت من الجوع فتألّم النبيّ صلى الله عليه وآله وراح يقول:

---

(١) تفسير الرازي: ٣٩٢/٨. أسباب النزول / الواحدي: ١٣٣. روح البيان: ٥٤٦/٦. ينابيع المودّة: ٩٣/١. الرياض النضرة: ٢٢٧/٢. إمتاع الأسماع / المقريزي: ٥٠٢، وغيرها.

« **واغَوْثاهُ ! أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ يَمُوتونَ جِياعاً !!** » ولم ينه الرسول كلامه حتى هبط عليه جبرئيل وهو يحمل المكافأة العظمى من الله لأهل البيت وهي مكافأة لا توصف ولا تقدّر بأي شيء من متع الدنيا انّها مغفرة ورحمة ورضوان من الله ، فقد جزاهم بما صبروا جنّة وحريراً متكئين فيها على الآرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً .

إنّه عطاء سمح لا حدود له انّها النعم والكرامات التي لا نهاية لها .

آية التطهير

من الآيات البيّنات التي أشادت بفضل أهل البيت قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾[1] .

ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة للبحث عن هذه الآية الكريمة فقد وقع الكلام فيها ، وفيما يلي ذلك :

نزول الآية في آل البيت

واتّفق المفسّرون والرواة أنّ الآية الكريمة نزلت في أهل بيت النبوّة ومعدن الرحمة وهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وزهراء الرسول التي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها وريحانتاه من الدنيا الشهيدان الإمام الحسن والحسين ولم يشاركهم أحد في هذه الفضيلة[2] .

---

(١) الأحزاب ٣٣ : ٣٣.

(٢) تفسير الرازي : ٧٨٣/٦. صحيح مسلم : ٣٣١/٢. الخصائص الكبرى : ٢٦٤/٢. الرياض النضرة : ١٨٨/٢. تفسير ابن جرير : ٥/٢٢. مسند أحمد بن حنبل : ١٠٧/٤. سنن ⇦

وقد ذكرنا عرضاً لذلك في البحوث السابقة خروج نساء النبيّ .

وليس للسيّدات من نساء النبيّ ﷺ نصيب في هذه الآية ، فقد خرجنا عنها موضوعاً وحكماً وللتدليل على ذلك نذكر ما يلي :

أوّلاً : إنّ الأهل ـ في اللغة ـ موضوع لأسرة الرجل وذوي قرباه(١) ولا يشمل الزوجة ، وأكّد هذا المعنى زيد بن أرقم حينما سئل عن أهل بيت النبيّ ﷺ هل يشمل زوجاته فأنكر ذلك وقال :

« لا ـ وأيم الله ـ إنّ المرأة تكون مع الرجل من الدهر ثمّ يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها ، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده »(٢) ، ولو كانت الآية شاملة لزوجات النبيّ ﷺ لأعلنت ذلك عائشة ورفعته شعاراً لها في حربها لأخي النبيّ ﷺ ووصيّه .

ثانياً : لو سلّمنا أنّ الأهل شامل للزوجة فلا بدّ من خروج زوجات النبيّ ﷺ عن الآية ، وذلك للأخبار المتواترة في اختصاصها بأهل البيت دون غيرهم من أعمام النبيّ ﷺ وزوجاته . وقد راحت أمّ المؤمنين السيّدة أمّ سلمة ـ في حديث الكساء ـ أن تكون من أهل البيت لتسعد وتشرف بذلك ، فقالت للرسول ﷺ : ألست من أهلك ؟

فقال لها النبيّ ﷺ : **إنَّكِ إلىٰ خَيْرٍ ، وَلكِنْ هؤُلاءِ أَهْلي وَثِقْلي** »(٣) .

وأوضح النبي ﷺ اختصاص الآية بأهل بيته انه كلّما خرج إلى الصلاة يأتي باب

⇐ البيهقي : ١٥٠/٢ . مشكل الآثار : ٣٣٤/١ ، وقد أورد جلال الدين السيوطي في الدرّ المنثور عشرين رواية من طرق مختلفة في اختصاص الآية بأهل البيت .

(١) القاموس المحيط : ٣٣١/١ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٤٨٦/٣ . صحيح مسلم : ٢٣٨/٢ .

(٣) تاريخ بغداد : ٢٧٨/١٠ . تفسير العيّاشي : ٢٥٠/١ .

فاطمة عليها السلام ويقول: «الصّلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»[1].

ولا مجال للشكّ في ذلك بعد تواتر الأخبار بذلك.

مزاعم عكرمة ومقاتل

وذهب جماعة من صنائع بني أُميّة وعملائهم إلى حرف الآية عن العترة الطاهرة وتحويلها إلى نساء النبيّ صلى الله عليه وآله متمسّكين بسياق الآية، ومن الذاهبين إلى ذلك عكرمة، ومقاتل بن سليمان.

أمّا عكرمة فكان من أحقد الناس على أهل بيت النبوّة، وكان ينادي بنزول الآية في نساء النبيّ صلى الله عليه وآله في السوق[2]، وبلغ من اصراره على ذلك أنّه كان يقول: من شاء باهلته انّها نزلت في أزواج النبيّ[3].

انّ نداءه في السوق، وعرضه للمباهلة ينمّ ذلك عن بغضه العارم لآل رسول الله صلى الله عليه وآله الذين هم عدلاء الذكر الحكيم.. ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة للنظر في أحوال عكرمة ومقاتل، وانّهما ليسا على حقّ فيما ذهبا إليه.

عكرمة في الميزان

أمّا عكرمة البربري المدني أصله من البربر، كان مولى للحصين بن أبي الحرّ

---

(١) كنز العمال: ٢٥٧/١٦. الدرّ المنثور: ١٩٩/٥. مجمع الزوائد: ١٢١/٩. مسند أحمد بن حنبل: ٢٥٩/٣. شواهد التنزيل: ١٥/٣. سير أعلام النبلاء: ١٣٤/٢. أُسد الغابة: ٥٢١/٥. تيسير الوصول: ١٦١/٢.

(٢) أسباب النزول / الواحدي: ٢٦٨.

(٣) الدرّ المنثور: ١٩٨/٥.

العنبري فوهبه لابن عبّاس حينما كان والياً في البصرة من قِبل الإمام عليّ عليه السلام ، وبقي رقّاً حتّى توفّي ابن عبّاس فباعه علي بن عبدالله [بن عبّاس] ثمّ استردّه[١]، وقد جرح في عقيدته ، واتّهم في سلوكه ، وهذه بعض المؤاخذات التي تواجهه :

١ ـ اتّهم عكرمة بأنّه من الخوارج[٢]، وكان يقف على باب المسجد ، ويقول : ما فيه إلّا كافر[٣]؛ لأنّ الخوارج ذهبوا إلى تكفير المسلمين .

٢ ـ من الصفات القبيحة التي عرف بها (الكذب) فعن ابن المسيّب أنّه قال لمولاه برد : « لا تكذب عليَّ كما كذب عكرمة على ابن عبّاس »[٤].

وقال عثمان بن مرة للقاسم : « إنّ عكرمة حدّثنا عن ابن عبّاس كذا ، فردّ عليه القاسم قائلاً : يابن أخي انّ عكرمة كذّاب يحدّث غدوة حديثاً يخالفه عشياً »[٥].

ومع اتّهامه بالكذب يسقط كلّياً من الاحتجاج به ، والأخذ بقوله فإنّ الكذب من أظهر الأسباب التي توجب القدح في الراوي .

٣ ـ إنّه اتّهم بالفسق ، فقد كان يسمع الغناء ويلعب بالنرد ويتهاون في الصلاة[٦].

٤ ـ إنّه كان خفيف العقل[٧].

٥ ـ ونقم عليه المسلمون وجفوه ، وقد توفّي هو وكُثَيْر عَزّة في يوم واحد فشهد الناس جنازة كُثَيْر ولم يحضروا جنازته[٨].

---

(١) تهذيب التهذيب : ٢٦٣/٧.

(٢) ميزان الاعتدال : ٩٥/٣. الطبقات الكبرى / ابن سعد : ٢١٦/٥.

(٣) ميزان الاعتدال : ٩٥/٣.

(٤) ميزان الاعتدال : ٩٦/٣.

(٥) حياة الإمام الحسين عليه السلام : ٦١/١.

(٦) و (٧) تهذيب التهذيب : ٢٦٣/٧.

(٨) المصدر المتقدّم : ٢٧١/٧.

ومع هذه الطعون التي احتفّت به لا يمكن الاعتماد على روايته وما يذهب إليه ، ومن الغريب انّ البخاري قد اعتمد عليه وتجنّب روايته مسلم[١] .

قال البخاري : ليس أحد من أصحابنا إلّا وهو يحتجّ بعكرمة[٢] .

انّ البخاري يعتمد في صحيحه على عكرمة وأمثاله من المنحرفين عن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ويتحرّج عن روايته عنهم ، وهم عدلاء الذكر الحكيم كما في رواية الثقلين .

مقاتل بن سليمان

امّا مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني فقد كان متّهماً في دينه ، ونقل المترجمون له ما يلي :

١ ـ انّه كان كاذباً ، قال النسائي :كان مقاتل يكذب[٣] ، وقال وكيع : قال إسحاق بن إبراهيم الحنظلي : أخرجت خراسان ثلاثة لم يكن لهم نظير ـ يعني في البدعة والكذب ـ جهم ومقاتل وعمر بن صبيح ، وقال خارجة بن مصعب : كان جهم ومقاتل عندنا فاسقَين فاجرَين[٤] ، ومع اتّهامه بالكذب يسقط رأيه وتسقط روايته .

٢ ـ كان مقاتل متّهماً في دينه ، وكان يقول بالتشبيه ، قال ابن حيّان : كان مقاتل يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم ، وكان مشبّهاً يشبّه الربّ سبحانه بالمخلوقين ، وكان يكذب في الحديث[٥] .

ونظراً لانحرافه عن الإسلام فقد استحلّ خارجة دمه يقول : لم استحلّ دم يهودي

---

(١) ميزان الاعتدال : ٩٣/٣ .

(٢) و (٤) تهذيب التهذيب : ٢٨١/١٠ .

(٣) ميزان الاعتدال : ١٧٣/٤ .

(٥) تهذيب التهذيب : ٢٨٤/١٠ . ميزان الاعتدال : ١٧٥/٤ .

ولا ذمّي ولو قدرت على مقاتل بن سليمان في موضع لا يرانا فيه أحد لقتلته[١].

٣ ـ كان مقاتل شديد البغض والعداء لأخي رسول الله ﷺ وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان يصرف كلّ فضيلة ويتأوّل كلّ حديث في فضل الإمام عنه، وكان الإمام عليه السلام هو القائل: «**سَلوني قَبْلَ أَنْ تَفْقِدوني**» فأراد مقاتل أن يجاري الإمام في ذلك فكان يقول: «سلوني عمّا دون العرش»، فقام إليه رجل فقال له: أخبرني عن النملة أين أمعاؤها؟ فسكت ولم يطق جواباً[٢]، وقال مرّة:

سلوني عمّا دون العرش، فقام إليه رجل فقال له: أخبرني من حلق رأس آدم حين حجّ، فحار ولم يطق جواباً[٣].

انّ مقاتل ركن من أركان الباطل، فكيف يعول على رأيه ويستدلّ بحديثه؟

فساد استدلالهما

امّا استدلال عكرمة ومقاتل على اختصاص الآية بنساء النبيّ ﷺ وذلك لسياق الآية التي عرضت للسيّدات من نساء النبيّ ﷺ فإنّ ذلك موهون ليس له أي واقع علمي، وقد عرض الإمام شرف الدين إلى إبطاله بصورة موضوعية، قال رحمه الله: ولنا في ردّه وجوه:

الأوّل: انّه اجتهاد في مقابل النصوص الصريحة والأحاديث المتواترة الصحيحة[٤].

---

(١) ميزان الاعتدال: ٤/١٧٥ باختلاف.

(٢) تهذيب التهذيب: ١٠/٢٨٣.

(٣) وفيات الأعيان: ٥/٢٥٥.

(٤) يشير بذلك إلى النصوص المتواترة الدالّة على اختصاص الآية بأهل البيت، وقد ألمحنا إلى بعضها في البحوث السابقة.

الثاني : انّها لو كانت خاصّة في النساء ـ كما يزعم هؤلاء لكان الخطاب في الآية بما يصلح للاناث ولقال عزّ من قائل : عنكن ويطهركنّ كما في غيرهما في آياتهن ، فتذكير ضمير الخطاب فيها دون غيرها من آيات النساء كافٍ في ردّ تضليلهم .

الثالث : إنّ الكلام البليغ يدخله الاستطراد والاعتراض وهو تخلّل الجملة الأجنبية بين الكلام المتناسق كقوله تعالى : في حكاية خطاب العزيز لزوجته إذ يقول لها :

﴿ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ﴾[١] .

فقول : يوسف أعرض عن هذا مستطرد بين خطابيه معها ـ كما ترى ـ ، ومثله قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾[٢] .

فقوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ مستطرد من جهة الله تعالى بين كلام بلقيس .

ونحوه قوله عزّ من قائل :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾[٣] تقديره فلا أُقسم بمواقع النجوم انّه لقرآن كريم وما بينهما استطراد على استطراد ، وهذا كثير في الكتاب والسنّة وكلام العرب وغيرهم من البلغاء .

---

(١) يوسف ١٢ : ٢٨ و ٢٩.

(٢) النمل ٢٧ : ٣٤ و ٣٥.

(٣) الواقعة ٥٦ : ٧٥ ـ ٧٧.

وآية التطهير من هذا القبيل جاءت مستطردة بين آيات النسـاء . فـتبيّن بسـبب استطرادهما انّ خطاب الله لهنّ بتلك الأوامر والنواهي والنصائح والآداب لم يكن إلّا لعناية الله تعالى بأهل البيت «أعني الخمسة» ، لئلّا ينالهم «ولو من جهتهنّ لوم» أو ينسب إليهم «ولو بواسطة» هناة أو يكون عليهم للمنافقين «ولو بسببهن» سبيل ، ولولا هذا الاستطراد ما حصلت النكتة الشريفة التي عظمت بها بلاغة الذكر الحكيم وكمل إعجازه الباهر كما لا يخفى[١].

ورأي قداسة الإمام الأعظم شرف الدين رأي وثيق قد قطع به تأويل المـتأوّلين ودحض به أوهام المعاندين وتمّت به الحجّة على المناوئين .

دلالة الآية على العصمة

وتدلّ الآية الكريمة بوضوح على عصمة أهل البيت عليهم السلام وطهارتهم من كل زيغ ورجس .

لقد تصدّرت الآية بكلمة «إنّما» وهي من أقوى أدوات الحصر مضافاً إلى دخول اللام في قوله تعالى : «ليذهب» وتكـرار لفـظ الطـهارة وكـلّ ذلك يـدلّ ـ بـحسب الصناعة ـ على الحصر والاختصاص بذهاب الرجس والمعاصي عنهم مع العلم انّ إرادة الله تعالى التي تعلّقت بطهارتهم وصفاء نفوسهم إنّما هي إرادة تكوينية يستحيل فيها تخلّف المراد عن الإرادة :

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[٢].

لقد أراد الله تعالى طهارة أهل البيت وعصمتهم من كلّ ذنب وإثم ليكونوا قـادة لعباده ومناراً في بلاده ، وقد تمّ ما أراده تعالى فكانوا سلام الله عليهم من أروع أمثلة

---

(١) الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء : ١٩٦.

(٢) يس ٣٦ : ٨٢.

الإيمان والتقوى فآثروا رضا الله في كلّ شيء ولم يؤثر عن أي أحد منهم انّه اقترف ما خالف الله تعالى ، وإنّما كانت سيرتهم حافلة بالفضائل بجميع مفاهيمها وصورها .

بعض الآيات النازلة في أمير المؤمنين عليه السلام

وقبل أن نطوي الحديث عن الآيات النازلة في حقّ أهل البيت عليهم السلام نعرض إلى بعض الآيات الكريمة التي أشادت بفضل إمام المتّقين ووصيّ رسول ربّ العالمين الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام وأبرزته كأسمى شخصيّة إسلامية . وهي توحي بمدى أهمّيته البالغة عند الله تعالى ، وانّه بعد الرسول الأعظم في سموّ ذاته ، وعظم شأنه .

لقد أعلنت الكوكبة من المصادر أنّه نزلت في حقّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ثلاثمائة آية[1] . ولم ينزل هذا العدد في حقّ غيره من أعلام الإسلام ، ونعرض ـ بإيجاز ـ لبعضها :

١ ـ قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[2] .

روى الطبري بسنده عن ابن عبّاس ، قال : « لمّا نزلت هذه الآية وضع النبيّ صلى الله عليه وآله يده على صدره فقال :

أَنا الْمُنْذِرُ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ ، وأومأ إلى منكب عليّ عليه السلام ، فقال : **أَنْتَ الهادي يا عَلِيُّ ، بِكَ يَهْتَدي الْمُهْتَدون بَعْدي »**[3] .

---

(١) تاريخ بغداد : ٢٢١/٦ . الصواعق المحرقة : ٧٦ . نور الأبصار : ٧٦ ، وأخرج الخطيب البغدادي عن ابن عبّاس أنّه نزلت في حقّ عليّ ثلاثمائة آية ، وأنّه ما نزل في أحد من كتاب الله ما نزل في عليّ .

(٢) الرعد ١٣ : ٧ .

(٣) تفسير الطبري : ٢٧٢/١٣ ، وقريب منه في كنز العمال : ١٥٧/٦ ، ومستدرك الحاكم : ١٢٩/٣ . كنوز الحقائق : ٤٢ .

٢ ـ قال تعالى : ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾[١] .

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

« **قالَ لي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَها أُذُنَكَ يا عَلِيُّ ، فَما سَمِعْتُ مِنْ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله شَيْئاً فَنَسيتُه** »[٢] .

٣ ـ قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[٣] .

نزلت هذه الآية في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وسبب نزولها انّه كانت عند الإمام أربعة دراهم فأنفق في الليل درهماً ، وفي النهار درهماً ، وفي السرّ درهماً ، وفي العلانية درهماً ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : « **ما حَمَلَكَ عَلىٰ هذا ؟ فقال : أَنْ اسْتَوجِبَ عَلَى اللهِ ما وَعَدَني** »[٤] .

٤ ـ من الآيات النازلة في حقّ الإمام عليه السلام قوله تعالى :

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَـٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** ﴾[٥] .

روى ابن عساكر بسنده عن جابر بن عبدالله ، قال :

« كنّا عند النبيّ صلى الله عليه وآله فأقبل عليّ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : **وَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ أَنَّ هذا**

---

(١) الحاقة ٦٩ : ١٢ .

(٢) كنز العمّال : ٤٠٨/٦ ، وقريب منه في أسباب النزول / الواحدي : ٣٢٩ . تفسير الطبري : ٣٥/٢٩ .

(٣) البقرة ٢ : ٢٧٤ .

(٤) أسد الغابة : ٢٥/٤ . الصواعق المحرقة : ٧٨ . أسباب النزول / الواحدي : ٢٦٤ . الرياض النضرة : ٢٠٦/٢ .

(٥) البيّنة ٩٨ : ٧ .

وَشيعَتَهُ هُمُ الْفائِزُونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وما انتهى النبيّ من كلامه حتى نزلت هذه الآية »[١].

٥ ـ قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾[٢].

روى الصحابي العظيم أبو ذرّ قال:

« صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللّهمّ اشهد أنّي سألت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فما أعطاني أحد شيئاً، وعليّ كان راكعاً، فأومأ إليه بخنصره الأيمن وكان فيه خاتم، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمرأى من النبيّ صلى الله عليه وآله فقال:

اللّهُمَّ إنَّ أَخي موسىٰ عليه السلام سَأَلَك فَقالَ: ﴿ رَبِّ اشْرَح لي صَدْري إلى قوله: وَأَشْرِكْهُ في أَمْري ﴾[٣] فَأَنْزَلْتَ قُرْآناً ناطِقاً ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلَ لَكُمَا سُلْطاناً ﴾[٤] اللّهُمَّ وَأَنا مُحَمَّدٌ نَبِيُّك وَصَفِيُّك، فاشْرَحْ لي صَدْري، وَيَسِّرْ لي أَمْري، وَاجْعَلْ لي وَزيراً مِنْ أَهْلي، عَلِيّاً اشْدُدْ بِهِ ظَهْري.

قال أبو ذرّ: فوالله ما أتمّ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الكلمة حتى نزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد اقرأ:

﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ**

---

(١) الدرّ المنثور في تفسير هذه الآية، وقريب منه ذكره الطبري في تفسيره: ١٧/٣٠. الصواعق المحرقة: ٩٦. نور الأبصار: ٧٠.

(٢) المائدة ٥: ٥٥.

(٣) طه ٢٠: ٢٥ ـ ٣٢.

(٤) القصص ٢٨: ٣٥.

الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ »[١].

حصرت الآية الكريمة الولاية العامّة في الله تعالى وفي رسوله العظيم وفي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد عبّر عنه بصيغة الجمع تعظيماً لشأنه وتكريماً لمقامه بالاضافة إلى اسمية الجملة وحصرها بكلمة « إنّما » ، وهي تدلّ على حصر الولاية في الله ورسوله وفي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

٦ ـ قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾[٢].

نزلت الآية الكريمة على الرسول صلى الله عليه وآله في غدير خم في منصرفه من حجّة الوداع ، فأمر صلى الله عليه وآله بإقامة منبر له ، فأُقيم له منبر من حدائج الإبل فاعتلى عليه وخطب خطبته البليغة ، ثمّ نصب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خليفة من بعده ، وقال :

« **مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهذا عَليٌّ مَوْلاهُ ، اللّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ ، وَعادِ مَنْ عاداهُ** » وصافحه عمر بن الخطاب ، وقال له : هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة[٣] .

لقد نزلت الآية الكريمة في يوم الغدير الخالد ، وهو من أشهر أعياد الإسلام ، وقد أقام الرسول صلى الله عليه وآله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خليفة من بعده ، وقائداً عامّاً لمسيرة أُمّته ، وقد أمر الرسول صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم جميع من حضر في غدير خم البالغ عددهم ما يزيد على مائة وعشرين ألفاً بمبايعة الإمام كما أمر أُمّهات المؤمنين بمبايعته ، وبذلك فقد تقلّد الإمام عليه السلام رئاسة الدولة الإسلامية بعد النبيّ صلى الله عليه وآله .

---

(١) تفسير الرازي في تفسيره للآية . نور الأبصار : ١٧٠ . تفسير الطبري : ٦/١٨٦ . ذخائر العقبى : ١٠٢ .

(٢) المائدة ٥ : ٦٧ .

(٣) تفسير الرازي في تفسير هذه الآية . أسباب النزول / الواحدي : ١٥٠ . تاريخ بغداد : ٨/٢٩٠ .

٧ـ قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾[١].

نزلت الآية الكريمة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة عندما أقام النبيّ صلى الله عليه وآله الإمام أمير المؤمنين خليفة من بعده[٢]. لقد تمّت نعمة الله الكبرى على المسلمين وكمل الدين بولاية إمام المتّقين ووصيّ رسول ربّ العالمين.

٨ ـ قال تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾[٣].

نزلت الآية الكريمة في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والعبّاس بن عبدالمطّلب، وطلحة بن شيبة فقد افتخر هؤلاء بعضهم على بعض فقال العباس : أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال طلحة : أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه وإليّ ثياب بيته، وقال الإمام : ما أدري ما تقولان ؟ لقد صلّيت ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله فيهم هذه الآية[٤].

إنّ فضائل الإمام وجهاده في سبيل الله وعظيم إيمانه لا يقاس بها أي عمل من أعمال الخير.

٩ ـ قال تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ ﴾[٥].

نزلت الآية في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفي الوليد بن عقبة بن أبي معيط، فقد

---

(١) المائدة ٥ : ٣.

(٢) تاريخ بغداد : ٨/٢٩٠.

(٣) التوبة ٩ : ١٩.

(٤) أسباب النزول / الواحدي : ١٨٢. تفسير الطبري : ١٠/٦٨. تفسير الرازي في تفسيره للآية.

(٥) السجدة ٣٢ : ١٨.

افتخر على الإمام فقال له : أنا أبسط منك لساناً وأحدّ منك سناناً وأردّ منك للكتيبة فردّ عليه الإمام قائلاً : « اسْكُتْ فَإنَّك فاسِقٌ » ، فأنزل الله فيهما الآية الكريمة[١].

١٠ ـ قال تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِن رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِن ذِكْرِ اللهِ أُوْلَـٰئِكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[٢].

نزلت الآية في الإمام أمير المؤمنين ﷺ وحمزة وأبي لهب ، فالإمام وعمّه الشهيد حمزة ممّن شرح الله صدرهما للإسلام وملأ قلوبهم بالإيمان وأمّا أبو لهب فقد قسا قلبه وهو في ضلال مبين[٣].

١١ ـ قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُواْ السَّيِّئَاتِ أَن نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[٤].

قال الرازي نقلاً عن الكلبي :

إنّ الآية نزلت في عليّ وحمزة وعبيدة ، وفي ثلاثة من المشركين : عتبة وشيبة والوليد بن عتبة وهؤلاء قالوا للمؤمنين : والله ، ما أنتم على شيء ولو كان ما تقولون حقّاً لكان حالنا أفضل من حالكم في الآخرة كما أنا أفضل حالاً منكم في الدنيا ، فأنكر الله تعالى مقالتهم وبيّن انّه لا يمكن أن يكون حال المؤمن المطيع لله مساوياً لحال الكافر العاصي في درجات الثواب ومنازل الأبرار[٥].

---

(١) تفسير الطبري : ٦٨/٢١. أسباب النزول / الواحدي : ص٢٦٣. تاريخ بغداد : ٣٢١/١٣. الرياض النضرة : ٢٠٦/٢.

(٢) الزمر ٣٩ : ٢٢.

(٣) الرياض النضرة : ٢٠٧/٢.

(٤) الجاثية ٤٥ : ٢١.

(٥) تفسير الرازي : ٢٦٦/٢٧.

١٢ ـ قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾[١].

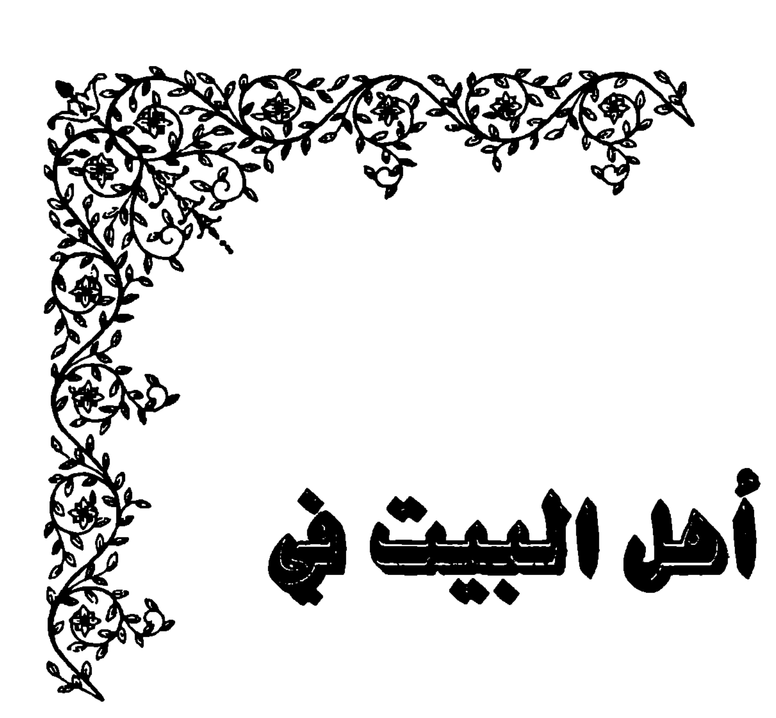
سبب نزول الآية الكريمة انّ الإمام أمير المؤمنين ﷺ ومعه جماعة من المؤمنين الأخيار مرّوا على جماعة من المنافقين فجعلوا يسخرون ويستهزءون منهم ، ثمّ رجعوا إلى أصحابهم فقالوا لهم : رأينا اليوم الأصلع فضحكنا منه ، فنزلت الآية على النبيّ ﷺ قبل أن يصل إليه الإمام[٢].

وبهذا نطوي الحديث عن بعض الآيات النازلة في سيّد العترة الطاهرة الإمام أمير المؤمنين ﷺ رائد الحقّ والعدالة في دنيا الإسلام وبه تنتهي الصفحات الأخيرة من هذا الكتاب ولله الحمد .

---

(١) المطفّفين ٨٣: ٢٩.

(٢) تفسير الكشّاف : ٤/٧٢٤.



أهل البيت في ظلال السنة النبوية

تقديم



إنّ أعظم ثورة عملاقة شاهدها العالم هي الثورة الإسلامية العظمى التي فجّرها رسول ربّ العالمين وخاتم المرسلين محمّد ﷺ ، فقد غيّرت مجرى التاريخ ، وقلبت المفاهيم السائدة التي ألقت الإنسان في مستوى سحيق من مجاهيل هذه الحياة ما له من قرار .



لقد عاش ابن آدم المجهود المكدود حياة بائسة تسودها الفوضى والتأخّر والانحطاط ، ومن أسوء صورها عبادة الأصنام التي هي من صنع الإنسان واعتقاده بأنّ مجريات الأحداث ، ومصير الكون خاضعة لها ، ولم ينظر إلى آفاق الكون وبدائع المخلوقات ، فقد كان حجاب على أفكارهم وعقولهم صدّهم عن التأمّل والفكر والنظر إليها .



وعانت المرأة ألواناً مريرة من الظلم والشقاء في العصر الجاهلي الذي لم يُقِم أي وزن

لحقوق الإنسان ، فقد جهد المجتمع على اذلالها وهضمها ، وحرمانها من جميع الحقوق الطبيعية ، وكان من القسوة بها أنّها لا ترث ولا تورث ، وإذا مات زوجها ورثها الابن الأكبر فإن شاء تزوّج بها ، وإن شاء زوّجها للغير وأخذ مهرها ، وجاء الإسلام فحرّرها من القيود والأغلال ، وساوى بينها وبين الرجل في جميع الحقوق والواجبات .



ومن مظاهر الانحطاط الفكري والخُلقي في المجتمع الجاهلي وأد البنات ، ومن أمثلتهم الشائعة « دفن البنات من المكرمات » فكان الشخص إذا ولدت زوجته بنتاً سارع إلى دفنها والتخلّص منها ، وجاء الإسلام فحرّم ذلك ، ونعى عليهم ما هم فيه من الظلم ، قال تعالى :

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾[1]



من معالم الحياة البائسة التي عاشها الإنسان قبل فجر الدعوة الإسلامية هو الغزو الظالم الذي يقوم به الأقوياء لنهب الضعفاء والاستيلاء على ممتلكاتهم وإبادة رجالهم ، ونهب نسائهم ، وقد ساد الفقر وعمّ البؤس ، وانتشر الذعر . وكانت هذه الظاهرة من الكوارث المدمّرة التي مُنِي بها ذلك المجتمع الجاهلي ولمّا منّ الله على عباده بنعمة الإسلام حرّم الغزو ، وأمر بمعاقبة مقترفيه بأشدّ ما يكون العقاب وأقساه .

---

(١) التكوير ٨١ : ٨ و٩ .



وكان من أهمّ ما عنى به الإسلام في رسالته المشرقة مكافحة الفقر واقصائه عن حياة الناس ، واشاعة الرفاه والاخاء بين جميع الطبقات ، فلا ظلّ للبؤس والحرمان في نظام الإسلام الذي قرن بين الكفر والفقر ، فشرّع من الأنظمة الخلّاقة التي تزيل شبح الفقر عن حياة الناس ، فقد قنّن التكافل الاجتماعي ، والتضامن الاجتماعي ، وغير ذلك من الضرائب التي قنّنها ، وهي بدورها تزيل هذا الكابوس الرهيب عن حياة الناس .



وليس في المجتمع الجاهلي أي ظلّ للعلم والعرفان فقد سادت فيه الأُمّيّة ، وعمّ الجهل ، وشاعت الخرافات في جميع الأوساط ، ولمّا فجر الرسول الأعظم ﷺ دعوته الخلّاقة التي أضاءت سماء الدنيا ، حمل معول الهدم على الجهل والأُمّية ، وجعل طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة ، وأمر بالعلم على سعته وشموله وطلبه ولو كان في الصين .

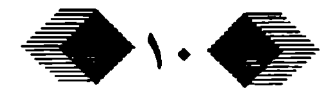


وعالج الإسلام في تشريعاته الخالدة جميع شؤون الإنسان ، ولم يهمل أي جانب من جوانب حياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية .

فقد وضع لها الحلول والبرامج العلمية التي يسعد بها الإنسان ، ويكون في مأمن من الأزمات والخطوب ، وتكون أُمّة الإسلام في نفس الوقت رائدة الشعوب إلى ما فيه خيرها وسعادتها .



ومن أهمّ أهداف الثورة الإسلامية ايجاد الروابط الاجتماعية ونشر المحبّة واشاعة الاخاء بين المسلمين ، فقد آخى الرسول الأعظم ﷺ بين أصحابه ، وآخى بينه وبين وصيّه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ووضع الأسس المتينة والأسباب الوثيقة لتماسك مجتمعه ، وترابطه بحيث لا توجد بين صفوفه أيّة ثغرة يسلك منها لانحلاله .. فقد اعتبر الإسلام أقوى من رابطة النسب والدم بين معتنقيه ، وجعل المسلم أخ المسلم يشاركه في مكاره الدهر ، وبؤس الحياة .



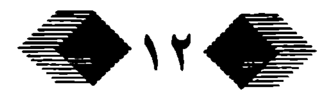
ومن الطبيعي أن تكون لقيم الإسلام ومبادئه وشعاراته التي رفعها قوّة تحميها ، وتحافظ عليها ، وتساندها ، وتصدّ عنها القوى الجاهلية والحاقدة عليها من الخارج والداخل الذين يكيدون للإسلام في النهار إذا تجلّى وفي الليل إذا يغشى .

وقد أسّس الرسول ﷺ دولته العظمى التي هي أقوى دولة في الشرق العربي ، وقد أمدّها بجميع مقوّمات الارتقاء والنهوض لتكون حارسة لرسالته وأمّته .



وكان من أهمّ ما عنى به الرسول الأعظم ﷺ أمر القيادة العامّة لدولته وأمّته فإنّه لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن تحتلّ أمّته مركزاً كريماً تحت الشمس وتكون رائدة الشعوب ، وخير أمّة أخرجت للناس من دون أن تكون لها قيادة واعية تحقّق أهدافه وشعاراته وتؤمن بجميع قيمه ، وما يصبو إليه ، ومن الطبيعي أن اهمال ذلك إنّما هو

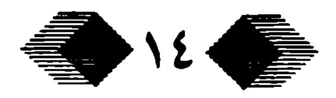
تدمير لقيمه ورسالته .



ونظر الرسول صلى الله عليه وآله بعمق وشمول إلى أصحابه وأسرته ليقلّدهم منصب الخلافة من بعده ويحمّلهم المسؤولية العظمى في صيانة رسالته ، والحفاظ على قيمه . لقد اهتمّ النبيّ صلى الله عليه وآله بهذه الجهة اهتماماً بالغاً ، وأولى ذلك المزيد من عنايته ، وقد رأى صلى الله عليه وآله أن أكثر أصحابه وعياً لمبادئه ، وايماناً بقيمه والتزاماً بما جاء عنه ، هم أهل بيته الممجدون الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ، وعلى رأسهم أخوه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقلّده منصب الخلافة في فجر الدعوة الإسلامية حينما دعا أسرته إلى الإسلام والايمان فما آمن به أحد واستجاب لدعوته سوى الإمام ، وكان في مقتبل شبابه فجعله وصيّاً ووليّاً لعهده ، ثمّ قلّده علناً منصب الخلافة في غدير خم ، وأمر المسلمين بمبايعته ، وحديث الغدير متواتر قطعي لا يخالجه ريب ولا شكّ .



ويكفى للتدليل على أهمّية أهل البيت عليهم السلام وسموّ مكانتهم عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله ، هي الأخبار المتواترة القطعيّة السند والصدور التي أثرت عن النبيّ صلى الله عليه وآله في فضل أهل بيته وجعلت مودّتهم جزءً من العقيدة الإسلامية فمن أحبّهم وأخلص لهم فقد كمل إسلامه ، ومن أبغضهم فليس هو من الإسلام في شيء حسبما دلّت الأخبار على ذلك .



ونعني بأهل البيت عليهم السلام هم الذين نزلت فيهم آية التطهير ، وفرض الله مودّتهم على كلّ

مسلم ، وهم :

١ ـ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أخو النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وباب مدينة علمه ومن كان منه بمنزلة هارون من موسى .

٢ ـ البضعة الطاهرة حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة الزهراء التي يرضى الله لرضاها ، ويغضب لغضبها .

٣ ـ الإمام الحسن المجتبى ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو وأخوه الإمام الحسين عليهما السلام سيّدا شباب أهل الجنّة ، وإمامان إن قاما وإن قعدا .

٤ ـ الإمام الحسين عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته ، الشهيد الخالد في دنيا الإسلام الذي وهب حياته لله ، فقاوم المدّ الجاهلي الذي تبنّته الأُسرة الأُموية وعلى رأسها فاجر قريش يزيد بن معاوية حفيد أبي سفيان ، فثار الإمام الحسين عليه السلام في وجهه واستشهد مع أهل بيته البررة وأصحابه الممجدين ، وقد بنى الإمام في شهادته مجداً للإسلام ، وعزّاً للمسلمين وأخلد الخزي والعار للأمويّين وأنقذ الإسلام من الخطر الجاهلي ، فما أعظم عائدته على الإسلام .

وهؤلاء السادة هم أهل بيت النبوّة ، ومعدن الرسالة وخزنة الوحي ، الذين أتشرّف في نقل ما أثر في حقّهم من الأخبار التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .



ونعرض في هذا الكتاب إلى الأخبار التي أثرت عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في فضل أهل بيته ، وهي على طائفتين وهما :

الطائفة الأُولى : الأخبار الواردة في عموم أهل البيت عليهم السلام .

الطائفة الثانية : الأخبار التي وردت في فضل كلّ واحد منهم ، وكلا القسمين من الأخبار يكشفان عن مدى أهمّية أهل البيت عليهم السلام ، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد أحاطهم بهالة من

التعظيم والتبجيل لم يحظ بمثلها أحد من أسرته وصحابته .

وبهذا نطوي الحديث عن هذا التقديم سائلين من الله تعالى أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجزل لنا المزيد من الأجر إنّه تعالى ولي ذلك والقادر عليه .

مكتبة الإمام الحسن العامة
النجف الأشرف

باقر شريف القرشي
٢٢ /ربيع الأوّل /١٤١٧هـ

أحاديث النبيّ ﷺ في فضل عترته

تظافرت الأخبار عن النبيّ ﷺ في فضل عترته ، ووجوب مودّتهم ، ولزوم التمسّك بهم ، وهذه بعضها :

١ ـ روى زيد بن أرقم : « أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ وفاطمة والحسن والحسين :

أَنا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبْتُمْ ، وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمْتُمْ »[١] .

٢ ـ روى أبو بكر قال : « رأيت رسول الله ﷺ خيّم خيمة ، وهو متكّىء على قوس عربية ، وفي الخيمة عليّ وفاطمة والحسن والحسين : فقال :

« مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَنا سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَ أَهْلَ الْخَيْمَةِ ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حارَبَهُمْ ، وَوَلِيٌّ لِمِنْ وَالاهُمْ ، لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا سَعِيْدُ الْجَدِّ ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا شَقِيُّ الْجَدِّ رَدِيءُ الْوِلَادَةِ »[٢] .

ومحتوى الحديثين أنّ النبيّ ﷺ جعل أهل بيته بمنزلة نفسه ، فمن سالمهم فقد سالمه ، ومن حاربهم فقد حاربه ، وهذا غاية ما يتصوّر من الولاء والتعظيم لهم .

٣ ـ روى ابن عبّاس ، قال : « قال رسول الله ﷺ :

---

(١) صحيح الترمذي : ٣١٩/٢ ، وفي سنن ابن ماجة : ٢/١ : « إنّ النبيّ ﷺ قال : أنا سلم لمن سالمتم ، وحرب لمن حاربتم » ، ومثله رواه الحاكم في مستدركه : ١٤٩/٣ ، وابن الأثير في أسد الغابة : ٥٢٣/٥ ، وأحمد في مسنده : ٤٤٢/٢ ، والخطيب البغدادي في تاريخه : ٣٦/٧ .

(٢) الرياض النضرة : ٢٥٢/٢ . فرائد السمطين : ٤٠/٢ ، الحديث ٣٧٣ . شرح الأخبار : ٥١٥/٣ .

النُّجُومُ أَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنَ الْغَرَقِ، وَأَهْلُ بَيْتِي أَمَانٌ لِأُمَّتِي مِنَ الاخْتِلَافِ، فَإِذا خَالَفَتْهُمْ قَبِيلَةٌ مِنَ الْعَرَبِ اخْتَلَفُوا فَصَارُوا حِزْبَ إِبْلِيسَ»[١].

إنّ أهل البيت قد جعلهم الرسول ﷺ رصيداً لأُمّته وضماناً لها من الاختلاف والفرقة، فإذا خالفتهم الأُمّة صارت حزب الشيطان، وابتعدت عن الإسلام.

٤ ـ روى أحمد بن حنبل بسنده: «أنّ النبيّ ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين، وقال:

«مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هٰذَيْنِ وَأَباهُمَا كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيامَةِ»[٢].

إنّ حبّ أهل البيت عليهم السلام حبّ لرسول الله ﷺ وولاءهم ولاء له، ومن ظفر بذلك فإنّه يُحشر مع النبيّ ﷺ وقد حدّث بهذا الحديث النضر بن عليّ فنقل ذلك إلى فاجر بني العبّاس المتوكّل فأمر الطاغية بضرب النضر ألف سوط، فكلّمه جعفر بن عبدالواحد وقال له: إنّ هذا من أهل السنّة، وجعل يكرّر ذلك حتى تركه[٣].

٥ ـ روى زيد بن أرقم: «أنّ النبيّ ﷺ قال:

«إِنِّي تَارِكٌ فِيْكُمُ الثَّقَلَيْنِ ما إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِما لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَحَدُهُما أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ:

كِتابَ اللهِ، حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ؛ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَلَنْ

---

(١) مستدرك الحاكم: ١٤٩/٣، وفي كنز العمّال: ١١٦/٦، والصواعق المحرقة: ١١١: «إنّ النبيّ ﷺ قال: **النجوم أمان لأهل الأرض وأهل بيتي أمان لأُمّتي**»، ورواه بهذه الصورة المناوي في فيض القدير: ٢٩٧/٩، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٧٤/٩. الرياض النضرة: ٢٥٢/٢، وقريب منه في صحيح الترمذي: ٣١٩/٢. سنن ابن ماجة: ٥٢/١.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٧٧/١. صحيح الترمذي: ٣٠١/٢. كنز العمّال: ٩٧/١٢ و: ٣٩/١٣.

(٣) تهذيب التهذيب: ٤٣٠/١٠.

يَفْتَرِقا حَتّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تُخْلُفُونِي فِيْهِمَا »[١].

إنّ حديث الثقلين من أروع الأحاديث النبويّة ومن أصحّها سنداً ، وقد روته الصحاح والسنن ، وشاع بين المسلمين ، وتلقّاه العلماء بالقبول ، فقد قرن الرسول ﷺ بين كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وبين العترة الطاهرة وجعل التمسّك بهما مصدر هداية ورحمة لهذه الأُمّة .

ومن الجدير بالذكر أنّ النبيّ ﷺ كرّر هذا الحديث في مواضع متعدّدة كان منها ما يلي :

أ ـ روى جابر بن عبدالله الأنصاري الصحابي الجليل ، قال :

« رأيت رسول الله ﷺ في حجّته يوم عرفة ، وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول :

يا أَيُّها النَّاسُ ، إِنِّي تَرَكْتُ فِيْكُمْ ما إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا : كِتابَ اللهِ ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي »[٢].

ب ـ روى زيد بن أرقم ، قال :

« نزل رسول الله ﷺ الجحفة ، ثمّ أقبل على الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال :

إِنِّي لَا أَجِدُ لِنَبِيٍّ إِلَّا نِصْفَ عُمْرِ الَّذي قَبْلَهُ ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعىٰ ، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟

فهتفوا جميعاً :

---

(١) صحيح الترمذي : ٣٠٨/٢. أُسد الغابة : ١٢/٢.

(٢) كنز العمّال : ٨٤/١. صحيح الترمذي : ٣٠٨/٢.

نصحت ...

ثمّ وجّه إليهم هذه الكلمات قائلاً:

أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ؟

فانبروا جميعاً قائلين:

نشهد.

ورفع النبيّ ﷺ يده فوضعها على صدره وقال:

وَأَنا أَشْهَدُ مَعَكُم.

ثمّ التفت إليهم قائلاً:

أَلَا تَسْمَعُونَ؟

نعم.

ووجّه إليهم خطابه قائلاً:

فَإِنِّي فَرَطٌ[1] عَلَى الْحَوْضِ، وَأَنْتُمْ وَارِدُونَ عَلَيَّ الْحَوْضِ، وَأَنَّ عُرْضَهُ مَا بَيْنَ صَنْعاءَ وَبُصْرىٰ، فِيهِ أَقْدَاحٌ عَدَدَ النُّجُوْمِ مِنْ فِضَّةٍ فَانْظُرُوا كَيْفَ تُخْلِفُونِي فِي الثَّقَلَيْنِ؟

فناداه من بهو المجلس منادٍ:

ما الثقلان يا رسول الله؟

فقال موضّحاً له وللحاظرين المراد بالثقلين قائلاً:

«كِتابُ اللهِ طَرَفٌ بِيَدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَطَرَفٌ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ، وَالْآخَرُ

---

(١) الفرط: المتقدّم قومَه إلى الماء.

عَشِيْرَتِي[١]، وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ نَبَّأَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقا حَتّىٰ يَرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَسَأَلْتُ ذٰلِكَ رَبِّي، فَلَا تَقَدَمُوهُما فَتَهْلِكُوا، وَلَا تُقَصِّرُوا عَنْهُمَا، وَلَا تُعَلِّمُوْهُمْ فَهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ....».

ثمّ أخذ بيد وصيّه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين قائلاً:

مَنْ كُنْتُ أَوْلَىٰ بِهِ مِنْ نَفْسِهِ، فَعَلِيٌّ وَلِيُّهُ، اللّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ، وَعادِ مَنْ عَاداهُ»[٢].

جـ ـ وكرّر النبيّ ﷺ هذا الحديث وهو على فراش الموت، فقال لأصحابه:

«أَيُّها النَّاسُ، يُوْشِكُ أَنْ أُقْبَضَ قَبْضاً سَرِيعاً، فَيُنْطَلَقُ بي، وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ الْقَوْلَ مَعْذِرَةً إِلَيْكُمْ أَلَا إِنِّي مُخَلِّفٌ فِيْكُمْ كِتابَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي».

ثمّ أخذ بيد عليّ فقال:

«وَهٰذا عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ، وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لَا يَفْتَرِقانِ حَتّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»[٣].

إنّ حديث الثقلين ـ بصوره المتعدّدة ـ من أوثق الأحاديث النبوية سنداً ودلالة.

أمّا السند فقد ذكر المناوي عن السمهودي أنّه قال:

وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة كلّهم قد رووا هذا الحديث[٤].

---

(١) في كنز العمال: ٤٨/١: بدل «عشيرتي» لفظ «عترتي»..

(٢) مجمع الزوائد: ١٦٣/٩.

(٣) الصواعق المحرقة: ٧٥.

(٤) فيض القدير: ١٤/٣.

وقال ابن حجر: «ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابياً»[١] وقد ألّفت دار التقريب رسالة في سند هذا الحديث.

وأمّا دلالة الحديث فهي صريحة واضحة، وكان من معطياتها ما يلي:

أوّلاً: إنّها دلّت على حصر الإمامة والقيادة العامّة للمسلمين في أهل بيت النبوّة، الذين هم بعد القرآن الكريم.

ثانياً: دلّت على عصمة أهل البيت عليهم السلام من الرجس والآثام لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قرنهم بمحكم التنزيل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكما أنّ الكتاب معصوم من الباطل كذلك العترة وإلّا لما صحّت المقارنة بينهما.

إنّ البحث عن معطيات الحديث يستدعي الاطالة، وقد عرض جماعة من العلماء إلى معطياته بصورة موضوعية وشاملة[٢].

١ ـ روى أبوسعيد الخدري، قال: «سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول:

إنَّما مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَسَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبها نَجا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْها غَرِقَ، وَإِنَّما مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مثلُ بابِ حِطَّةٍ فِي بَنِي إِسْرائِيلَ، مَنْ دَخَلَهُ غُفِرَ لَهُ»[٣].

وحكى هذا الحديث لزوم التمسّك بأهل البيت عليهم السلام وإنّ التمسّك منجاة من الغرق، وسلامة من التردّي في مجاهل هذه الحياة.

---

(١) الصواعق المحرقة: ٣٦.

(٢) بحث عن الحديث الإمام شرف الدين في المراجعات: ٤٩ ـ ٥٦، والحجّة التقي الحكيم في الأصول العامّة: ١٦٤.

(٣) مجمع الزوائد: ١٦٨/٩. المستدرك: ٤٣/٢. تاريخ بغداد: ١٩/٢. حلية الأولياء: ٣٠٦/٤. ذخائر العقبى: ٢٠.

وعلّق الإمام شرف الدين على هذا الحديث بقوله :

« وأنت تعلم أنّ المراد من تشبيههم عليهم السلام بسفينة نوح أنّ من لجأ إليهم في الدين فأخذ فروعه وأصوله منهم نجا من عذاب النار ، ومن تخلّف عنهم كان كمن آوى يوم الطوفان إلى جبل ليعصمه من أمر الله ، غير أنّ ذاك غرق في الماء ، وهذا في الحميم ـ والعياذ بالله ـ.

والوجه في تشبيههم عليهم السلام بباب حطّة هو أنّ الله تعالى جعل ذلك الباب مظهراً من مظاهر التواضع لجلاله ، والبخوع لحكمه ، وبهذا كان سبباً للمغفرة . وهذا وجه الشبه .

وقد حاوله ابن حجر إذ قال ـ بعد أن أورد هذه الأحاديث وغيرها من أمثالها ـ:

ووجه تشبيههم بالسفينة أنّ من أحبّهم وعظّمهم شكراً لنعمة مشرفهم ، وأخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات ، ومن تخلّف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم وهلك في مفاوز الطغيان .. إلى أن قال :

وباب حطّة ـ يعني ووجه تشبيههم بباب حطّة ـ انّ الله جعل دخول ذلك الباب الذي هو باب اريحا أو بيت المقدّس مع التواضع والاستغفار سبباً للمغفرة وجعل لهذه الأمّة مودّة أهل البيت سبباً لها [(١)].

٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

« مَعْرِفَةُ آلِ مُحَمَّدٍ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ ، وَحُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ جَوَازٌ عَلَى الصِّرَاطِ ، وَالْوِلَايَةُ لِآلِ مُحَمَّدٍ أَمانٌ مِنَ الْعَذَابِ »[(٢)].

إنّ الولاء لآل محمّد صلى الله عليه وآله أمان من العذاب يوم القيامة ، وجواز على الصراط ،

---

(١) المراجعات : ٥٤.

(٢) المراجعات ـ الإمام الأعظم شرف الدين : ٥٤.

وما أعظم هذه النعمة على من والاهم وتمسّك بهم.

٣ ـ قال رسول الله ﷺ:

«اجْعَلُوا أَهْلَ بَيْتِي مِنْكُمْ مَكانَ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَمَكانَ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الرَّأْسِ، وَلَا يَهْتَدِي الرَّأْسُ إِلَّا بِالْعَيْنَيْنِ»(١).

وحكى هذا الحديث الزام النبيّ ﷺ لأُمّته بجعل أهل بيته في أسمى مكانة، وأجلّ منزلة، وتسليم القيادة العامّة لهم، فإنّهم مصدر الهداية، وأبواب الرحمة.

٤ ـ قال رسول الله ﷺ:

«لَا تَزُوْلُ قَدَما عَبْدٍ ـ يوم القيامة ـ **حَتّىٰ يُسْئَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ فِيمَ أَنْفَقَهُ وَمِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَعَنْ مَحَبَّتِنا أَهْلَ الْبَيْتِ»**(٢).

إنّ الولاء لأهل البيت عليهم السلام يسأل عنها الإنسان يوم القيامة، وهي ضرورة إسلامية.

٥ ـ قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَحْيا حَيَاتِي، وَيَمُوْتَ مَمَاتِي، وَيَسْكُنَ جَنَّةَ عَدْنٍ غَرَسَهَا رَبِّي فَلْيُوَالِ عَلِيّاً مِنْ بَعْدِي، وَلْيُوَالِ وَلِيَّهُ، وَلْيَقْتَدِ بِأَهْلِ بَيْتِي مِنْ بَعْدِي، فَإِنَّهُمْ عِتْرَتِي خُلِقُوا مِنْ طِيْنَتِي، وَرُزِقُوا مِنْ فَهْمِي وَعِلْمِي، فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ بِفَضْلِهِمْ مِنْ أُمَّتِي، الْقاطِعِيْنَ فِيْهِمْ صِلَتِي، لَا أَنالَهُمُ اللهُ شَفَاعَتِي»(٣).

وحكى هذا الحديث المنزلة الكريمة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام عند الله ورسوله،

---

(١) المراجعات: ٥٨، نقلاً عن الشرف المؤبّد.

(٢) المراجعات: ١٥٨.

(٣) كنز العمّال: ٢١٧/٦.

وفضل أهل البيت عليهم السلام الذين هم سدنة علم النبيّ صلى الله عليه وآله وخزنة حكمته.

٦ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَخْبَرَني رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَنا وَفاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَين.

قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، فَمُحِبّونا؟

قالَ: مِنْ وَرائِكُم»[1].

لقد كرّم الله أهل البيت، وجعلهم الفائزين بألطافه فهم أوّل من يدخل الفردوس الأعلى وينعمون فيه ومن ورائهم شيعتهم المقتدين بهديهم والسائرين على طريقتهم.

٧ ـ روى أبو سعيد الخدري:

«أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام فقال:

«إِنّي وَإِيّاكَ وَهذا النّائِمُ ـ يعني عليّاً ـ **وَهُما** ـ يعني الحسن والحسين ـ **لَفي مَكانٍ واحِدٍ يَوْمَ الْقِيامَةِ»**[2].

هذه بعض الأحاديث التي رواها الثقات، ودوّنتها الصحاح عن النبيّ صلى الله عليه وآله في فضل عترته الطيّبين، والمتأمّل فيها يرى أن غرض النبيّ صلى الله عليه وآله منحهم قيادة الأُمّة، وترشيحهم للخلافة العظمى من بعده حتى لا تزيغ أُمّته في مسيرتها، ولا تنحرف في سلوكها، وتحقّق ما أراده الله لها من السيادة على عامّة شعوب الأرض وأمم العالم.

---

(١) مستدرك الحاكم: ١٥١/٣.

(٢) مستدرك الحاكم: ١٣٧/٣.

الإشادة بفضل كلّ واحد من أهل البيت عليهم السلام

وبعد ما ذكرنا كوكبة من الأخبار النبويّة التي نصّت على فضل أهل البيت عليهم السلام نعرض إلى طائفة أُخرى من الأخبار وردت في فضل كلّ واحد منهم ، وفيما يلي ذلك :

الإمام علي

وحفلت مصادر الحديث من صحاح وسنن بطائفة من الأحاديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله في فضل أخيه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وتعظيم شأنه ، وسموّ مكانته ، وأنّه لا يدانيه أحد في فضله ، وعظيم منزلته عند النبيّ صلى الله عليه وآله ، وهذه بعض الأخبار :

١ ـ الإمام عليه السلام نفس النبيّ صلى الله عليه وآله

أمّا أنّ الإمام نفس النبيّ صلى الله عليه وآله فقد دلّت عليه آية المباهلة ، وقد عرضنا لها بالتفصيل في كتابنا « أهل البيت في رحاب القرآن » ، وبالاضافة إلى الآية فقد صرّح النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك حينما أخبره الوليد بن عقبة أخو عثمان لأُمّه أنّ بني وليعة قد ارتدّوا عن الإسلام فغضب النبيّ صلى الله عليه وآله وقال :

« لَيَنْتَهِيَنَّ بَنُوْ وَلِيْعَةَ أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْهِمْ رَجُلاً كَنَفْسِي ، يَقْتُلُ مَقَاتِلَهُمْ وَيَسْبِي

ذَرَارِيَهِمْ ، وَهُوَ هٰذا ـ وأشار إلى الإمام عليّ عليه السلام ـ ثمّ ضرب على كتفه »[١].

وروى عمرو بن العاص ، قال :

« لمّا قدمت من غزوة ذات السلاسل ، وكنت أظنّ أن ليس أحد أحبُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله منّي فقلت : يا رسول الله ، أي النّاس أحبُّ إليك ؟ فذكر أُناساً ، قلت : يا رسول الله ، فأين عليّ ؟ فالتفت إلى أصحابه ، فقال :

إِنَّ هٰذا يَسْأَلُنِي عَنِ النَّفْسِ »[٢].

إنّ الإمام عليه السلام نفس رسول الله صلى الله عليه وآله في أفكاره وسلوكه ، وهديه .

٢ ـ الإمام عليه السلام أخو النبيّ صلى الله عليه وآله

وأعلن النبيّ صلى الله عليه وآله في كثير من أحاديثه أنّ الإمام عليه السلام أخوه في الدنيا والآخرة .

فقد روى الترمذي بسنده عن ابن عمر ، قال :

« آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه فجاء عليّ تدمع عيناه ، فقال :

يا رَسُولَ اللهِ ، آخَيْتَ بَيْنَ أَصْحابِكَ ، وَلَمْ تُواخِ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ ؟ » .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : **أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنيا وَالْآخِرَةِ** »[٣].

وأي اخوّة أوثق من هذه الاخوّة ؟ وأيّ رابطة مثل هذه الرابطة ، فقد تجاوزت

---

(١) مجمع الزوائد : ٧/١١٠ ، وكذّب القرآن الكريم أخبار الوليد ووسمه بالفاسق ، قال تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ ﴾ ـ سورة الحجرات ٤٩ : ٦ ، نصّ على ذلك الزمخشري في الكشّاف في تفسيره للآية الكريمة ، وكذلك الرازي والطبري وغيرهم .

(٢) كنز العمال : ٦/٤٠٠ .

(٣) صحيح الترمذي : ٢/٢٩٩ . مستدرك الحاكم : ٣/١٤ .

حدود الزمان والمكان .

وروى الإمام أبو جعفر عليه السلام ، قال :

« لَمّا نَزَلَتِ الآيَةُ : ﴿ وَاجْعَل لي وَزِيراً مِن أَهْلي ﴾ كانَ رَسُولُ اللهِ عَلىٰ جَبَلٍ ثُمَّ دَعا رَبَّهُ وَقالَ : اللّهُمَّ اشْدُدْ أَزْري بِأَخي عَليٍّ ، فَأَجابَهُ إلىٰ ذٰلِكَ »[1] .

وكثير من أمثال الأحاديث صرّحت أنّ الإمام عليه السلام أخو النبيّ صلى الله عليه وآله[2] فقد أبرز الإمام في سلوكه مع النبيّ صلى الله عليه وآله جميع مفاهيم الاخوة ، ففداه بنفسه في مبيته على فراشه حينما أجمعت قريش على قتله ، ووقف كالطود الأشم في الحروب التي أجّجتها قريش ضدّ رسول الله صلى الله عليه وآله فكان الإمام إلى جانبه يحميه ، ويذبّ عنه ، ويفديه بروحه .

٣ ـ الإمام عليه السلام وزير النبيّ صلى الله عليه وآله

وأعلن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وزيره ، فقد روت أسماء بنت عميس ، قالت :

« سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول :

اللّهُمَّ إنّي أَقُولُ كَما قالَ أَخِي مُوسىٰ : اللّهُمَّ اجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي ، أَخِي عَلِيّاً ، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ، كَي نُسَبِّحَكَ كَثِيراً ، وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ، إنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيراً »[3] .

---

(١) الدرّ المنثور : ٥٢٨/٤ .

(٢) ذكرنا عرضاً للروايات التي وردت عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ الإمام أخوه في موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

(٣) الرياض النضرة : ١٦٣/٢ .

وروى الصحابي الجليل أبوذر الغفاري ، قال :

« صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً من الأيام الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً ، فرفع السائل يديه إلى السماء ، وقال :

اللّهمّ اشهد إنّي سألت في مسجد نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله فلم يعطني أحد شيئاً ، وكان عليّ في الصلاة راكعاً ، فأومأ إليه بخنصره اليمنى ، وفيها خاتم ، وذلك بمرأى من النبيّ صلى الله عليه وآله وهو في المسجد فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله طرفه إلى السماء ، وقال :

اللّٰهُمَّ إنَّ أَخِي مُوسىٰ سَأَلَكَ فَقالَ: ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لي صَدْري * وَيَسِّرْ لي أَمْري * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَاني * يَفْقَهُوا قَوْلي * وَاجْعَل لي وَزِيراً مِن أَهْلي * هَارُونَ أَخي * اشْدُدْ بِهِ أَزْري * وَأَشْرِكْهُ في أَمْري ﴾ .

فأنزلت عليه : **﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ﴾ .**

اللّٰهُمَّ وَإِنِّي مُحَمَّدٌ نَبِيُّكَ وَصَفِيُّكَ ، اللّٰهُمَّ فَاشْرَحْ لِي صَدْرِي ، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ، وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي ، عَلِيّاً اُشْدُدْ بِهِ ظَهْرِي » .

قال أبو ذر : فما استتمّ دعاءه حتى نزل جبرئيل من عند الله عزّ وجلّ ، وقال : يا محمّد ، اقرأ :

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ »[1] .

والوزارة من المناصب الرفيعة في النبوّة ، وقد منحها الله تعالى إلى الإمام أمير

---

(١) نور الأبصار : ٧.

المؤمنين فهو وزير رسول الله ﷺ وباب مدينة علمه .

٤ ـ الإمام عليه السلام خليفة النبيّ ﷺ

وصرّحت جمهرة من المصادر أنّ النبيّ ﷺ أشاع بين المسلمين أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خليفته من بعده على اُمّته ، وهذه بعض الأخبار :

قال ﷺ في يوم الدار :

« **إنّ هذا** ـ وأشار بيده إلى عليّ ـ **أَخِي ، وَوَصِيِّي ، وَخليفَتِي فِيْكُمْ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا** »[١] .

وعنه ﷺ : « **يا عَلِيُّ ، أَنْتَ خَلِيْفَتِي عَلىٰ اُمَّتِي** »[٢] .

وعنه ﷺ : « **عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَقْدَمُهُمْ سِلْماً ، وَأَكْثَرُهُمْ عِلْماً ، وَهُوَ الْإِمامُ وَالْخَلِيفَةُ بَعْدِي** »[٣] .

وعنه ﷺ : « **«مَعاشِرَ النَّاسِ ، مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ قِيلاً ؟ إِنَّ رَبَّكُم جَلَّ جَلَالُهُ أَمَرَنِي أَنْ أُقِيمَ لَكُم عَلِيّاً عَلَماً وَإِماماً وَخَلِيفَةً وَوَصِيّاً** »[٤] .

وعنه ﷺ : « **إِنَّ اللهَ أَوْحىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ جاعِلٌ لِي مِنْ اُمَّتِي أَخاً ، وَوارِثاً ، وَخَلِيفَةً ، وَوَصِيّاً ، فَقُلْتُ : يا رَبِّ مَنْ هُوَ ؟ فَقالَ : ذٰاكَ مَنْ اُحِبُّهُ وَيُحِبُّنِي ، وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ**

---

(١) تاريخ الطبري : ٢/١٢٧ . الكامل في تاريخ /ابن الأثير : ٢/٢٢ . تاريخ أبي الفداء : ١/١١٦ . مسند أحمد بن حنبل : ١/٣٣١ . كنز العمّال : ٦/٣٩٦ .

(٢) المراجعات : ٢٠٨ .

(٣) المصدر السابق : ٢٠٩ .

أَبِي طَالِبٍ»[١].

وكثير من أمثال هذه الأحاديث رويت بأسانيد صحيحة من أئمّة أهل البيت عليهم السلام وغيرهم وهي صريحة الدلالة على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أقام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خليفة ووصيّاً، وقائداً لأمّته من بعده.

٥ ـ اطاعة الإمام عليه السلام إطاعة للرسول صلى الله عليه وآله

وأُثرت عن النبيّ صلى الله عليه وآله طائفة من الأخبار أنّ اطاعة الإمام اطاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله كان منها ما يلي:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مَنْ أَطاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَ عَلِيّاً فَقَدْ أَطاعَنِي، وَمَنْ عَصىٰ عَلِيّاً فَقَدْ عَصانِي**»[٢].

وعنه صلى الله عليه وآله: «**يا عَلِيُّ، مَنْ فارَقَني فَقَدْ فارَقَ اللهَ، وَمَنْ فارَقَكَ فَقَدْ فارَقَني**»[٣].

وحكت هذه الأحاديث شدّة تعلّق الرسول صلى الله عليه وآله بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله يرضيه ما يرضي عليّاً، ويسخطه ما يسخطه، وبذلك فقد نال الإمام أسمى مرتبة من نفس النبيّ صلى الله عليه وآله.

٦ ـ الإمام عليه السلام باب مدينة علم النبيّ صلى الله عليه وآله

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أَنا مَدينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بابُها، فَمَنْ أَرادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِ الْبابَ**»[٤].

---

(١) المراجعات: ٢٠٩.

(٢) و (٣) مستدرك الحاكم: ٣/١٢٤.

(٤) مستدرك الحاكم: ٣/١٢٦. تاريخ بغداد: ٤/٣٤٨. أُسد الغابة: ٤/٢٢. تهذيب ⇦

إنّ الإمام باب مدينة علم الرسول ﷺ وهو ينبوع من ذلك الفيض الذي ملأ الدنيا بالمعارف والعلوم ، ومن المؤسف حقّاً أنّ القوى الحاقدة على الإمام قد سدّت نوافذ ذلك النور ، وحرمت الأمّة من الانتهال من نمير علومه .

وقريب من هذا الحديث قوله ﷺ : « **أنا دارُ الْحِكْمَةِ وَعَلِيٌّ بابُها** »[1] .

لقد كان الإمام عليه السلام باب حكمة النبيّ ﷺ وخازن علومه ومستودع أسراره ، وقد جاء في الحديث :

« **عَلِيٌّ بابُ عِلْمِي ، وَمُبَيِّنٌ لأُمَّتِي ما أُرْسِلْتُ بِهِ مِنْ بَعْدِي ، حُبُّهُ إِيمانٌ ، وَبُغْضُهُ نِفاقٌ ، وَالنَّظَرُ إِلَيْهِ رَأْفَةٌ** »[2] .

٧ ـ الإمام عليه السلام حامل لواء الحمد

وتظافرت الأخبار عن النبيّ ﷺ أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حامل لواء الحمد يوم القيامة ، ولم يحظَ أحد بمثل هذه الكرامة غيره .

قال ﷺ لعليّ : « **أَنْتَ أَمامِي يَوْمَ الْقِيامَةِ ، فَيُدْفَعُ إِلَيَّ لِواءُ الْحَمْدِ فَأَدْفَعُهُ إِلَيْكَ ، وَأَنْتَ تَذُوْدُ النَّاسَ عَنْ حَوْضِي** »[3] .

وروى ابن عبّاس ، قال : « سمعت عمر بن الخطّاب يقول : كفّوا عن ذكر عليّ بن أبي طالب فلقد رأيت من رسول الله ﷺ فيه خصالاً لأن تكون لي واحدة منهنّ في

⇦ التهذيب : ٣٢٠/٦ . كنز العمال : ١٥٢/٦ . فيض القدير : ٤٦/٣ .

(١) صحيح الترمذي : ٢٩٩/٣ . حلية الأولياء : ٦٤/١ . تاريخ بغداد : ٢٠٤/١ . كنز العمال : ٤٠١/٦ .

(٢) كنز العمّال : ١٥٦/٦ . الصواعق المحرقة : ٧٣ .

(٣) كنز العمّال : ٤٠٠/٦ .

آل الخطاب أحبُّ إليَّ ممّا طلعت عليه الشمس: كنت أنا وأبوبكر وأبوعبيدة في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فانتهينا إلى باب أمّ سلمة، وعليٌ قائم على الباب فقلنا: أردنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يخرج إليكم، فخرج رسول الله فاتّكأ على عليّ بن أبي طالب، ثمّ ضرب بيده على منكبه، ثمّ قال:

«**إنَّكَ مُخاصَمٌ تُخاصَمُ... أَنْتَ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ إيماناً، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ، وَأَوْفاهُمْ بِعَهْدِهِ، وَأَقْسَمُهُمْ بِالسَّوِيَّةِ، وَأَرْأَفُهُمْ بِالرَّعِيَّةِ، وَأَعْظَمُهُمْ رَزِيَّةً، وَأَنْتَ عاضِدِي، وَغاسِلِي، وَدافِنِي، وَالْمُتَقَدِّمُ إِلىٰ كُلِّ شِدَّةٍ وَكَرِيْهَةٍ، وَلَنْ تَرْجِعَ بَعْدِي كافِراً، وَأَنْتَ تَتَقَدَّمُنِي بِلِواءِ الْحَمْدِ، وَتَذُوْدُ عَنْ حَوْضِي**»[1].

وحفل هذا الحديث بذكر بعض صفات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وما منحه الله من الكرامة العظمى بأن جعل بيده لواء الحمد، ولم يظفر أحد من أنبياء الله تعالى بمثل هذه الكرامة.

٨ ـ الإمام عليه السلام صاحب حوض النبيّ صلى الله عليه وآله

وثمّة منزلة كريمة للإمام عليه السلام عند الله تعالى بأن جعله صاحب حوض النبيّ صلى الله عليه وآله وهو من أعظم أنهار الجنّة في عذوبته وحلاوته وجمال منظره، ولا يفوز بالشرب منه إلّا من كان موالياً للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد تظافرت الأخبار بذلك وهذه بعضها:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صاحِبُ حَوْضِي يَوْمَ الْقِيامَةِ، فِيْهِ أَكْوابٌ كَعَدَدِ نُجُوْمِ السَّماءِ، وَسَعَةُ حَوْضِي ما بَيْنَ الْجابِيَةِ وَصَنْعاءَ**»[2].

---

(١) كنز العمّال: ٣٩٣/٦.

(٢) مجمع الزوائد: ٣٦٧/١٠.

قال رسول الله ﷺ لعليّ: «**أَنْتَ أَمامي يَوْمَ الْقِيامَةِ فَيُدْفَعُ إِلَيَّ لِواءُ الْحَمْدِ فَأَدْفَعُهُ إِلَيْكَ وَأَنْتَ تَذودُ النّاسَ عَنْ حَوْضي**»[١].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لرسول الله ﷺ: «**يا رَسُولَ اللهِ، أَيُّما أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنا أَمْ فاطِمَةُ؟ قالَ ﷺ: فاطِمَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْها، وَكَأَنّي بِكَ وَأَنْتَ عَلىٰ حَوْضِي تَذُوْدُ عَنْهُ النّاسَ، وَأَنَّ عَلَيْهِ لَأَبارِيْقَ مِثْلَ عَدَدِ نُجُومِ السَّماءِ**»[٢].

وقد امتاز الإمام عليه السلام على غيره من صحابة النبيّ ﷺ وأسرته بهذه الفضيلة، وهي إحدى الأوسمة التي قلّدتها السماء للإمام.

٩ ـ الإمام عليه السلام قسيم الجنّة والنار

من الفضائل التي اختصّ بها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قسيم الجنة والنار، فقد روى ابن حجر بسنده أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال لأعضاء الشورى الذين انتخبهم عمر:

«**أَنْشِدُكُمْ بِاللهِ، هَلْ فِيْكُمْ أَحَدٌ قالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يا عَلِيُّ، أَنْتَ قَسِيْمُ الْجَنَّةِ وَالنّارِ يَوْمَ الْقِيامَةِ غَيْرِي؟**

فقالوا: اللّهمّ لا».

وعلّق ابن حجر على هذا الحديث ومعناه ـ أي معنى هذا الحديث ـ ما رواه غيره عن عليّ الرضا عليه السلام أنّه ﷺ قال له:

---

(١) كنز العمّال: ٦/٤٠٠.

(٢) *مجمع الزوائد*: ٩/١٧٣.

«أَنْتَ قَسيمُ الْجَنَّةِ وَالنّارِ في يَوْمِ الْقِيامَةِ تَقولُ لِلنّارِ هذا لي وَهذا لَكِ»[(١)].

لقد حباه الله تعالى بهذه الكرامة فجعله قسيماً للجنة والنار تقديراً لجهوده وجهاده في سبيل الإسلام، وتفانيه في خدمة الحقّ، واعلاء كلمة التوحيد.

١٠ ـ الاجتياز على الصراط بإجازة من الإمام عليه السلام

وثمّة مكرمة أُخرى حباها الله لسيّد الوصيّين وإمام المتّقين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهي: إنّه لا يجتاز أحد على الصراط إلّا بإجازة منه، وقد تظافرت الأخبار بذلك، وهذه بعضها:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِيْنَ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَنَصَبَ الصِّراطَ عَلىٰ جِسْرِ جَهَنَّمَ، ما جازَها أَحَدٌ حَتّىٰ كانَتْ مَعَهُ بَراءَةٌ**[(٢)] **بِوِلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ**»[(٣)].

روى أنس بن مالك، قال: «لمّا حضرت الوفاة أبا بكر قال أبو بكر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«**إِنَّ عَلَى الصِّراطِ لَعَقَبَةً لَا يَجُوْزُها أَحَدٌ إِلَّا بِجَوازٍ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ**»[(٤)].

روى قيس بن حازم، قال: «التقى أبوبكر وعليّ بن أبي طالب فتبسّم أبو بكر في وجه عليّ عليه السلام فقال له: **ما لَكَ تَبَسَّمْتَ؟**

---

(١) الصواعق المحرقة: ٢٧٥.

(٢) البراءة: المنشور.

(٣) الرياض النضرة: ١٧٢/٢.

(٤) تاريخ بغداد: ٣٥٦/١٠.

قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«لَا يَجُوْزُ أَحَدٌ عَلَى الصِّراطِ إِلَّا مَنْ كَتَبَ لَهُ عَلِيٌّ الْجَوازَ»[١].

وهذه المنقبة خصّها الله بعليّ ، ولم يمنحها لأحد من أوليائه .

١١ ـ الإمام عليه السلام مع النبيّ ﷺ في الجنّة

من ألطاف الله تعالى على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه مع رسول الله ﷺ في قصره في الجنة ، وقد أعلن النبيّ ﷺ بذلك في مجموعة من الأخبار وهذه بعضها :

قال رسول الله ﷺ لعليّ : **«أَمَا تَرْضىٰ أَنَّكَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ، وَذُرِّيَّتُنا خَلْفَ ظُهُوْرِنا ، وَأَزْواجُنا خَلْفَ ذُرِّيَّتِنا ، وَشِيْعَتُنا عَنْ أَيمانِنا وَشَمائِلِنا»**[٢].

وحينما آخى النبيّ ﷺ بين أصحابه ، ولم يواخِ بين الإمام وبين أحد ، فسأله الإمام عن ذلك ، فقال النبيّ ﷺ :

«وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ ما أَخَّرْتُكَ إِلَّا لِنَفْسِي ، وَأَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسىٰ ، غَيْرَ أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي ، وَأَنْتَ أَخِي وَوارِثِي».

وأضاف النبيّ ﷺ قائلاً :

«وَأَنْتَ مَعِي في قَصْري في الْجَنَّةِ مَعَ فاطِمَةَ ابْنَتي ، وَأَنْتَ أَخي وَرَفيقي»[٣].

---

(١) الرياض النضرة : ٢/١٧٧.

(٢) الصواعق المحرقة : ٩٦. الرياض النضرة : ٢/٢٠٩.

(٣) كنز العمّال : ٥/٤٠.

قال رسول الله ﷺ لعليّ: «**يا عَلِيُّ، أَنْتَ أَخِي وَصاحِبِي وَرَفِيْقِي فِي الْجَنَّةِ**»[١].

وبهذا العرض الموجز ممّا أثر عن النبيّ ﷺ في فضائل وصيّه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام نطوي الحديث، ونستقبل بعض الأخبار التي وردت في حقّ سيّدة نساء العالمين عليها السلام.

---

(١) تاريخ بغداد: ٢٦٨/١٢.

الزّهراءُ عليها السلام

أمّا سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام فكانت من أعزّ الناس عند أبيها رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا عرض لبعض الأخبار التي وردت من أبيها في حقّها :

١ ـ تسميتها بفاطمة

أمّا السبب في تسمية سيّدة النساء بفاطمة ، فقد ذكرته مصادر الحديث ، فـقد سأل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال له :

« يا رَسولَ اللهِ ، لِمَ سُمِّيَتْ فاطِمَة ؟ » . فأجابه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم :

« إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ فَطَمَها وَذُرِّيَّتَها مِنَ النّارِ يَوْمَ الْقِيامَةِ »[١] .

٢ ـ كنيتها

كانت سيّدة نساء العالمين تكنّى بأُمّ أبيها [٢] وذلك لكثرة اخلاصها وحبّها لأبيها ، وبعد وفاته نخب الحزن عليه قلبها الرقيق ، فلم تلبث بعده إلّا أياماً حتى مشى إليها الموت سريعاً .

٣ ـ شبهها بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

وكانت زهراء الرسول من أشبه الناس بأبيها ، فقد روت عائشة فقالت : ما رأيت

---

(١) ذخائر العقبى : ٢٢٦ ، وقريب منه في كنز العمّال : ٢١٩/٦ .

(٢) أُسد الغابة : ٥٢٠/٥ . الاستيعاب : ٧٥٢/٢ .

أحداً أشبه سمتاً وَدَلّاً وهدياً برسول الله ﷺ في قيامها وقعودها من فاطمة .. وكانت إذا دخلت على النبيّ ﷺ قام إليها وقبّلها وأجلسها في مجلسه(١)، وكما شابهت أباها في ملامحه فقد شابهته في معالي أخلاقه التي امتاز بها على سائر النبيّين .

٤ ـ حنوّها على أبيها

كانت سيّدة النساء من أحبّ الناس لأبيها ومن أشفقهم عليه وقد لازمته في مكّة حينما كان يؤدّي رسالة ربّه ، وكان يتلقّى صنوف التنكيل من قومه ، فكانت تزيل عن جسمه الشريف ما يلقيه عليه فسقة قريش من أوساخ وقمامة ، فقد روى ابن مسعود قال :

« بينما رسول الله ﷺ يصلّي عند البيت ، وأبوجهل وأصحابٌ له جلوس ، وقد نُحِرتْ جزورٌ بالأمس ، فقال أبو جهل : أَيُّكم يقوم إلى سَلَا جزور بني فُلانٍ فَيأخذه فَيضَعُه في كَتِفَيْ مُحمّد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه فلمّا سجد النبيّ ﷺ وضعه بين كتفيه قال : فاستضحكوا ، وجعل بعضهم يميلُ على بعض ، وأنا قائم انظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ والنبيّ ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة فجاءت وهي جُويرية فَطَرحتْهُ عنه ، ثمّ أقبلت عليهم تشتمهم ، فلمّا قضى النبيّ صلاته رفع صوته ثمّ دعا عليهم ، وكان إذا دَعَا دَعَا ثلاثاً ، وإذا سَأَلَ سَأَلَ ثلاثاً .

ثمّ قال : **اللّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْش** ثلاث مرّات ، فلمّا سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته .

---

(١) صحيح الترمذي : ٢/٣١٩. صحيح أبي داود : ٢٢٣. الأدب المفرد / البخاري : ص٢٢٣. مستدرك الحاكم : ٣/١٥٤. الاستيعاب : ٢/٧٥١. سنن البيهقي : ٧/١٠١. وقريب منه في مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٣/١١٤.

ثمّ قال : **اللّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبي جَهْلِ بْنِ هُشام ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبيعَة ، وَشَيْبَةِ بْنِ رَبيعَة ، وَالْوليدِ بْنِ عُقْبَة ، وَأُمَيَّةِ بْنِ خَلَفَ ، وَعُقْبَةِ بْنِ أَبي مُعَيط .**

وقال ابن مسعود : فوالّذي بعث محمّداً ﷺ بالحقّ لقد رأيت الذين سَمَّى صرعى يوم بدر ثمّ سحبوا إلى القليب قليب بدر »[١] .

ومن حنوّ سيّدة النساء على أبيها ما رواه سهل بن سَعْد وقد سئل عن جرح رسول الله ﷺ يوم أُحُد فقال :

« جُرح وجهُ رسول الله ﷺ وكسرت رباعيتُه وهشمت البيضة على رأسه فكانت فاطمة سلام الله عليها بنت رسول الله ﷺ تغسلُ الدم وكان عليّ بن أبي طالب يسكبُ عليها بالمجَنِّ ، فلمّا رأت فاطمة أنّ الماء لا يزيد الدم إلّا كثرةً أخذت قطعة حصير فأحرقتهُ حتى صار رماداً ثمّ ألصقتهُ بالجُرح فاستمسك الدم »[٢] .

ومن شدّة حنوها على أبيها أنّه كان في بعض الغزوات فلمّا قفل راجعاً إلى يثرب سارع إلى بعث بضعته فاستقبلته وجعلت تقبّل وجهه وعينيه وتبكي ، فقال لها رسول الله ﷺ : **ما يُبْكيكِ ؟** فقالت : **أَراكَ قَدْ شَحبَ لَوْنُك**[٣] ، فهدّأ النبيّ ﷺ روعها ، وأذهب عنها الحزن .

٥ ـ حبّ النبيّ ﷺ لها

وكان النبيّ ﷺ شديد الحبّ لبضعته وبلغ من حبّه لها أنّه إذا أراد السفر كان آخر

---

(١) صحيح مسلم ـ كتاب الجهاد والسير : ١٨٠/٥ . ورواه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق في باب ما لقي النبيّ وأصحابه من المشركين : ٣٢١/٢ .

(٢) صحيح مسلم ـ كتاب الجهاد والسير : ١٧٨/٥ ، ورواه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق : ٣٢١/٢ .

(٣) حلية الأولياء : ٣٠/٢ . كنز العمّال : ٧٧/١ . مجمع الزوائد : ٢١٢/٨ .

عهده بها ، وإذا قدم من سفره كان أوّل بيت يدخله بيتها [١] .

٦ ـ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة

وتظافرت الأخبار عن النبيّ صلى الله عليه وآله انّ بضعته الطاهرة سيّدة نساء أهل الجنة ، فقد قال لها في مرضه الذي توفّي فيه :

« أَما تَرْضَينَ أَنْ تَكوني سَيِّدَةَ نِساءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ » [٢] . و بمثل هذا الخبر روايات كثيرة روتها الصحاح والسنن .

٧ ـ وُلْدُ فاطمة ينتمون للنبيّ صلى الله عليه وآله

وأعلن النبيّ صلى الله عليه وآله في كثير من المناسبات إنّ وُلْد سيّدة نساء العالمين عليها السلام ينتمون إليه ، فهم منه وهذه جمهرة من الأخبار في ذلك :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **« كُلُّ بَني أُمٍّ يَنْتَمونَ إِلىٰ عُصْبَةٍ إِلَّا وُلْد فاطِمَةَ فَأَنا وَلِيُّهُمْ وَأَنا عُصْبَتُهُمْ »** [٣] .

وعنه صلى الله عليه وآله : **« إِنَّ لِكُلِّ بَني أُمٍّ عُصْبَةً يَنْتَمونَ إِلَيْها إِلَّا وُلْد فاطِمَة فَأَنا وَلِيُّهُم ، وَأَنا عُصْبَتُهُمْ ، وَهُم خُلِقوا مِنْ طينَتي ، وَيْلٌ لِلْمُكَذِّبينَ بِفَضْلِهِمْ ، مَنْ أَحَبَّهُمْ**

---

(١) مستدرك الحاكم : ٣/١٥٦ .

(٢) صحيح البخاري ـ كتاب بدء الخلق . وفي طبقات ابن سعد : ٢/٤٠ : « إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لها : **أنت سيّدة نساء هذه الأمّة أو نساء العالمين** » ، وقريب من ذلك رواه الطحاوي في مشكل الآثار : ١/٤ ، والنسائي في خصائصه : ٣٤ ، وابن نعيم في حلية الأولياء : ٢/٣٩ ، ومستدرك الصحيحين : ٣/١٥٦ ، وفي كنز العمّال : ٧/١١١ : « إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام : **ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء أهل الجنّة ، وابنيك سيّدا شباب أهل الجنة** » .

(٣) كنز العمّال : ٦/٢٢٠ . مجمع الزوائد : ٩/١٧٢ .

أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ»[١].

وعنه ﷺ: **«كُلُّ وُلْدِ أَبٍ فَإِنَّ عُصْبَتَهُمْ لِأَبِيهِم ما خَلا وُلْد فاطِمَةَ فَإِنّي أَنا أَبوهُمْ وَعُصْبَتُهُمْ»**[٢].

ودلّت هذه الأحاديث ـ بوضوح ـ على أنّ السادة العلويّين زادهم الله شرفاً الذين ينتمون من ناحية اُمّهم إلى سيّدة نساء العالمين عليها السلام فإنّهم أبناء رسول الله ﷺ.

٨ ـ فاطمة عليها السلام بضعة من النبيّ ﷺ

وتظافرت الأخبار أنّ النبيّ ﷺ أعلن غير مرّة أنّ سيّدة النساء فاطمة بضعة منه يُغضبه ما يُغضبها، وهذه طائفة من أحاديثه:

قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّما فاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنّي، يُؤْذيني ما آذاها، وَيُنْصِبُني ما أَنْصَبَها»**[٣].

وعنه ﷺ: **«فَإِنَّما هي فاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنّي، يُريبُني ما أَرابَها، وَيُؤْذيني ما آذاها»**[٤].

وعنه ﷺ: **«إِنَّما فاطِمَةُ شَجْنَةٌ مِنّي، يَبْسُطُني ما يَبْسُطُها، وَيَقْبِضُني ما يَقْبِضُها»**[٥].

---

(١) تاريخ بغداد: ٢٨٥/١١، وقريب منه في مستدرك الصحيحين: ١٦٤/٣. مجمع الزوائد: ١٧٢/٩.

(٢) ذخائر العقبى: ١٢١.

(٣) صحيح الترمذي: ٣١٩/٢. مستدرك الحاكم: ١٥٩/٣. مسند أحمد بن حنبل: ٥/٤.

(٤) صحيح البخاري ـ كتاب النكاح. مسند أحمد بن حنبل: ٣٢٨/٤. حلية الأولياء: ٤٠/٢.

(٥) كنز العمّال: ٢١٩/٦. مستدرك الحاكم: ١٥٤/٣.

وعنه صلى الله عليه وآله : « **فاطِمَةُ بِضْعَةٌ مِنّي ، فَمَنْ أَغْضَبَها أَغْضَبَني** »[١] .

والمتأمّل في هذه الأحاديث يرى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أراد من اُمّته أن تتابع أهل بيته وتسايرهم ، وتجعلهم قادة وولاة لأُمورهم لأنّ باتّباعهم ضماناً أكيداً لسعادتهم وسلامتهم من الفتن والزيغ .

٩ ـ الله يغضب لغضب فاطمة عليها السلام

وثمّة أحاديث بالغة الخطورة أدلى بها النبيّ صلى الله عليه وآله في فضل سيّدة نساء أهل الجنة فاطمة عليها السلام وهي صريحة أنّ الله تعالى يغضب لغضب فاطمة عليها السلام ، وهذه طائفة من الأخبار في ذلك :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة : « **إنَّ اللهَ يَغْضَبُ لِغَضَبِكِ ، وَيَرْضىٰ لِرِضاكِ** »[٢] .

وعنه صلى الله عليه وآله : « **إنَّ الرَّبَّ يَغْضَبُ لِغَضَبِكِ ، وَيَرْضىٰ لِرِضاكِ** »[٣] .

وعنه صلى الله عليه وآله : « **يا فاطِمَةُ ، إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَغْضَبُ لِغَضَبِ فاطِمَةَ ، وَيَرْضىٰ لِرِضاها** »[٤] .

١٠ ـ فاطمة عليها السلام أوّل مَن يدخل الجنة

وأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله : انّ أوّل من يدخل الجنّة هي بضعته سيّدة نساء العالمين .

---

(١) صحيح البخاري ـ كتاب بدء الخلق . فيض القدير : ٤/٤٢١ .

(٢) مستدرك الحاكم : ٣/١٥٣ ، وعلّق عليه : إنّ هذا حديث صحيح الاسناد . وذكر الحديث ابن الأثير في اُسد الغابة : ٥/٥٢٢ وابن حجر في تهذيب التهذيب : ١٢/٤٤١ .

(٣) ميزان الاعتدال : ٢/٢٢ .

(٤) ذخائر العقبى : ٢٩ .

قال ﷺ : «**إِنَّ أَوَّلَ شَخْصٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فاطِمَةُ بِنْتُ مُـحَمَّدٍ ﷺ ، وَمَـثَلُها فِي هذِهِ الْأُمَّةِ مَثَلُ مَرْيَمَ فِي بَنِي إِسْرائيل**»(١).

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض الأخبار النبوية التي وردت في فضل سيّدة النساء، وسموّ منزلتها عند الله، وأنّها بلغت من القداسة ما لم تبلغه أيّة سيّدة مـن نساء المسلمين وغيرهم.

---

(١) كنز العمّال: ٢١٩/٦. ميزان الاعتدال: ١٣١/٢.

الإمام الحسن

وهو من سادات أهل البيت عليهم السلام الذين فرض الله مودّتهم في كتابه على جميع عباده، وهو الإمام الزكي الذي كانت له أسمى مكانة عند جدّه الرسول صلى الله عليه وآله، وقد وردت في عظيم شأنه كوكبة من الأحاديث النبويّة وهذه بعضها:

١ ـ روى البراء بن عازب قال: «رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله والحسن على عاتقه يقول: **اللّهُمَّ إِنّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّه**»[(١)].

٢ ـ روت عائشة قالت: «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يأخذ حسناً فيضمّه إليه ثمّ يقول: **اللّهُمَّ إِنَّ هذا ابْني وَأَنا أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّه**»[(٢)].

٣ ـ روى زهير بن الأقمر قال: «بينما الحسن بن عليّ يخطب بعد ما قتل عليّ عليه السلام إذ قام إليه رجل من الأزد آدم طوال فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله واضعه ـ أي الحسن ـ في حبوته يقول:

مَنْ أَحَبَّني فَلْيُحِبَّهُ، فَلْيُبَلِّغِ الشّاهِدُ الْغائِبَ، وَلَوْلا عَزْمَةٌ مِنْ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله

---

(١) صحيح البخاري ـ ما جاء في مناقب الحسن والحسين عليهما السلام: ٥/١٠١. صحيح الترمذي: ٢/٣٠٧. صحيح مسلم ـ كتاب فضائل الصحابة: ٨/١٢٩. البداية والنهاية: ٨/٢٤.

(٢) كنز العمّال: ٧/١٠٤. مجمع الزوائد: ٩/١٧٦.

ومن العجب أنّ عائشة مع روايتها لهذا الحديث كيف منعت دفن جنازة الإمام الحسن بجوار جدّه، وهي تصيح: لا تدخلوا بيتي من لا أُحبّ، فهل خفي عليها هذا الحديث الذي روته في فضل الإمام الحسن عليه السلام.

ما حَدَّثْتُكُم»[١].

٤ ـ روى ابن عبّاس قال: «أقبل النبيّ ﷺ، وقد حمل الحسن على رقبته فلقيه رجل فقال: نِعْمَ المركب ركبت يا غلام، فقال رسول الله ﷺ:

وَنِعْمَ الراكِبُ هُو»[٢].

٥ ـ روى عبدالله بن عبدالرحمن بن الزبير، قال:

«أشبه أهل النبيّ ﷺ وأحبّهم إليه الحسن، رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته ـ أو قال: ظهره ـ فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيته وهو راكع فيفرّج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر»[٣].

ودلّ هذا الحديث على مدى حبّ النبيّ ﷺ لسبطه الإمام الحسن ومدى رعايته واهتمامه به.

٦ ـ قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلىٰ سَيِّدِ شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى الْحَسَنِ»[٤].

٧ ـ وعنه ﷺ: **«الْحَسَنُ رَيْحانَتي مِنَ الدُّنيا»**[٥].

٨ ـ روى أنس بن مالك قال: «دخل الحسن على النبيّ ﷺ فأردت أن اميطه عنه، فقال رسول الله ﷺ: **وَيْحَكَ يا أَنَس، دَعْ ابْني وَثَمَرَةَ فُؤادي، مَنْ آذىٰ هذا فَقَدْ**

---

(١) تهذيب التهذيب: ٢٩٧/٢. سنن أحمد بن حنبل: ٣٦٦/٥. الصواعق المحرقة: ٨٢.

(٢) الصواعق المحرقة: ٨٢. حلية الأولياء: ٣٥/٢.

(٣) الإصابة: ١١/٢.

(٤) البداية والنهاية: ٣٥/٨. فضائل الأصحاب: ١٦٥.

(٥) الاستيعاب: ٣٦٩/٢.

آذاني ، وَمَنْ آذاني فَقَدْ آذَى الله »[١] .

هذه بعض الأخبار التي أثرت عن النبيّ ﷺ في فضل سبطه وريحانته الإمام الحسن عليه السلام ، وقد امتُحن هذا الإمام العظيم كأشدّ ما يكون الامتحان وأقساه ، وابتُلي كأعظم ما يكون الابتلاء بطاغية زمانه وفرعون هذه الأُمّة معاوية بن أبي سفيان ، فقد نزع منه الخلافة لأسباب أهمّها فساد جيش الإمام الذي عاثت فيه أموال معاوية وأفسدته حتى ضمنوا له تسليم الإمام الحسن أو اغتياله فرأى الإمام أنّ الواجب الديني يحتّم عليه الصلح ، ولولاه لواجهت الأُمّة أعنف المشاكل وأشدّ ألوان الأزمات فصالحه الإمام على ما في الصلح من قذى في العين وشجى في الحلق ، ونحن ذكرنا تفصيل هذا الحادث الخطير في كتابنا حياة الإمام الحسن .

---

(١) كنز العمّال : ٦/٢٢٢.

الإمام الحسين (ع)

أمّا الإمام الحسين عليه السلام فهو المنقذ الأعظم للعالم الإسلامي حينما وقع فريسة بأيدي الأُمويّين فجرة قريش التي جهدت على لفّ لواء الإسلام واقصائه عن الحياة الاجتماعية وإعادة الأصنام التي آمنت بها قريش ، فثار حفيد النبيّ صلى الله عليه وآله بوجوه تلك القردة الممسوخين وعلى رأسهم حفيد أبي سفيان يزيد ، فكانت ثورته الكبرى التي أوضح الله بها الكتاب وجعلها عبرة لأُولي الألباب ، الضربة القاصمة لدولة الأُمويّين ، فقد طوت معالم زهوهم وجبروتهم ، وألقتهم في هوة سحيقة من مجاهل هذه الحياة .

لقد استشفّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من وراء الغيب ما يقدّمه حفيده الإمام الحسين عليه السلام من التضحيات الهائلة لصيانة دينه وحماية مبادئه فأولاه المزيد من الاهتمام فكان من أعزّ أبنائه وأُسرته عنده ، وقد أثرت عنه كوكبة من الأحاديث في فضله وسموّ مكانته ، وهذه بعضها :

١ ـ روى جابر بن عبدالله الصحابي الجليل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

« مَنْ أَرادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلىٰ سَيِّدِ شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُر إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيّ »[1] .

٢ ـ روى أبو هريرة قال :

---

(١) تاريخ ابن عساكر : ١٣/٥٠ من مخطوطات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام . سير أعلام النبلاء : ٣/١٩٠ .

« رأيت رسول الله ﷺ وهو حامل الحسين بن عليّ وهو يقول :

اللّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّه »(١).

٣ ـ قال رسـول الله ﷺ : « **حُسَيْنٌ مِنّي وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ ، أَحَبَّ اللهُ مَـنْ أَحَبَّ حُسَيْناً ، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الأَسْباطِ »**(٢).

وحكى هذا الحديث مدى الصلة العميقة التي بين النبيّ ﷺ وبين الإمام الحسين عليه السلام ، وأكبر الظنّ أنّ الرسول ﷺ لم يعن بقوله : « حسين منّي » الرابطة النَّسبية التي بينهما فإنّ ذلك أمر واضح لا غموض ولا شبهة فيه ، فالحسين ابن بضعته وحبيبته ، وإنّما عنى النبيّ ﷺ أمراً آخر أدقّ وأعمق من ذلك وهو أنّ الحسين عليه السلام يحمل اتّجاهات الرسول ﷺ الهادفة إلى انقاذ الإنسان وتحريره من ويلات الجاهلية وخرافاتها وأوهامها ، واشاعة الخير والأمن والرخاء في جميع أنحاء العالم ، ويدلّل على ذلك قوله ﷺ : « وأنا من حسين » كيف يكون النبيّ ﷺ من الحسين عليه السلام وهو ابن بنته ؟

لقد أراد النبيّ ﷺ إنّ ما يقدّمه السبط الزكي من التضحيات الهائلة لحماية الإسلام ، والحفاظ على رسالته النابضة بالحياة ، فكان النبيّ ﷺ حقّاً من الحسين لأنه المجدّد لدينه والحامي لمبادئه .

٤ ـ قال ﷺ : « **هذا** ـ وأشار إلى الحسين ـ **إِمامٌ ابْنُ إِمامٍ ، أَخو إِمامٍ ، أَبو أَئِمَّةٍ تِسْعَة »**(٣).

---

(١) مستدرك الحاكم : ٣/١٧٧ ، وفي نور الأبصار : ١٢٩ ، لفظ الحديث : « اللّهمّ إنّي أحبّه وأحبّ كلّ من يحبّه ».

(٢) سنن ابن ماجة : ١/٥١ . مسند أحمد بن حنبل : ٤/١٧٢ . أُسد الغابة : ٢/١٩ . تهذيب الكمال : ٧١ . تيسير الوصول : ٣/٢٧٦ . مستدرك الحاكم : ٣/١٧٧ .

(٣) منهاج السُّنّة : ٤/٢١٠ .

٥ ـ روى الصحابي الجليل سلمان الفارسي ، قال :

« دخلت على النبيّ ﷺ فإذا الحسين بن عليّ على فخذه ، وهو يلثم فاه ويقول : **أَنْتَ سَيِّدٌ ابن سَيِّد ، أَنْتَ إمامٌ ابْن إِمام أَخُو إِمام ، وأَبُو الأَئِمَّة ، وَأَنْتَ حجَّة الله وابن حَجَّته ، وَأَبو حجج تِسْعَة مِنْ صُلْبِك تاسِعهم قائِمهم** »[١].

٦ ـ روى ابن عبّاس قال : «كان النبيّ ﷺ حاملاً للحسين على عاتقه فقال له رجل :

نِعْم المركب ركبت يا غلام .

فأجابه الرسول ﷺ :

وَنِعْمَ الراكِبُ هُو »[٢].

٧ ـ روى يزيد بن أبي زياد ، قال :

« خرج النبيّ ﷺ من بيت عائشة فمرّ على بيت فاطمة عليها السلام فسمع حسيناً يبكي فالتاع ﷺ من ذلك ، وقال لفاطمة : **أَلَمْ تَعْلَمي أَنَّ بُكاءَهُ يُؤْذيني** »[٣].

٨ ـ روى عبدالله بن شدّاد عن أبيه قال :

« سجد رسول الله ﷺ سجدة أطالها حتى ظننّا أنّه قد حدث أمر أو أنّه يوحى إليه فسألناه عن ذلك ، فقال :

كلّ ذلِكَ لَمْ يَكُنْ ، وَلكن ابْني ارْتَحَلَني فَكَرِهْتُ أَنْ أَعجله حَتّىٰ يَقْضي حاجَتَه »[٤].

---

(١) المراجعات : ٢٢٨.

(٢) التاج الجامع للأصول : ٢١٨/٣.

(٣) مجمع الزوائد : ٢٠١/٩. سير أعلام النبلاء : ١٩١/٣. ذخائر العقبى : ١٤٣.

(٤) تهذيب التهذيب : ٣٤٦/٢. تيسير الوصول إلى جامع الأصول : ٢٨٥/٣.

هذه بعض الأخبار التي أثرت عن النبيّ ﷺ في فضل ريحانته أبي الشهداء والأحرار وهي أوسمة شرف ومجد قلّده بها إشعاراً له منه بعظيم شأنه ، وسموّ مكانته .

اخبار النبيّ ﷺ بشهادة الحسين

وأشاع النبيّ ﷺ بين أُمّته مقتل سبطه الإمام الحسين عليه السلام ، وقد بات أمراً مفروغاً منه عند صحابة النبيّ ﷺ شهادة الحسين عليه السلام وصار عندهم من الأُمور المتيقّنة ، يقول ابن عبّاس : ما كنّا نشكّ وأهل البيت متوافرون انّ الحسين بن عليّ يُقتل بالطفّ[1] .

وهذه بعض الأخبار التي أشاعها النبيّ ﷺ بشهادة ريحانته وسبطه :

- روت أُمّ الفضل بنت الحارث قالت :

«كان الحسين في حجري فدخلت على رسول الله ﷺ وقد حملت معي الحسين فوضعته في حجر رسول الله ﷺ ثمّ حانت منّي التفاتة فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان من الدموع ، فقلت له : يا نبيّ الله ، بأبي أنت وأُمّي ما لكَ ؟

أتاني جَبْرائيل فَأَخْبَرَني أَنَّ أُمَّتي سَتَقْتُل ابْني هذا .

وذعرت أُمّ الفضل وراحت تقول بدهشة :

يقتل هذا ـ وأشارت إلى الحسين ـ .

نَعَم ، وَأَتاني جَبْرئيلُ بِتُرْبَةٍ مِنْ تُرْبَتِهِ حَمْراء »[2] .

---

(١) مستدرك الحاكم : ٣/١٧٩ .

(٢) مستدرك الحاكم : ٣/١٧٦ ، وفي رواية ابن عساكر : ١٣/٦٢ عن أُمّ الفضل ، قالت : «إنّ النبيّ ﷺ دخل عليّ يوماً وحسين معي ، فأخذه وجعل يلاعبه ساعة ثمّ ذرفت عيناه ، فقلت له : ما يبكيك ؟ فقال : **هذا جبرئيل يخبرني إنّ أُمّتي تقتل ابني هذا** » .

وغرقت أُمّ الفضل بالبكاء وهامت بتيارات من الأسى والحزن.

● روت أُمّ المؤمنين السيّدة أُمّ سلمة قالت :

«إنّ رسول الله ﷺ اضطجع ذات ليلة للنوم ، فاستيقظ وهو خائر[١] ثمّ اضطجع فاستيقظ وهو خائر دون ما رأيت به المرّة الأُولى ، ثمّ اضطجع فاستيقظ ، وفي يده تربة حمراء وهو يقبّلها ، فقلت له : ما هذه التربة يا رسول الله ؟

أَخْبَرَني جَبْرَئيل إنَّ هذا ـ يعني الحسين ـ يُقْتَل بِأَرْضِ الْعِراقِ. فَقُلْتُ لِجَبرئيل : أَرِني تُرْبَةَ الْأَرْضِ الَّتي يُقْتَلُ بِها ، فَهٰذِهِ تُرْبَتَه»[٢].

● روت عائشة قالت :

«دخل الحسين بن عليّ على رسول الله ﷺ ، وهو يوحى إليه ، فنزا على رسول الله وهو منكب ، فقال جبرئيل : أتحبّه يا محمّد ،

قال : **وَما لِيَ لا أُحِبُّ ابْني !**

قال : **فَإِنَّ أُمَّتَك سَتَقْتُلَهُ مِنْ بَعْدِكَ.**

فمدّ جبرئيل فأتاه بتربة بيضاء ، فقال : في هذه الأرض يُقتل ابنك هذا ، واسمها الطفّ ، فلمّا ذهب جبرئيل من عند رسول الله ﷺ والتربة في يده وهو يبكي فقال :

يا عائِشَةُ ، إِنَّ جَبْرَئيلَ أَخْبَرَني أَنَّ ابْني حُسَيناً مَقْتُول في أَرْضِ الطَّفِّ ، وَإِنَّ أُمَّتي سَتُفْتَن بَعْدي.

ثمّ خرج إلى أصحابه وفيهم عليّ وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمّار وأبو ذر وهو يبكي فبادروا إليه قائلين :

---

(١) الخائر : المضطرب.

(٢) كنز العمّال : ٧/١٠٠. سير أعلام النبلاء ٣/١٥. ذخائر العقبى : ١٤٨.

ما يبكيك يا رسول الله ؟

أَخْبَرَني جَبْرَئيل أَنَّ الْحُسينَ يُقْتَل بَعْدي بِأَرْضِ الطَّفِّ ، وَجاءَني بِهٰذِهِ التُّرْبَة ، وَأَخْبَرَني أَنَّ فيها مَضْجَعَه »[١].

وبهذا ينتهي بنا الحديث الموجز عن بعض الأحاديث التي أثرت عن النبيّ ﷺ في فضل عترته الطيّبين آملاً من الله تعالى أن يتفضّل عليَّ بالقبول ، وأن يثيبني على ذلك إنّه تعالى وليُّ ذلك والقادر عليه .

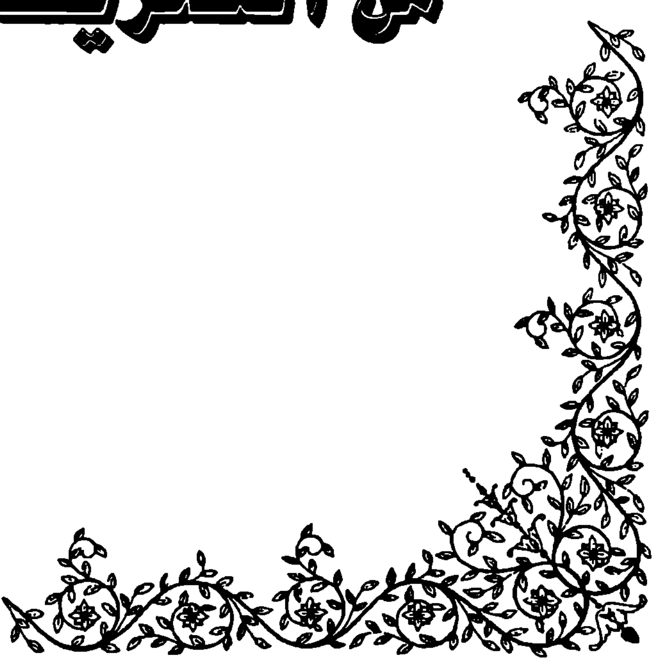
---

(١) مجمع الزوائد : ١٨٧/٩ ، وفي تهذيب الكمال : ٧١ : « إنّ النبيّ ﷺ أخذ التربة التي جاء بها جبرئيل فجعل يشمّها ، ويقول : ويح كرب وبلاء ».



سلامة القرآن

من التحريف



تقديم



وأنزل الله تعالى كتابه العظيم على نبيّه وجعله هدى ورحمة إلى الناس أجمعين ، يقيم أودهم ، ويصلح شؤونهم ، ويوفّر لهم حياة كريمة تزدهر بالعدل والأمن والرخاء ، ويسود فيها نظام رفيع مستقرّ متوازن ، لا ظلّ فيه للبؤس والحرمان ، وهو معجزة الإسلام الخالدة ، لا من حيث بلاغته التي هي من أرقى مراتب البلاغة في الكلام العربي ، وإنّما لنظامه المتطوّر الذي يساير الإنسانية في جميع مراحل تاريخها .



القرآن الكريم نفحة من رحمات الله على عباده يملأ قلوبهم إيماناً ومودّة وإخاءاً ، ويشيع فيهم الأخلاق الفاضلة والصفات الكريمة التي تسمو بها الحياة .

وقد طوى بمكوّناته الفكرية والعلمية عهوداً مظلمة من عادات الجاهلية وخرافاتها التي كان يعاني منها ابن آدم أقسى ألوان الشقاء كما فتح للإنسانية آفاقاً مشرقة من العلم والتطوّر والتقدّم لم يعرفها الإنسان من قبل .



القرآن الكريم هو القوّة الهائلة التي أمدّت ليوث الإسلام في عصورهم الأُولى بالإيمان وقوّة الإرادة فخاضوا أعنف المعارك وأقساها محنة من أجل تحرير إرادة الإنسان ، ورفع مستواه فكرياً وحضارياً ، وإقامة كلمة التوحيد في ربوع العالم. إنّ القرآن الكريم مصدر الحضارة والقوّة للعالم الإسلامي في جميع الأحقاب والآباد ، وحينما سار المسلمون في فجر تاريخهم على ضوئه وهديه سادوا جميع أُمم العالم وكانت كلمتهم العليا ، ولمّا انحرفوا عنه صاروا بأقصى مكان من الذلّ والهوان تتناهب ثرواتهم كلاب الاستعمار وتتحكّم في مصيرهم القوى الصليبية الكافرة ، وهيهات أن يعود لهم مجد ، وترتفع لهم كلمة ما لم يعودوا إلى هدي القرآن وتعاليمه.



ومن أدهى الأقوال وأكثرها زيفاً وبُعداً عن الفكر القول بوقوع التحريف في القرآن الكريم ، فإنّ ذلك له من المضاعفات السيئة التي لا يمكن الالتزام بها ، والتي منها سقوط الاحتجاج بالقرآن الكريم كما يقول بذلك علماء الأُصول ، وبالاضافة لذلك فإنّه يتجافى ويتصادم مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ فإنّ الآية واضحة الدلالة في أنّ الله تعالى حافظ لكتابه العزيز من الضياع ولكلّ ما يعتريه من النقص والزيادة ، فالقول بوقوع التحريف فيه بعيد عن الواقع وخالٍ من جميع المقوّمات العلمية.



أمّا الذين يذهبون إلى وقوع التحريف في كتاب الله تعالى فيستندون إلى بعض

الروايات التي لا نصيب لها من الصحّة ، فقد خلطت الأحاديث بكثير من الموضوعات دسّها من لا حريجة له في الدين وذلك لتشويه الواقع المشرق للإسلام والطعن في مقدّساته ، ومن ألوان ذلك التحريف انّ بعض الوضّاعين كان يضيف إلى الآية بعض الكلمات للاستدلال على ما يذهب إليه ، وتلك الاضافة تتصادم مع نسق القرآن البالغ حدّ الاعجاز في فصاحته وبلاغته .



٦

واتُّهمت الشيعة بغير انصاف بالقول بتحريف القرآن الكريم . وهو افتراء محض على هذه الطائفة التي آمنت بجميع قيم الإسلام ، واعتنقت جميع مبادئه ، وقدّمت المزيد من الضحايا في صيانته والذبّ عنه أيام المدّ الجاهلي في عهد الحكم الأموي ، الذي كان على رأسه فاجر بني أُميّة يزيد حفيد أبي سفيان وابن معاوية الذئب الجاهلي ، لقد تبنّت الشيعة جميع أهداف الإسلام وجاهدت في سبيله كأعظم ما يكون الجهاد وهي تؤمن بجميع أنبياء الله وكتبه وتؤمن إيماناً لا يخامره شكّ بالقرآن الكريم . وانّه معجزة الإسلام الخالدة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لا زيادة ولا نقصان ولا تحريف فيه ، وهو الذي أنزله على عبده ورسوله محمّد ﷺ ليكون هدى ورحمة لجميع شعوب العالم وأُمم الأرض .



٧

وليسوا على هدى هؤلاء الذين يتّهمون الشيعة بتحريف القرآن الكريم . ويشيعون ذلك في المعاهد والجامعات العلمية بمنشورات تدفعهم إلى ذلك بعض القوى الحاقدة على الإسلام غرضها اشاعة الفُرقة والعداء بين المسلمين وعزل الشيعة عن المجتمع الإسلامي وايقاف المدّ الشيعي الذي أخذ بالانتشار بسبب قيمه الأصيلة وما يحمله من

مودّة وولاء لأهل البيت عليهم السلام الذين هم سفن النجاة وأمن العباد وعدلاء الذكر الحكيم ، وعلى أي حال فمن المؤكّد انّ جميع الوسائل التي تقوم بها خصوم الشيعة لتشويه واقعهم قد باءت بالفشل بسبب ضحالتها ، وعدم نزاهتها ، وانّها لم تستهدف أي مصلحة للمسلمين سوى تفريق صفوفهم ، والطعن في مقدّساتهم .



وليس لنا أي غرض نبتغيه من هذه البحوث وأمثالها التي قدّمتها إلى القرّاء سوى خدمة الإسلام والذبّ عن قيمه ، وابطال الشبه الفاسدة التي ألصقها به خصومه وأعداؤه . إنّ الواجب على دعاة الإسلام في مثل هذه الظروف الحاسمة من تاريخهم أن يعملوا جاهدين على توحيد كلمة المسلمين ، وابراز القيم العليا والمبادئ الأصيلة التي تبنّاها الإسلام منذ فجر تاريخه ... فإنّ أمام المسلمين عدوّاً ماكراً يكيد لهم في الليل إذا يغشى ، وفي النهار إذا تجلّى ، يريد أن يقذف بهم في هوة سحيقة من مجاهل هذه الحياة ، ولا يدع لهم أي مركز كريم تحت الشمس .

إنّ الصهيونية العالمية والاستعمار الغربي قد تحالفا على اذلال المسلمين ، ونهب ثرواتهم وجعلهم تحت مناطق نفوذهم فيجب على دعاة المسلمين وعلمائهم العمل على نشر الوعي الإسلامي ، وتحذير المسلمين من دعاة الفرقة ، والله سبحانه هو الموفّق والهادي إلى سواء السبيل .

مكتبة الإمام الحسن العامة — النجف الأشرف

باقر شريف القرشي

٣ /شعبان المعظّم /١٤١٦هـ

التحريف معنىً ودلالة

وقبل أن أخوض في البحث عن المؤاخذات التي تترتّب على القول بتحريف القرآن الكريم ، وبطلان ما نسب إلى الشيعة من التزامهم بذلك ، أعرض إلى المعنى الدلالي لهذه الكلمة وإلى الآيات الكريمة التي وردت فيها هذه اللفظة ، وغير ذلك ممّا يرتبط بالموضوع .

التحريف في اللغة

التحريف في اللغة هو ميل الكلمة عن معناها ، وتكاد تتّفق كلمات اللغويّين على تفسيرها بما ذكرنا ، وهذه بعض كلماتهم :

• ابن منظور

قال جمال الدين محمّد المعروف بابن منظور : « وتحريف الكلم عن موضعه : تغييره ، والتحريف في القرآن والكلمة تغيير الحرف عن معناه ، والكلمة عن معناها وهي قريبة الشبه ، كما كانت اليهود تغيّر معاني التوراة بالأشباه فوصفهم الله بفعلهم ، فقال تعالى : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ ﴾ .

وقوله في حديث أبي هريرة : آمنت بمحرّف القلوب هو المزيل ، أي مميلها ومزيفها ، وهو الله تعالى[1] .

---

(١) لسان العرب : ٩/٤٣.

وحكى هذا القول شمول التحريف لما يلي :

١ ـ تغيير الحرف عن معناه .

٢ ـ تغيير الكلمة عن معناها .

٣ ـ إنّ التحريف كان من سـمة اليـهود فـقد غـيّروا مـعاني التـوراة وبـدّلوها إلى ما يشابهها .

• الزبيدي

قال السيّد محمّد مرتضى الزبيدي : « والتحريف التغيير والتـبديل ، ومـنه قـوله تعالى :

« ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ » ، وقوله تعالى أيضاً :

﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ ﴾ وهو في القرآن ، والكلمة تغيير الحرف عن معناه والكلمة عن معناها ، وهي قريبة الشبه »[١] .

وما أفاده الزبيدي هو نفس ما ذكره ابن منظور .

• أحمد بن فارس

وذكر أبو الحسين أحمد بن فارس في مادة « حرف » : « يقال : انحرف عنه ينحرف انحرافاً ، وحرفته أنا عنه ، أي عـدلت بـه عـنه ، ولذلك يـقال : مـحارف وذلك إذا حورف كسبه فيميل به عنه ، وذلك كتحريف الكلام وهو عدله عن جهته ، قال الله تعالى :

﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ ﴾[٢] .

---

(١) تاج العروس : ٦/٦٩.

(٢) مقاييس اللغة : ٢/٤٢ ـ ٤٣.

لقد اتّفقت معاجم اللغة على تفسير التحريف بميل الكلمة عن معناها.

في رحاب القرآن

وردت مادة لفظة «التحريف» في القرآن الكريم في أربع آيات، ولم تستعمل إلّا في معناها اللغوي، أمّا الآيات فهذه:

الآية الأُولى: قوله تعالى:

﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾[1].

الآية الثانية: قوله تعالى:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾[2].

الآية الثالثة: قوله تعالى:

---

(١) سورة النساء ٤: ٤٦.

أفاد السيّد الطباطبائي في تفسيره لهذه الآية ما نصّه: «وقد وصف الله تعالى هذه الطائفة ـ يعني اليهود ـ بتحريف الكلم عن مواضعه؛ وذلك امّا بتغيير مواضع الألفاظ بالتقديم والتأخير والاسقاط والزيادة كما ينسب إلى التوراة الموجودة، وامّا بتفسير ما ورد عن موسى عليه السلام في التوراة وعن سائر الأنبياء بغير ما قصد منه من المعنى الحقّ، كما أوّلوا ما ورد في رسول الله صلى الله عليه وآله من بشائر التوراة ـ الميزان في تفسير القرآن: ٤/٣٦٤، وقريب من ذلك جاء في مواهب الرحمن /الإمام السبزواري قدس سره: ٨/٢٧٧.

(٢) سورة المائدة ٥: ١٣، نزلت هذه الآية في اليهود، فقد كانوا يفسّرون التوراة بغير ما أنزل الله، ويغيّرون صفة النبيّ صلى الله عليه وآله والتحريف بأمرين:

الأوّل: سوء التأويل، والآخر: التغيير والتبديل. جاء ذلك في مجمع البيان: ٤/١٧٣.

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(١).

الآية الرابعة : قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ﴾(٢).

هذه هي الآيات الكريمة التي ورد فيها لفظة التحريف وهي مستعملة في معناها اللغوي من دون أن يكون للشارع المقدّس اصطلاح آخر فيه .

أنواع التحريف

امّا التحريف فهو على أنواع بعضها تتصادم مع قدسية القرآن الكريم على القول بوقوع التحريف فيه ، والبعض الآخر لا تتجافى ولا تتصادم معه ، كما يقول بعضهم وفيما يلي ذلك :

الأوّل : الزيادة

أمّا الزيادة في كتاب الله العزيز فتتصوّر على وجوه وهذه بعضها :

---

(١) سورة البقرة ٢: ٧٥، نزلت الآية الكريمة في اليهود الذين رفضوا دعوة الإسلام واستمروا على معاندة الحقّ ، فخاطب الله تعالى نبيّه بقوله : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾ وقد كان أسلاف اليهود يسمعون كلام الله من موسى مقترناً بالمعجزات فيحرّفونه ويتأوّلونه حسب أهوائهم على علم منهم ، وما حال يهود المدينة إلّا كحال أسلافهم الذين حرّفوا كتاب الله تعالى ، جاء ذلك في الكاشف: ١٣١/١ وللإمام الرازي في تفسيره: ١٣٤/٣ مباحث في بيان التحريف وصوره.

(٢) سورة المائدة ٥: ٤١.

١ ـ الزيادة في الحركات والاعراب ، وهذا لا مانع منه لأنه لا يوجب خللاً في المعنى ، ولا تبديلاً في الكتاب ـ كما يقول البعض ـ ، ولكن التحقيق يفضي بأنّ تغيير الاعراب على القواعد المقرّرة في علم النحو ممّا يوجب الاخلال في المعنى ، والتغيير الكامل للكتاب العزيز .

٢ ـ الزيادة في الحروف وهو ممّا يوجب التحريف في كتاب الله العزيز .

٣ ـ الزيادة بكلمة أو أكثر فإنّه من التحريف الظاهر ، ولا فرق بين أن تكون الزيادة في الآية أو السورة .

الثاني : النقيصة

أمّا النقيصة بجميع صورها فهي ممّا تتنافى مع قدسية القرآن الكريم ، فليس فيه أي نقص كما ليس فيه أي زيادة .

الثالث : التأويل حسب الرغبات

ومن ألوان التحريف تفسير بعضهم لبعض آيات القرآن الكريم بما هو بعيد عن واقع الكتاب العظيم ، وذلك تدعيماً لما يراه ويذهب إليه ، وفي بعض التفاسير صور كثيرة من ذلك وهي بعيدة كلّ البعد عن القرآن .

هذه بعض صور التحريف ، ومن المؤكّد الذي لا ريب فيه أنّ القرآن الكريم منزّه عن كلّ تحريف ، فلا زيادة ولا نقصان فيه ، وإنّما هو بعينه المنزّل من ربّ العالمين على عبده ورسوله خاتم النبيّين محمّد ﷺ ، وسنذكر في البحوث الآتية ما يدعم ذلك .

أقوال بالتحريف

حكت مصادر الحديث طائفة من الروايات بوقوع التحريف في القرآن الكريم ، ونسبته إلى أعلام الصحابة وبعض أُمّهات المؤمنين ، ونحن نشكّ في هذه الروايات ، ونذهب إلى أنّها من الموضوعات ونجلّ الصحابة من ذلك ، وإنّ ما نسب إليهم لا نصيب له من الصحّة ، وهذا عرض لما نسب إليهم :

١ ـ أبو موسى الأشعري

ونسب إلى أبي موسى الأشعري وقوع التحريف في القرآن ، فقد روى أبو الأسود ، قال : بعث أبو موسى الأشعري إلى قرّاء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن ، فقال : أنتم خيار أهل البصرة وقرّاؤهم ؟ فاتلوه ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم ، وإنّا كنّا نقرأ سورة كنّا نشبّهها في الطول والشدة ببراءة فانسيتها غير إنّي حفظت منها ، لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب ، وكنّا نقرأ سورة كنّا نشبّهها بالمسبحات فأنسيتها غير إنّي حفظت منها : « يا أيّها الذين آمنوا لِمَ تَقولون ما لا تفعلون » ، فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة[1] .

والآيات الناقصة التي ذُكرت لا تضارع آيات الكتاب العزيز في فصاحتها وبلاغتها وانسجامها ، وذلك ممّا يدلّ على وضعها .

---

(١) صحيح مسلم : ٧٦٦/٢.

٢ ـ عمر بن الخطّاب

وحفلت مصادر الحديث ببعض الروايات المنسوبة إلى الخليفة الثاني بوقوع التحريف في القرآن، وهذه بعضها:

أ ـ روى عبدالله بن عبّاس:

«إنّ عمر بن الخطّاب كان جالساً على منبر رسول الله ﷺ فقال: إنّ الله بعث محمّداً بالحقّ وأنزل عليه الكتاب، فكان ممّا أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها ووعيناها وعقلناها في رجم رسول الله ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلّوا بترك فريضة أنزلها الله»[١].

ومعنى هذه الرواية انّ آية الرجم قد أُنزلت على الرسول ﷺ وقرأها عمر وغيره ولكنّها لم ترسم في المصحف الكريم، ولماذا لم يرسمها عمر في أيام خلافته!

أمّا آية الرجم فهي: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة»[٢].

وآية الرجم لا تشابه بقية الآيات في روعة بلاغتها وفصاحتها كما هو ظاهر.

ب ـ روى ابن عبّاس أنّ عمر قال: إنّا كنّا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله:

«أنّ لا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كُفرٌ بكم أن ترغبوا عن آبائكم أو إن كُفْراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم»[٣].

وهذه الآية بعيدة كلّ البعد عن آيات القرآن التي هي من مناجم الكلام العربي.

---

(١) صحيح البخاري: ٩/٢٠٨ ـ ٢٠٩. صحيح مسلم: ٣/١٣١٧.

(٢) مستدرك الحاكم: ٤/٣٥٩، وفي الموطأ: ٤٥٨: «إنّ عمر قال: والذي نفسي بيده لولا يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله لكتبتها الشيخ والشيخة فارجموهما البتة».

(٣) صحيح البخاري: ٨/٢١٠.

جـ - وأثر عن عمر أنّه قال : القرآن ألف ألف وسبعة وعشرون ألف حرف[١]، وأحصيت حروف القرآن فلم تبلغ ثلث هذا المقدار فيكون الساقط أكثر من ثلثيه[٢].

٣ - عبدالله بن عمر

ونُسِب إلى عبدالله بن عمر أنّه سقط من القرآن الكريم الشيء الكثير قال :

ليقولنّ أحدكم قد أخذت القرآن كلّه ، وما يدريه ما كلّه ؟ قد ذهب منه قرآن كثير ، ولكن ليقل : قد أخذت منه ما ظهر[٣].

ومعنى هذه الرواية أنّه قد حرّف من القرآن أشياء كثيرة .

٤ - عائشة

ونسبت الرواة إلى عائشة طائفة من الأخبار تدلّ على سقوط بعض الآيات ، وعدم تسجيلها في المصحف ، وهذه بعض الروايات :

١ - روى أبو يونس مولى عائشة أنّه قال : أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفين ، وقالت : إذا بلغت هذه الآية فآذني : « وحافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » فلما بلغتها آذنتها فأملت عليَّ : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين » قالت عائشة : سمعتها من رسول الله ﷺ[٤].

٢ - روى عروة بن الزبير عن عائشة أنّها قالت :

كانت سورة الأحزاب تُقرأ في زمن النبيّ ﷺ مئتي آية ، فلمّا كتب عثمان

---

(١) الاتقان : ١/١٢١.

(٢) البيان في تفسير القرآن : ٢٠٣.

(٣) الاتقان : ٢/٤٠.

(٤) صحيح مسلم : ١/٤٣٧ كتاب المساجد . سنن الترمذي : ٥/٢١٧ . سنن النسائي : ١/٢٣٦ . سنن أبي داود : ١/١١٢.

المصاحف لم نقدر منها إلّا ما هو الآن[١].

٣ ـ روى عمر عن عائشة أنّها قالت: كان فيما أُنزل من القرآن عشر رضَعَاتٍ معلوماتٍ يُحرِّمن ثمّ نسخن بخمسٍ معلومات، فتوفّي رسول الله ﷺ وهنّ فيما يقرأ من القرآن[٢].

٥ ـ حميدة بنت أبي يونس

قالت حميدة بنت أبي يونس: قرأ عليَّ أبي ـ وهو ابن ثمانين سنة ـ في مصحف عائشة:

إنّ الله وملائكته يصلّون على النبيّ يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً وعلى الذين يصلُّون الصفوف الأُولى. قالت: قبل أن يغير عثمان المصاحف[٣].

وواضح زيادة الجملة الأخيرة، وذلك لعدم الترابط بينها وبين ما تقدّمها.

٦ ـ مسلمة بن مخلد

روى أبو سفيان الكلاعي، انّ مسلمة بن مخلد الأنصاري قال لهم ذات يوم: أخبروني بآيتين في القرآن لم يكتبا في المصحف فلم يخبروه، وعندهم أبو الكنود سعد بن مالك. فقال ابن مسلمة:

«إنّ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم أُولئك لا تعلم نفس ما أُخْفِي لهم من قرّة أعْيُنٍ جزاءً بما كانوا يعملون[٤].

---

(١) الاتقان: ٢/٤٠.

(٢) صحيح مسلم: ١٦٧/٤.

(٣) الاتقان: ٢/٤٢.

(٤) الاتقان: ٢/٤٢.

٧ ـ أُبيّ بن كعب

روى أُبيّ بن كعب أنّ رسول الله ﷺ قال له : إنّ الله أمرني أن اقـرأ عـليك فـقرأ « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب » فقرأ فيها إنّ ذات الدين عند الله الحـنيفية المسلمة لا اليهودية ولا النصرانية من يعمل خيراً فلن يكـفره . وقـرأ عـليه : ولو أنّ لابن آدم وادياً من مال لابتغى إليه ثانياً ، ولو كان له ثانياً لابتغى إليه ثالثاً ولا يـملأ جوف ابن آدم إلّا التراب ، ويتوب الله على من تاب[١] .

وهذه الملحقات ليست على نسق الآيات الكريمة وبعيدة عنها كلّ البعد .

٨ ـ عبدالله بن مسعود

سأل أبو الدرداء علقمة فقال له : كيف كان عبدالله ـ يعني ابـن مسـعود ـ يـقرأ : « والليل إذا يغشى والنـهار إذا تـجلّى » فـقال : والذكـر والأُنـثى مـا زال بـي هـؤلاء يستزلّوني عن شيء سمعته من رسول الله ﷺ[٢] .

روى عبدالرحمن بن يزيد قال : كان عبدالله ـ يعني ابن مسعود ـ يحكّ المعوّذتين من مصاحفه ويقول : إنّهما ليستا من كتاب الله[٣] .

هذه بعض الأقوال في تحريف القرآن الكريم ولا نصيب لها من الصـحّة حسب ما ندلّل عليه .

بطلان التحريف

وإذا تأمّلنا بدقّة وشمول في أمر تحريف القرآن لوجدناه من سخف القول ومجافياً

---

(١) الدرّ المنثور : ٨/٥٨٦ .

(٢) كشف الحقائق : ٧٢ ، نقلاً عن صحيح البخاري : ٥/٣١ كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ .

(٣) مسند أحمد بن حنبل : ٥/١٢٩ . مجمع الزوائد : ١/١٤٩ .

لنصوص القرآن والسنّة ، ونعرض للأدلّة على ذلك .

في رحاب القرآن

ودلّت بعض آيات الكتاب العزيز على سلامته من الانحراف والتلاعب ، وانّه على وضعه النازل من ربّ العالمين .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[١] . وحكت الآية الكريمة حفظ الله تعالى لكتابه من الضياع والتحريف والتلاعب .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[٢] .

دلّت الآية على نفي الباطل بجميع أنواعه وألوانه عن الكتاب العزيز ، ومن المؤكّد ـ حسب الصناعة ـ أن النفي إذا ورد على الطبيعة أفاد العموم ، ولا شبهة أنّ التحريف من أفراد الباطل . فيجب أن لا يتطرّق إلى الكتاب العزيز[٣] .

الاستدلال بحديث الثقلين

وتظافرت الأخبار بسلامة الكتاب العزيز من أي تحريف ، زيادة كان أو نقصاناً ، ومن أهمّ تلك الأخبار حديث الثقلين[٤] الذي ضمن النبيّ ﷺ فيه السلامة لأُمّته من الزيغ والانحراف إن تمسّكت بكتاب الله ، وبعترة نبيّه ، وهذا نصّه :

---

(١) سورة الحجر ١٥ : ٩.

(٢) سورة فصّلت ٤١ : ٤١ و ٤٢.

(٣) البيان في تفسير القرآن : ٢١٠.

(٤) حديث الثقلين من الأحاديث النبوية المتواترة ، رواه أحمد في مسنده : ١٤/٣ ، وجلال الدين السيوطي في جامعه الصغير ، والحاكم في المستدرك : ١٠٩/٣ ، والمناوي في شرحه : ١٥/٣ ، وغيرهم.

«إِنّي تارِكٌ فيكُمْ ما إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا بَعْدي، أَحَدُهُما أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ: كِتابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِتْرَتي أَهْلَ بَيْتي، وَإِنَّهُما لَنْ يَتَفَرَّقا حَتّىٰ يَرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فانْظُروا كَيْفَ تَخْلُفوني فِيهِما...».

وقد عرض الإمام الخوئي إلى الاستدلال بهذا الحديث على سلامةالقرآن من التحريف قال: والاستدلال به على عدم تحريف الكتاب يكون من ناحيتين:

الناحية الأُولى:

إنّ القول بالتحريف يستلزم عدم وجوب التمسّك بالكتابالمنزل لضياعه علىالأُمّة بسبب وقوع التحريف، ولكن وجوب التمسّك بالكتاب باقٍ إلى يوم القيامة لصريح أخبار الثقلين، فيكون القول بالتحريف باطلاً جزماً.

وتوضيح ذلك:

إنّ هذه الروايات دلّت على اقتران العترة بالكتاب وعلى أنّهما باقيان في الناس إلى يوم القيامة. فلا بدّ من وجود شخص يكون قريناً للكتاب، ولا بدّ من وجود الكتاب ليكون قريناً للعترة حتى يردا على النبيّ ﷺ الحوض، وليكون التمسّك بهما حافظاً للأُمّة عن الضلال كما يقول النبيّ ﷺ في هذا الحديث، ومن الضروري انّ التمسّك بالعترة إنّما يكون بموالاتهم واتّباع أوامرهم ونواهيهم والسير على هداهم.

وهذا شيء لا يتوقّف على الاتّصال بالإمام والمخاطبة معه شفاهاً، فإنّالوصول إلى الإمام والمخاطبة معه لا يتيسّر لجميع المكلّفين في زمان الحضور فضلاً عن أزمنة الغيبة، واشتراط إمكان الوصول إلى الإمام لبعض الناس دعوىً بلا برهان، ولا سبب يوجب ذلك، فالشيعة في أيام الغيبة متمسّكون بإمامهم يوالونه، ويتّبعون أوامره، ومن هذه الأوامر الرجوع إلى رواة أحاديثهم في الحوادث الواقعة، أمّا التمسّك بالقرآن فهو أمر لا يكون إلّا بالوصول إليه، فلا بدّ من كونه موجوداً بين الأُمّة

ليمكنها أن تتمسّك به لئلا تقع في الضلال ، وهذا البيان يرشدنا إلى فساد المناقشة بأنّ القرآن محفوظ وموجود عند الإمام الغائب ، فإنّ وجوده الواقعي لا يكفي لتمسّك الأُمّة به .

وأشكل الأُستاذ على ما ذكره ، وأجاب عنه وأضاف بعد ذلك :

الناحية الثانية :

إنّ القول بالتحريف يقتضي سقوط الكتاب عن الحجّية ، فلا يتمسّك بظواهره ، فلا بدّ للقائلين بالتحريف من الرجوع إلى امضاء الأئمّة الطاهرين لهذا الكتاب الموجود بأيدينا ، واقرار الناس على الرجوع إليه بعد ثبوت تحريفه .

ومعنى هذا : انّ حجّية الكتاب الموجود متوقّفة على امضاء الأئمّة للاستدلال به ، وأُولى الحجّتين المستقلّتين اللتين يجب التمسّك بهما ، بل هو الثقل الأكبر فلا تكون حجّيته فرعاً على حجّية الثقل الأصغر ، والوجه في سقوط الكتاب عن الحجّية ـ على القول بالتحريف ـ هو احتمال اقتران ظواهره بما يكون قرينة على خلافها ، امّا الاعتماد في ذلك على أصالة عدم القرينة فهو ساقط ، فإنّ الدليل على هذا الأُصل هو بناء العقلاء على اتّباع الظهور وعدم اعتنائهم باحتمال القرينة على خلافه ، وقد أوضحنا في مباحث الأُصول انّ القدر الثابت من البناء العقلائي ، هو عدم اعتناء العقلاء باحتمال وجود القرينة المنفصلة . ولا باحتمال وجود القرينة المتّصلة إذاكان سببه احتمال غفلة المتكلّم عن البيان أو غفلة السامع عن الاستفادة[1] . وأطال الأُستاذ في تنزيه القرآن من التحريف وأقام الأدلّة الحاسمة على ذلك ، وانّه لم يقع أي تحريف فيه لا في زمان الخلفاء ولا من بعدهم ، والقول بالتحريف باطل لا دليل عليه مطلقاً .

---

(١) البيان في تفسير القرآن : ٢١٢ ـ ٢١٤.

سلامة القرآن من التحريف عند الشيعة

وتبنّت الشيعة بصورة ايجابية ومتميّزة تقديس القرآن الكريم ، وإحاطته بهالة من التعظيم لأنه المعجزة الخالدة لعبد الله ورسوله محمّد ﷺ والثقل الأكبر الذي خلّفه لأمّته فجعله مصدر هدايتها وسلامتها من الزيغ والانحراف . وما نُسِب إليها من التحريف لا نصيب له من الواقع .

ونعرض ـ بايجاز ـ إلى بعض ما أثر عن أئمّة الهدى عليهم السلام في سموّ شأن الكتاب العزيز وسلامته من كلّ تحريف ، وفيما يلي ذلك :

١ ـ فضل القرآن

وتواترت الأخبار عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في فضل القرآن الكريم هذه بعضها :

أ ـ روى طلحة بن زيد عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال :

«إنَّ هذا الْقُرآنَ فيهِ مَنارُ الْهُدىٰ ، وَمَصابيحُ الدُّجىٰ ، فَلْيَجْلُ جالٍ بَصَرَهُ ، وَيَفْتَحُ لِلضِّياءِ نَظَرَهُ ، فَإِنَّ التَّفَكُّرَ حَياةُ قَلْبِ الْبَصيرِ كَما يَمْشي الْمُسْتَنيرُ في الظُّلُماتِ بِالنُّورِ»[1] .

ب ـ روى أبو جميلة عن أبي عبدالله عليه السلام انّه قال :

«كانَ في وَصِيَّةِ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام لِأَصْحابِهِ : اعْلَموا أَنَّ الْقُرْآنَ هُدى النَّهارِ ،

---

(١) أصول الكافي : ٤٣٨/٢ .

وَنُورُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ عَلىٰ ما كانَ مِنْ جُهْدٍ وَفاقَةٍ»(١).

جـ ـ روى أبو بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول:

«إِنَّ الْقُرآنَ زاجِرٌ وَآمِرٌ، يَأْمُرُ بِالْجَنَّةِ، وَيَزْجُرُ عَنِ النّارِ»(٢).

د ـ روى الإمام أبو جعفر عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«أَنا أَوَّلُ وافِدٍ عَلَى الْعَزيزِ الْجَبّارِ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَكِتابُهُ وَأَهْلُ بَيْتي، ثُمَّ أُمَّتي، ثُمَّ أَسْأَلُهُمْ ما فَعَلْتُمْ بِكِتابِ اللهِ وَبِأَهْلِ بَيْتي»(٣).

هـ ـ روى الإمام أبو عبدالله عليه السلام في حديث له عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«الْقُرْآنُ هُدىً مِنَ الضَّلالَةِ، وَتِبْيانٌ مِنَ الْعَمىٰ، وَاسْتِقالَةٌ مِنَ الْعَثْرَةِ، وَنورٌ مِنَ الظُّلْمَةِ(٤)**، وَضِياءٌ مِنَ الْأَحْداثِ، وَعِصْمَةٌ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَرُشْدٌ مِنَ الْغِوايَةِ، وَبَيانٌ مِنَ الْفِتَنِ، وَبَلاغٌ مِنَ الدُّنْيا إِلَى الْآخِرَةِ، وَفيهِ كَمالُ دينِكُمْ، وَما عَدَلَ أَحَدٌ عَنِ الْقُرْآنِ إِلّا إِلَى النّارِ»**(٥).

٢ ـ الحثّ على حفظ القرآن

وحثّ الأئمّة الطاهرون عليهم السلام على حفظ القرآن الكريم، ووعدوا الحافظين له بالمنزلة الكريمة عند الله تعالى، وهذه بعض ما اثر عنهم:

أ ـ قال الإمام أبو عبدالله عليه السلام:

---

(١) و (٢) أُصول الكافي: ٤٣٩/٢.

(٣) أُصول الكافي: ٦٠٠/٢.

(٤) في بعض النسخ: «الضلالة».

(٥) أُصول الكافي: ٤٣٩/٢.

«مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَهُوَ غِنىً وَلا فَقْرَ بَعْدَهُ، وَإِلّا ما بِهِ غِنى»[١].

ب ـ وروى الفضيل بن يسار عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام أنه قال:

«الْحافِظُ لِلْقُرْآنِ، الْعامِلُ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرامِ الْبَرَرَة»[٢].

جـ ـ روى الإمام أبو عبدالله عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«إِنَّ أَهْلَ الْقُرْآنِ في أَعْلىٰ دَرَجَةٍ مِنَ الْآدَمِيّينَ ما خلا النَّبِيّينَ وَالْـمُرْسَلين، فَلَا تَسْتَضْعِفوا أَهْلَ الْقُرْآنِ حُقوقَهُمْ فَإِنَّ لَـهُمْ مِـنَ اللهِ الْـعَزيزِ الْـجَبّارِ لَـمكاناً عَلِيّاً» [٣].

د ـ قال الإمام أبو عبدالله عليه السلام:

«مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَهُوَ شابٌّ مُؤْمِنٌ اخْتَلَطَ الْقُرْآنُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ، وَجَـعَلَهُ اللهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرامِ الْبَرَرَةِ، وَكانَ الْقُرْآنُ حَجيزاً عَنْهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ»[٤].

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تشجّع على حفظ كتاب الله تعالى، وتذكر ما أعدّ الله يوم حشره من الأجر الجزيل.

٣ ـ التأمّل في آيات القرآن

وحثّ الإمام زين العابدين عليه السلام على التأمّل في آيات القرآن الكريم وذلك لما حوته من الذخائر، قال عليه السلام:

«آياتُ الْقُرْآنِ خَزائِنٌ، فَكُلَّما فَتَحْتَ خِزانَةً يَنْبَغي لَكَ أَنْ تَنْظُرَ ما فيها»[٥].

---

(١) أصول الكافي: ٢/٦٠٥.

(٢ ـ ٤) أصول الكافي: ٢/٦٠٣.

(٥) أصول الكافي: ٢/٦٠٩.

٤ ـ قراءة القرآن بركة ورحمة

وفي قراءة القرآن الكريم بركة ورحمة ، وقد حثّ الأئمّة الطاهرون على تلاوته ، فقد روى الإمام أبو عبدالله عليه‌السلام عن جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام أنّه قال :

« الْبَيْتُ الَّذي يُقْرَأُ فيهِ الْقُرْآنُ ، وَيُذْكَرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فيهِ تَكْثُرُ بَرَكَتُهُ ، وَتَحْضُرُهُ الْمَلائِكَةُ ، وَتَهْجُرُهُ الشَّياطينُ ، وَيَضيءُ لِأَهْلِ السَّماءِ كَما تُضيءُ الْكَواكِبُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ ، وَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذي لا يُقْرَأُ فيهِ الْقُرْآنُ ، وَلا يُذْكَرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فيهِ تَقِلُّ بَرَكَتُهُ ، وَتَهْجُرُهُ الْمَلائِكَةُ ، وَتَحْضُرُهُ الشَّياطينَ »[1] .

هذه بعض الأخبار التي أدلى بها أئمّة أهل البيت عليهم‌السلام في فضل القرآن الكريم ، وانّه الثقل الأكبر الذي خلّفه النبيّ الأعظم صلى‌الله‌عليه‌وآله في اُمّته لإقامة أخلاقها وتهذيب سلوكها ، وجعلها قادة الأمم والشعوب .

ونعرض ـ بايجاز ـ إلى ما اثر عن الإمام أبي جعفر عليه‌السلام وغيره في ذمّ المحرّفين لكتاب الله العزيز وإلى ما أعلنه كبار علماء الشيعة من التزامهم بعدم تحريف القرآن زيادة ونقيصة ، وفيما يلي ذلك :

ذمّ المحرّفين

١ ـ وأعلن الإمام أبوجعفر محمّد الباقر عليه‌السلام في رسالته إلى سعد الخير ذمّه المحرّفين ، وشجبه لما اقترفوه من تغيير وتبديد لكتاب الله تعالى .

قال عليه‌السلام : **« وَكانَ مِنْ نَبْذِهِمُ الْكِتابَ أَنْ أَقامُوا حُروفَهُ ، وَحَرَّفُوا حُدودَهُ ، فَهُمْ يَرونَهُ وَلا يَرْعونَهُ ، وَالْجُهّالُ يَعْجِبُهُم حِفْظُهُمْ ، وَالْعُلَماءُ يَحْزُنُهُمْ**

---

(١) اُصول الكافي : ٢/٦١٠ .

تَرْكُهُم لِلرِّعايةِ»[١].

٢ ـ روى أبو ذرّ قال :

« لمّا نزلت هذه الآية : ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ﴾ قال رسول الله ﷺ : **تَرِدُ أُمَّتي عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلىٰ خَمْسِ راياتٍ** ، ثمّ ذكر أنّ رسول الله ﷺ يسأل الرايات عمّا فعلوا بالثقلين ، فتقول الراية الأُولى : أمّا الأكبر فحرّفناه ونبذناه وراء ظهورنا ، وأمّا الأصغر فعاديناه وأبغضناه وظلمناه .

وتقول الراية الثانية : أمّا الأكبر فحرّفناه ومزّقنا وخالفناه ، وأمّا الأصغر فعاديناه وقاتلناه . . . »[٢].

٣ ـ روى الإمام أبو جعفر عليه السلام قال :

« دَعا رَسولُ اللهِ ﷺ بِمِنىٰ فقالَ : أَيُّها النّاسُ ، إِنّي تارِكٌ فيكُمُ الثَّقَلَيْنِ ، ما إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِما لَنْ تَضِلّوا : كِتابَ اللهِ وَعِتْرَتي ، وَالْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرام » .

وعقّب الإمام أبوجعفر عليه السلام على حديث جدّه بقوله :

« أَمّا كِتابُ اللهِ فَحَرَّفوا ، وَأَمّا الْكَعْبَةُ فَهَدَموا ، وَأَمّا الْعِتْرَةُ فَقَتَلوا ، وَكُلُّ وَدائِعِ اللهِ قَدْ نَبَذوا وَمِنْها قَدْ تَبَرَّأوا »[٣].

وقد دلّت هذه الكوكبة من الروايات على ذمّ المحرّفين لكتاب الله تعالى ، كما دلّت على وقوع التحريف فيه وليس المراد منه الزيادة أو النقيصة فيه ، فذلك باطل جزماً جملة وتفصيلاً ، وإنّما المراد منه تأويله وتفسيره على غير ما أنزل الله

---

(١) الوافي : ٢٧٤.

(٢) و (٣) البيان في تفسير القرآن : ٢٢٧.

تعالى ، فقد عمد بعض المفسّرين إلى ذلك دعماً للحكم الأُموي والعباسي ، فقد ذكر بعض المفسّرين أنّ الآية الكريمة : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ ﴾ نزلت في ابن ملجم الباغي الأثيم لأنه عمّم بسيفه رائد الحكمة والعدالة الاجتماعية في الإسلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أخو النبيّ صلى الله عليه وآله وباب مدينة علمه ، وكثير من أمثال هذا التفسير توجد في مصادر تفسير القرآن الكريم ، وهي بعيدة كلّ البعد عن كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه ، قد وضعها من لا حريجة له في الدين تقرّباً للسلطات الحاكمة التي جهدت على تدعيم حكمها بكلّ ما خالف القرآن الكريم .

وعلى أي حال فإنّ الشيعة تبرأ من تحريف الكتاب العزيز ، وتجمع على أنّه هو الكتاب المنزّل من ربّ العالمين لا زيادة ولا نقصان فيه .

كلمات أعلام الشيعة

وأدلى كبار علماء الشيعة بصيانة الذكر الحكيم من كلّ زيغ وتحريف ، وهذه بعض كلماتهم :

• الشيخ الصدوق

أمّا الشيخ الصدوق فهو من أبرز علماء الشيعة قال :

« اعتقادنا في القرآن انّه كلام الله ووحيه وتنزيله وقوله وكتابه ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم عليم ، وانّه القصص الحقّ ، وانّه لقول فصل ، وما هو بالهزل ، وانّ الله تبارك وتعالى محدثه ومُنزله ، وربّه وحافظه ، والمتكلّم به »(١) .

وأكّد الشيخ الصدوق ما ذهبت إليه الشيعة من سلامة القرآن الحكيم من التحريف

---

(١) كشف الحقائق : ٤٧ ـ ٤٨ .

بقوله : « اعتقادنا أنّ القرآن أنزله الله تعالى على نبيّه محمّد ﷺ هو ما بين الدفتين » ، وأضاف :

« ومن نسب إلينا إنّا نقول : إنّه أكثر من ذلك فهو كاذب »[١].

• الشيخ الطوسي

وأعلن زعيم الطائفة الإمامية الإمام أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي سلامة القرآن الكريم من كل تحريف قال :

« أمّا الكلام فيه زيادته ونقصانه فممّا لا يليق بهذا الكتاب المقصود منه العلم بمعاني القرآن ؛ لأنّ الزيادة منه مجمع على بطلانها والنقصان منه ، فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين على خلافه ، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا »[٢].

• العلّامة الحلّي

عرض العلّامة الحلّي نضّر الله مثواه إلى تفنيد وإبطال التحريف في كتاب الله حينما سأله السيّد المهنا عن ذلك فأجاب :

« الحقّ انّه لا تبديل ، ولا تأخير ، ولا تقديم فيه ، وانّه لم يزد ، ولم ينقص ، ونعوذ بالله من أن يعتقد مثل ذلك وأمثال ذلك ، فإنّه يوجب التطرّق إلى معجزة الرسول ﷺ المنقولة بالتواتر »[٣].

• الإمام الشيخ جعفر كاشف الغطاء

قال إمام المحقّقين الشيخ جعفر كاشف الغطاء ﷺ :

« لا زيادة فيه ـ أي في القرآن ـ من سورة ولا آية من بسملة وغيرها ، لا كلمة ،

---

(١) صيانة القرآن من التحريف : ٦٠.

(٢) البيان في تفسير القرآن : ١/٣.

(٣) صيانة القرآن الكريم من التحريف : ٦٣.

ولا حرف ، وجميع ما بين الدفّتين ممّا يتلى كلام الله تعالى بالضرورة من المذهب ، بل الدين وإجماع المسلمين ، وأخبار النبيّ ﷺ والأئمّة الطاهرين عليهم السلام[١].

• الإمام شرف الدين

ونفى الإمام شرف الدين نفياً قاطعاً تحريف القرآن الكريم ، قال :

« إنّ المذهب المحقّق عند علماء الفرقة الإمامية الاثنى عشر أنّ القرآن الذي أنزله الله على نبيّه هو ما بين الدّفتين ، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك ، وانّه كان مجموعاً مؤلّفاً في عهده ﷺ ، وحفظه ونقله اُلوف من الصحابة ، ويظهر القرآن وينتشر بهذا الترتيب عند ظهور الإمام الثاني عشر عجّل الله تعالى فرجه »[٢].

• المحقّق الأردبيلي

قال المحقّق الأردبيلي : وإذا ثبت تواتره ـ أي القرآن الكريم ـ فهو مأمون من الاختلال ، مع انّه مضبوط في الكتب حتى إنّه معدود حرفاً حرفاً وحركةً حركة ، وكذا الكتابة وغيرها ، ممّا يفيد الظنّ الغالب ، بل العلم ، بعدم الزيادة على ذلك والنقص »[٣].

• الإمام محمّد الحسين كاشف الغطاء

قال الإمام الشيخ محمّدالحسين كاشفالغطاء : إنّ الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه ﷺ للاعجاز والتحدّي ولتعلّم الأحكام ، وتمييز الحلال من الحرام ، وانّه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة ، وعلى هذا إجماعهم ـ أي الشيعة الإمامية ـ ومن ذهب منهم أو من غيرهم من فِرق المسلمين

---

(١) صيانة القرآن الكريم من التحريف : ٦٣.

(٢) الفصول المهمّة : ١٦٤.

(٣) مجمع الفائدة : ٢/٢١٨.

إلى وجود نقص فيه أو تحريف فهو مخطئ نصّ الكتاب العظيم : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُون ﴾ والأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم ـ أي العامّة ـ الظاهرة في نقصه أو تحريفه ضعيفة شاذّة ، وأخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً ، فأمّا أن تؤوّل بنحو من الاعتبار أو يضرب بها الجدار »[١].

• العلاّمة المظفّر

قال العلاّمة الشيخ محمّد رضا المظفر ﵀ : نعتقد أنّ القرآن هو الوحي المنزل من الله تعالى على لسان نبيّه الأكرم ﷺ فيه تبيان لكلّ شيء ، وهو معجزته الخالدة ، التي أعجزت البشر عن مجاراتها في البلاغة والفصاحة ، وفيما حوى من حقائق ، ومعارف عالية لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف ، وهذا الذي بين أيدينا نتلوه ، وهو نفس القرآن المنزل على النبيّ ﷺ ، ومن ادّعى فيه غير ذلك فهو محترف أو مغالط أو مشتبه ، وكلّهم على غير هدى فإنّه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه »[٢].

• المحقّق الأميني

قال المحقّق الأميني في ردّه على أكاذيب ابن حزم في تحريف الشيعة للقرآن :

« لكن القارئ إذا فحص ونقّب لا يجد في طليعة الإمامية إلّا نفاة هذه الفرية .. هؤلاء أعلام الإمامية وحملة علومهم الكالئين لنواميسهم وعقائدهم قديماً وحديثاً يوقفونك على حين الرجل فيما يقول : وهذه فِرق الشيعة وفي مقدّمتهم الإمامية مجمعة على أنّ ما بين الدفّتين هو ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه »[٣].

---

(١) أصل الشيعة وأصولها : ١٣٣.

(٢) كشف الحقائق : ٤٨.

(٣) الغدير : ٣/١٠١.

• الإمام الطباطبائي

وبحث الإمام الطباطبائي بحثاً شاملاً وموضوعياً في سلامة القرآن الكريم من كلّ زيادة ونقيصة ، ذكر ذلك في تفسيره للقرآن الكريم (الميزان) واستدلّ عليه بأوثق الأدلّة ، وكان ممّا استدلّ به الروايات التي اثرت عن أئمّة الهدى ﷺ في عرض الأخبار المتعارضة على كتاب الله فما وافقه منها فهو حجّة ، وما خالفه فهو زخرف ، وكذلك حديث الثقلين الذي ينصّ على التمسّك بكتاب الله تعالى ، فلو كان محرّفاً فهو غير حجّة ، ولا مجال لعرض الأخبار عليه والتمسّك به »[١] .

هذه بعض كلمات أعلام الشيعة ، وأعمدتها العلمية في سلامة القرآن الكريم من كل تحريف .

أُمور هامّة :

ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة في بعض الأُمور الهامّة التي ترتبط بالموضوع ، وهي :

مع المحدّث النوري

ألّف المحدّث النوري كتاباً أسماه (فصل الخِطاب) ذكر فيه وقوع التحريف زيادة ونقيصة في القرآن الكريم ، وقد اتّخذه خصوم الشيعة وسيلة للتشهير والطعن بهم ، وهذا الكتاب خالٍ من الموازين والقيم العلمية ، وهو على غرار ما كتبه السيوطي في كتابه (الاتقان) الذي ذكر فيه سيلاً من الروايات على وقوع التحريف في القرآن الكريم .

والكتاب لا يحفل به ، فقد اعتمد على الروايات الموضوعة ، وقد ردّ عليه الإمام البلاغي نضّر الله مثواه قال :

---

(١) الميزان في تفسير القرآن.

« وقد جهد المحدّث المعاصر في كتاب (فصل الخِطاب) في جمع الروايات التي استدلّ بها على النقيصة ، وكثّر أعداد مسانيدها بأعداد المراسيل ، مع أنّ المتتبّع المحقّق يجزم بأنّ هذه المراسيل مأخوذة من تلك المسانيد .

وفي جملة ما أورده من الروايات ما لا يتيسّر احتمال صدقها ، ومنها ما هو مختلف بما يؤول إلى التنافي والتعارض ، مع أنّ القسم الوافر منها ترجع أسانيدها إلى بضعة أنفار ، وقد وصف علماء الرجال كلاً منهم لا استحل أن أروي من تفسيره حديثاً واحداً وأنّه معروف بالموقف ، وأشدّ عداوة للرضا عليه السلام ، وأمّا بأنّه فاسد الرواية يرمى بالغلوّ » .

وأضاف قائلاً :

« ولو تسامحنا بالاعتناء برواياتهم في مثل هذا المقام الخطير لوجب من دلالة الروايات المتعدّدة أن ننزّلها على أنّ مضامينها تفسير للآيات أو تأويل أو بيان لما يعلم يقيناً شمول عمومها له؛ لأنّه أظهر الأفراد وأحقّها بحكم العامّ أو ما كان مراداً بخصوصه عند التنزيل ، أو هو مورد النزول ، أو ما كان هو المراد من اللفظ المبهم .

وعلى أحد هذه الوجوه الثلاثة الأخيرة يحمل ما ورد انّه تنزيل ، أو انّه نزل به جبرئيل كما يحمل التحريف الوارد في الروايات على تحريف المعنى ، كما يشهد بذلك مكاتبة سعد إلى أبي جعفر عليه السلام ، وكان من نبذهم الكتاب أنّ أقاموا حروفه ، وحرّفوا حدوده ، وكما يحمل ما ورد بشأن مصحف أمير المؤمنين عليه السلام ، وابن مسعود انّه من التفسير والتأويل لقوله عليه السلام :

« **وَلَقَدْ جِئْتُهُمْ بِالْكِتابِ كامِلاً مُشْتَمِلاً عَلَى التَّنْزِيلِ وَالتَّأْوِيلِ** » .

وهكذا ما ورد من زيادة لولاية عليّ عليه السلام في مصحف فاطمة عليها السلام ، ومعلوم أنّه كان كتاب تحديث بأسرار العلم ، وقد ورد انّه لم يكن فيه شيء من القرآن ، وأيضاً ما ورد من تنزيل الأئمّة موضع الأمّة لا بدّ من حمله على التفسير وإنّ التحريف إنّما هو في

المعنى وكذا نظائره من سائر الروايات »[١].

وما أفاده الإمام البلاغي ﷺ وثيق للغاية ، وما ذكره المحدّث النوري في الافصاح من وقوع التحريف في القرآن الكريم بعيد كل البعد عن الموازين والقيم العلمية ، وإنّ الكتاب العظيم منزّه من كلّ تحريف . وقد تصدّى فضيلة العلّامة الشيخ محمّد هادي معرفة في كتابه (صيانة القرآن من التحريف) إلى تفنيد الروايات التي اعتمد عليها النوري وأنّها من الموضوعات ، ودلّل على ذلك بصورة موضوعية ،كما تصدّى إلى ضحالة المصادر التي اعتمد عليها النوري ، وأنّها ليست من الكتب التي يعتمد عليها ، ولم يدع في بحثه أيّ مجال للشكّ في فساد ما ذكره المحدّث النوري .

مع الكليني

عقد ثقة الإسلام الكليني نضّر الله مثواه في كتابه الجليل (أُصول الكافي) فصلاً تحت عنوان « انّه لم يجمع القرآن كلّه إلّا الأئمّة عليهم السلام ، وأنّهم يعلمون علمه كلّه »[٢]. وذكر كوكبة من الأخبار في ذلك ، ومن المقطوع به انّه لم يذهب إلى تحريف الكتاب العزيز ، وإنّما مقصوده انّ القرآن الكريم لا يحيط بمحتواه ، ولا يعرف تأويله ولا ناسخه ولا منسوخه سوى الأئمّة الطاهرين عليهم السلام الذين هم خزنة علم النبيّ صلى الله عليه وآله ، وورثة آدابه وحكمه ، ومضافاً لذلك فإنّ الأخبار الموجودة في الكافي وغيره من كتب الإمامية فيها الصحيح والضعيف ، والمعيار في صحّة الحديث هو أن يكون صحيح السند ، وأن لا تكون دلالته مجافية للكتاب والسنّة ، فإذا اكتسب ذلك فالرواية صحيحة وإلّا فهي شاذة لا يعمل بها حسبما ذكره علماء الإمامية .

يقول الحجّة الشيخ محمّد جواد مغنية ﷺ : « ألفت نظر من يحتجّ على الشيعة

---

(١) مقدّمة تفسير الآلاء : ١/٢٥ ـ ٢٧.

(٢) أُصول الكافي : ١/١٧٨.

ببعض الأحاديث الموجودة في كتب بعض علمائهم، ألفت نظره إلى أنّ الشيعة تعتقد أنّ كتب الحديث الموجودة في مكتباتهم، ومنها الكافي والاستبصار والتهذيب، ومن لا يحضره الفقيه، فيها الصحيح والضعيف، وانّ كتب الفقه التي ألّفها علماؤهم فيها الخطأ والصواب، فليس عند الشيعة كتاب يؤمنون بأنّ كلّ ما فيه حقّ وصواب من أوّله إلى آخره غير القرآن الكريم».

وأضاف:

«إنّما يكون الحديث حجّة على الشيعي الذي ثبت عنده الحديث بصفته الشخصية، وهذه نتيجة طبيعية لفتح باب الاجتهاد لكلّ من له الأهليّة فإنّ الاجتهاد يكون في صحّة السند وضعفه كما يكون في استخراج الحكم من آية أو رواية»(١).

مصحف الإمام عليّ عليه السلام

وقبل أن أطوي الصفحات الأخيرة من هذا الكتاب أعرض إلى أن بعض الأخبار دلّت على أنّ للإمام أمير المؤمنين عليه السلام مصحفاً غير المصحف الموجود، وقد جاء به إلى الصحابة فلم يقبلوا منه، وهذا نصّ حديثه عليه السلام:

خاطب الإمام طلحة قائلاً له:

« يا طَلْحَةُ، إنَّ كُلَّ آيَةٍ أَنْزَلَها اللهُ تَعالىٰ عَلىٰ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله عِنْدي بِإِمْلاءِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَخَطِّ يَدي، وَتَأْويلَ كُلِّ آيَةٍ أَنْزَلَها اللهُ تَعالىٰ عَلىٰ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَكُلَّ حَلالٍ أَوْ حَرام أَوْ حَدٍّ أَوْ حُكْمٍ أَوْ شَيْءٍ تَحْتاجُ إِلَيْهِ الأُمَّةُ إِلىٰ يَوْمِ الْقيامَةِ فَهُوَ عِنْدي مَكْتُوبٌ بِإِمْلاءِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَخَطِّ يَدي حَتّىٰ إِرْشِ الْخَدْش»(٢).

---

(١) مجلة رسالة الإسلام / العدد ٤٤: ٣٨٢ ـ ٣٨٥.

(٢) البيان في تفسير القرآن: ٢٢٢.

وهناك رواية أُخرى تضارع هذه الرواية وهي :

قال جابر : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول :

« ما ادّعىٰ أَحَدٌ مِنَ النّاسِ أَنَّهُ جَمَعَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ كَما أُنْزِلَ إِلَّا كَذّابٌ ، وَما جَمَعَهُ وَحَفِظَهُ كَما أَنْزَلَهُ اللهُ تَعالىٰ إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبي طالِبٍ وَالْأَئِمَّةُ مِنْ بَعْدِهِ عليهم السلام »[١].

وليس المراد من هاتين الروايتين وأمثالهما أنّه عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسائر الأوصياء مصحفاً يغاير المصحف المتناول؛ فإنّ ذلك باطل جزماً وإنّما المراد أنّ المصحف الذي عند الإمام عليه السلام حافل ببيان معاني الآيات وأسباب نزولها ، ومحكمها ومتشابهها ، وعامّها وخاصّها ، ومطلقها ومقيّدها ،كما أنّ المراد بمصحف سيّدة نساء العالمين السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام هو ذلك فإنّه من المقطوع به أنّ القرآن الكريم كان مجموعاً ومحفوظاً في أيام النبيّ صلى الله عليه وآله .

وقد نقل الشيخ الطوسي عن الإمام المرتضى أنّه قال :

« إنّ القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مجموعاً مؤلّفاً على ما هو عليه الآن » ، واستدلّ على ذلك بأنّ القرآن كان يدرّس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان ، حتى عيّن عليّ جماعة من الصحابة في حفظهم له ، وأنّه كان يعرض على النبيّ صلى الله عليه وآله ويتلى عليه ، وأنّ جماعة من الصحابة مثل عبدالله بن مسعود وأُبيّ بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله عدّة ختمات ، وكلّ ذلك يدلّ بأدنى تأمّل على أنّه كان مجموعاً مرتّباً غير مبتور ، ولا مبثوث »[٢].

وأكّد ذلك الإمام الأعظم شرف الدين قدس سره قال : « إنّ القرآن عندنا كان مجموعاً

---

(١) البيان في تفسير القرآن : ٢٢٣.

(٢) مجمع البيان : ١٥/١.

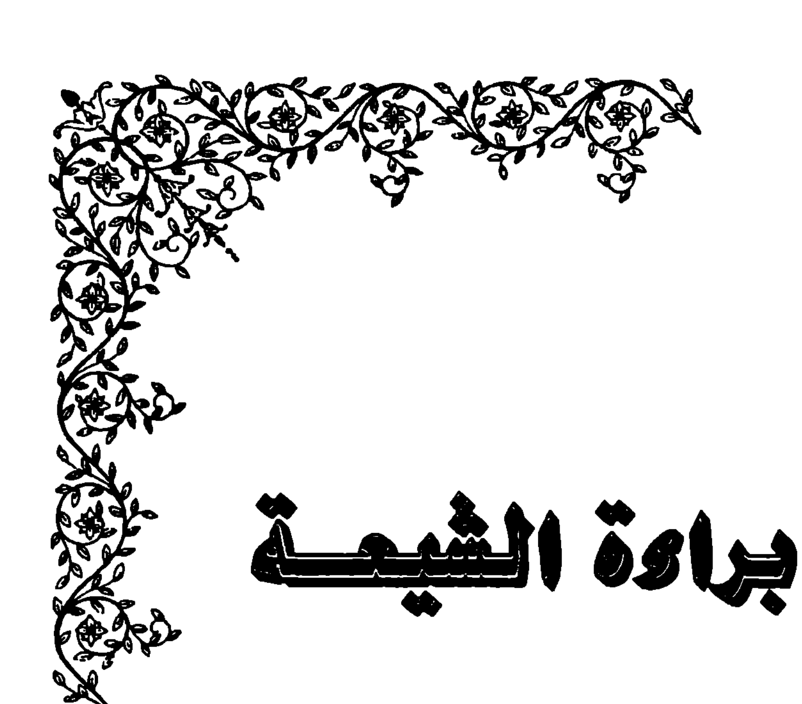
على عهد الوحي والنبوّة ، مؤلّفاً على ما هو عليه الآن ، وقد عرضه الصحابة على النبيّ ﷺ وتلوه عليه من أوّله إلى آخره ، وكان جبرئيل عليه السلام يعارضه ﷺ بالقرآن في كلّ عام مرّة ، وقد عارضه به عام وفاته مرّتين ، وهذا كلّه من الأُمور الضرورية لدى المحقّقين من علماء الإمامية ، ولا عبرة ببعض الجامدين منهم كما لا عبرة بالحشوية من أهل السنّة القائلين بتحريف القرآن ـ والعياذ بالله ـ فإنّهم لا يفقهون »[1].

وعلى أي حال فإنّ الشيعة الإمامية تعتقد اعتقاداً جازماً لا يخامره أدنى شكّ أنّ القرآن الكريم المُنزل من ربّ العالمين كان مجموعاً في أيام النبيّ ﷺ ، وأنّه سالم من كل تحريف ، وما ورد في بعض الروايات الشاذّة من وجود تحريف فيه فإنّها باطلة؛ لأنّها تتصادم مع الكتاب العزيز والسنّة المقدّسة ، وما ذكر من الروايات المنافية لذلك فإنّها موضوعة أو مؤوّلة .

وفي نهاية هذا الكتاب انّي آمل أن يجد القارئ فيه الفائدة والمتعة ، وهو ما أتمنّاه ، والله ولي التوفيق .

---

(١) أجوبة مسائل جارالله : ٣٠.



براءة الشيعة

من الغلو والغلاة

تقديم



والشيء المحقّق حسب الدراسات العلمية التي لا تخضع لهوى ولا تجنح لعاطفة أنّ التشيّع بمفهومه الفكري وأرصدته الروحية والسياسية ، قد نشأ وترعرع وتكوّن حينما فجّر النبيّ العظيم ﷺ دعوته الخلّاقة الهادفة إلى إقامة مجتمع سليم متوازن في سلوكه واجتماعه واقتصاده تسود فيه العدالة وتعمّ فيه الاخوة والمحبّة والأمن والرخاء ، فعقد مؤتمراً ضمّ الأُسر القرشية ، وعرض عليهم رسالته الخالدة التي تنقذهم من واقعهم المرير ، وماهم عليه من التخلّف الفكري وطلب منهم من يؤازره على إشاعة مثله ومبادئه بين الناس ليتّخذه وزيراً وخليفة ووصيّاً من بعده لتمتدّ تعاليمه بعد رحيله فوجموا جميعاً وسخر بعضهم منه ، فانبرى إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو في فجر الصبا وروعة الشباب فعاهده على مؤازرته ومناصرته ، فاتّخذه وزيراً وخليفة من بعده ، وناشراً لأهدافه ومبادئه ... وفي ذلك اليوم تأسّس التشيّع القائم على الولاء للإمام أمير المؤمنين عليه السلام والاقرار له بالولاية والنيابة العامّة عن النبيّ ﷺ[1] .

---

(١) ذهب إلى ذلك كوكبة من أعلام الفكر من بينهم الإمام كاشف الغطاء قدس سره في كتابه (أصل الشيعة وأُصولها) ، وكذلك ذهب إلى هذا الرأي العلّامة المظفّر ، أمّا هذا الحديث فمجمع على روايته .



وآمنت كوكبة من أعلام الصحابة والمساهمين في بناء الإسلام بأحقّية الإمام بالخلافة ، وأنّه وصي رسول الله ﷺ وخليفته على أُمّته من بعده ، ومن بينهم الشهيد الخالد عمّار بن ياسر الطيّب ابن الطيّب عملاق الجهاد في الإسلام كما أنّ منهم أباذرّ الغفاري الثائر العظيم الذي وعى الإسلام وناضل عن قيمه ومبادئه[1].

ومن أعلام الإسلام سلمان الفارسي وزير النبيّ ﷺ ومستشاره الذي قال فيه النبيّ ﷺ : « سَلْمانُ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ » ، فقد كان من أبرز شيعة الإمام عليه السلام . وقد أعلن هؤلاء الصحابة وغيرهم من حماة الإسلام دعمهم الكامل في احداث السقيفة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ورفضهم البيعة لغيره . وليس في ولاء هؤلاء القادة للإمام عليه السلام أي غلوّ أو إفراط في الحبّ وإنّما ذهبوا إلى أنّه أولى بأمور المسلمين من غيره وذلك لمواهبه وعبقرياته وسائر صفاته العظيمة .



وولاء الشيعة للأئمّة الطاهرين عليهم السلام منذ فجر تاريخهم حتى يوم الناس هذا على غرار ولاء الصحابة لهم ليس فيه غلوّ أو إفراط في الحبّ أو خروج عن موازين الفكر فهم يعتقدون أنهم أولى بالنبيّ ﷺ وأحقّ بمقامه ، وأولى بمركزه لا لأنّهم ذرّيته وألصق الناس به ، وإنّما لتوفّر الطاقات العلمية الهائلة عندهم وتسلّحهم بالإيمان والتقوى

(١) نكّل الحزب الأُموي كأفظع وأقسى ما يكون التنكيل بهذا الصحابي الجليل لأنّه نقم على سياستهم السوداء التي حوّلت البلاد إلى مزرعة لهم ، فنفوه إلى الربذة فمات فيها جائعاً وفي أيديهم ذهب المسلمين ينفقونه على شهواتهم وعملائهم .

وحريجتهم في الدين وغير ذلك من الصفات الكريمة التي لم تتوفّر عند غيرهم، وسنوضّح ذلك في البحوث الآتية.



٤

إنّ عقيدة الشيعة في أئمّة أهل البيت عليهم السلام نقيّة واضحة كالشمس لا لَبس فيها ولا غموض لا تتغيّر ولا تتبدل في جميع الأحقاب والآباد فهي ليست حلولية ولا باطنية ولا غير ذلك من التّهم الرخيصة والطعون الباطلة التي أُلصقها بهم من لا حريجة له في الدين والتي كان معظمها ناشئاً من الأغراض السياسية التي جهدت على تشويه واقع الشيعة وإبعادهم عن المجتمع لئلا تتبلور أفكارهم وما ينشدونه من الاصلاح الشامل لجميع شرائح المجتمع وما يتبنّونه من القضايا المصيرية لجميع شعوب الأرض، وذلك بإشاعة العدل والأمن والرخاء بين الناس الأمر الذي يتنافى مع سياسة أُولئك الملوك القائمة على البطش والاستبداد، وانفاق أموال الدولة على شهواتهم وملاذهم، ومطامعهم السياسية.

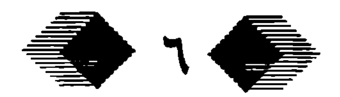


٥

وكانت الشيعة الجبهة المعارضة لحكّام الأمويّين والعباسيّين، فقد نقمت عليهم تصرّفاتهم المجافية لكتاب الله تعالى وسنّة نبيّه، وطالبتهم بالعدل والاعتدال والسير على ضوء السياسة الإسلامية التي يهتدي بها الحائر وينعم فيها ابن آدم المجهود المكدود.

وقدّمت الشيعة في سبيل مبادئها المزيد من الضحايا والقرابين خالصة لوجه الله كان في طليعتهم ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله أبوالشهداء والأحرار الإمام الحسين عليه السلام، فقد ثار في وجه حفيد أبي سفيان وابن معاوية يزيد فاجر بني أُميّة الذي استهتر بقيم

الإسلام ، وحاول أن يُعيد الحياة الجاهلية ، ويلفّ لواء الإسلام فاستشهد الإمام سلام الله عليه مع الصفوة الطاهرة من أهل بيته وأصحابه . وقد طوى الإمام بشهادته سجلّ الأمويّين وعرّى حكّامهم من الشرعية وقد سجّل بشهادته نصراً للإسلام وعزّاً للمسلمين وفخراً للإنسانية على امتداد التاريخ ، وبعده ثار أحفاده وأحفاد أخيه الإمام الزكي الحسن عليه السلام في وجه حكّام الأمويّين والعباسيّين ، لقد ثاروا من أجل تحقيق العدل السياسي والعدل الاجتماعي بين الناس . وعلى أي حال فإنّ تاريخ الشيعة حافل بالبطولات والتضحية من أجل صالح المجتمع وانقاذه من الظلم والجور والطغيان .



ونعود للحديث عن الغلوّ وحقيقته الافراط في الحبّ والمودّة والولاء ، وبه يخرج الإنسان عن حدّ التوازن فيمن يحبّه ويخلص له وقد ابتُلي به البشر منذ أقدم العصور فقد أفرط المسيحيون في ولائهم للسيّد المسيح فقالوا إنّه ابن الله ، وابتُلي بذلك فريق من الناس في العصور الإسلامية فذهب بعض المارقين من الدين إلى اُلوهيّة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد هالتهم مواهبه وعبقرياته ، وما آتاه الله من الحكمة وفصل الخطاب فجزموا بربوبيّته ، كما غالى بعض الفِرق الإسلامية في أئمّتهم فأثبتوا لهم من الكرامات والمعاجز ما هي بعيدة عن الواقع ، وعلى أي حال فإنّا سنتحدّث عن الغلوّ والغلاة في فصول هذا الكتاب .



أمّا الذين يذهبون إلى أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلـه فيعبدونه من دون الله فإنّ حكم الإسلام فيهم صريح واضح وهو الكفر والالحاد وتترتّب عليهم جميع الآثار التي تترتّب على الكفّار من النجاسة وغيرها من الأحكام الوضعية التي نصّ عليها الفقهاء ، ويسري

هذا الحكم على كلّ من اعتقد بإلاهيّة شخص غير الله تعالى .



ومن المؤسف حقّاً أن يعدّ بعض المؤلّفين الغلاة من الشيعة ، ويوجّه لهم النقد اللاذع على ذلك ، وهذا ناشىء عن الجهل أو الحقد على هذه الطائفة التي اعتنقت الإسلام حسب ما أنزله الله على نبيّه العظيم ، وتبنّت جميع قيمه وأهدافه . إنّ موسوعات الفقه الإمامي والرسائل العملية التي ألّفها السادة الفقهاء مليئة بالحكم على الغلاة بالكفر والالحاد فكيف يُحسَبونَ على الشيعة ويُعَدّون من طوائفها .



وكما تبرّأ الشيعة من الغلوّ في أئمّة أهل البيت عليهم السلام كذلك تبرّأت من التّهم التي ألصقها بهم من لا حريجة له في الدين كعبادتهم للتربة الحسينية ، وقد ألّفنا رسالة مختصرة في إبطال ذلك وعدم واقعيّته وانّه لم يكن المقصود منه إلّا تفريق كلمة المسلمين ، وتشتيت وحدتهم ، وعلى أي حال فإنّ عقيدة الشيعة تمثّل روح الإسلام وجوهره ليس فيها ـ والحمد لله ـ انحراف عن الحقّ ولا مجافاة لهدي الإسلام وتعاليمه ، وبهذا نطوي الصفحات الأخيرة من هذا التقديم آملاً من الله تعالى أن يكون عملي خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يثيبنا عليه إنّه تعالى وليّ ذلك والقادر عليه .

مكتبة الإمام الحسن العامة — النجف الأشرف

باقر شريف القرشي

١ /رجب المرجّب /١٤١٦هـ

ولاء الشيعة لأئمّة أهل البيت عليهم السلام

وقبل الحديث عن الغلوّ نتحدّث ـ بايجاز ـ عن ولاء الشيعة لأئـمّة الهـدى عليهم السلام وما يتعلّق بذلك لنرى هل فيه غلوّ وتطرّف كما يتّهمهم به بعض خصومهم أو أنّ ذلك لا نصيب له من الواقع ، وفيما يلي ذلك :

الولاء للأئمّة

لم يكن ولاء الشيعة للأئمّة الطاهرين عليهم السلام ناشئاً عن عاطفة أو عصبية ، وغير ذلك ممّا يؤول أمره إلى التراب ، وإنّما كان ناشئاً عن الأدلّة الحاسمة ، فقد فرضت عليهم وعلى كلّ مسلم مودّتهم ، قال تعالى :

﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبِىٰ ﴾[1]. فقد حصرت الآية الكريمة أجر ما عاناه النبيّ من الجهود والمصاعب في أداء رسالته الخالدة بـمودّة أهل بيته الذين هم حملة رسالته ووعاة كتابه ،كما تواترت الأحاديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله في لزوم حبّهم ومودّتهم فقد قرنهم بمحكم التنزيل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وذلك في حـديث الثـقلين الذي أجـمع المسـلمون عـلى روايـته ، والإيمان بصحّته ، وقد ضمن النبيّ صلى الله عليه وآله فـيه لأمّـته أن لا تـزيغ عـن طـريق الهـدى والصواب إن تمسّكت بكتاب الله تعالى وبعترته ،كما شبّههم النبيّ صلى الله عليه وآله بسفينة نوح فقال :

---

(١) سورة الشورى ٤٢: ٢٣.

«مَثَلُ أَهْلُ بَيْتي فيكُمْ كَمَثَلِ سَفينةِ نوحٍ مَنْ رَكِبَها نَجا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْها غَرِقَ وَهَوىٰ».

وخاطبهم الإمام الشافعي بقوله:

يا آلَ بَيْتِ رَسولِ اللهِ حُبُّكمُ ... فَرْضٌ مِنَ اللهِ في الْقُرآنِ أَنْزَلَهُ

ويقول الفرزدق في رائعته:

مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُم دينٌ وَبُغْضُهُمْ ... كُفْرٌ وَقُرْبُهُمْ مَنجىً وَمُعْتَصَمُ

إنْ عُدَّ أَهلُ التُّقىٰ كانُوا أئمَّتَهمْ ... أَوْ قيلَ مَنْ خَيرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قيلَ هُمُ

وقد قنع الشاعر حرب بن المنذر بن الجارود باليسير من دنياه لأنه ظفر بولاء أهل البيت عليهم السلام يقول:

فَحَسْبي مِنَ الدُّنْيا كفافٌ يُقيمُني ... وأثوابُ كَتّانٍ أَزورُ بها قَبري

وَحُبّي ذَوي قُربى النَّبيِّ مُحَمَّدٍ ... فَما سُؤْلنا إلّا الْمَودَّةَ مِنْ أَجْرِ[1]

ويقول الشاعر الموهوب السيّد الحميري الذي ذاب في ولائه لأهل البيت عليهم السلام

إنّي امْرُؤٌ حِمْيَرِيٌّ غيرُ مُؤتَشِبٍ ... جَدّي رعينٌ وأَخْوالي ذَوُو يَزَنِ

ثمَّ الولاءُ الَّذي أَرجو النَّجاةَ بِهِ ... يَومَ القِيامَةِ للهادي أَبي حَسَنِ[2]

وقد رد عبدالله بن كثير السهمي على من جعل حبّه لأهل البيت عليهم السلام ذنباً قال:

إنَّ امْرءاً أمسَتْ مَعايبهُ ... حُبَّ النَّبيّ لغَير ذي ذَنبِ

وبَنى أَبي حَسَنٍ وَوالدِهِمْ ... مَنْ طابَ في الأَرْحامِ وَالصلبِ

(١) البيان والتبيين: ٣/٢٠٥.

أَيُعَدُّ ذَنْباً أَنْ أُحِبُّهُمُ بَلْ حُبُّهم كَفَّارةُ الذَّنبِ[١]

وردّ أبو الأسود الدؤلي على من لامه لحبّ أهل البيت قال :

أَمُفَنِّدي فـي حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ حَجَرٌ بِفيكَ فَدَعْ مَلامَكَ أَوْ زِدِ
مَنْ لَمْ يكُنْ بحِبالِهِم مُتَمَسِّكاً فَلْيَعْرَفَنْ بِولادَةٍ لَمْ يَرشُدِ[٢]

وقال أبو الأسود يردّ على بني قشير الذين عابوا عليه ولاءه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته :

أُحِبُّ مُحَمَّداً حُبّاً شديداً وعَبّاساً وحَمزَةَ والوصِيّا
وجَعفَراً إنّ جَعفراً خَيرُ شَهيدٍ فـي الجِنانِ مُهاجِريّا
هَـوىً أعْطَيتُه لَمّا استدارَتْ رَحى الإسْلامِ لَمْ يعدِلْ سَوِيّا
يَقولُ الأَرْذَلونَ بَنو قشيرٍ طُوالَ الدَّهرِ لا تَنْسَ عَلِيّا
فَقُلْتُ لَهُم: وَكَيفَ يَكونُ تَرْكي مِنَ الأعْمالِ ما يُقضىٰ عَلَيّا
بَنو عَمِّ النَّبيِّ وأَقْرَبوهُ أَحَبُّ النَّاسِ كُلّهمُ إلَيّا[٣]

نظم الكميت شاعر الإسلام في إحدى روائعه ولاءه أهل البيت عليهم السلام :

إلَيكُمْ ذَوي آلِ النَّبيِّ تَطَلَّعَتْ نَوازِعُ مِنْ قَلبي ظِماءٌ وأَلْبُبُ
فَطائِفَةٌ قَد كَفَّرَتْني بِحُبّكُمْ وطائفَةٌ قالوا: مُسيءٌ وَمُذْنِبُ
فَما ساءَني تَكْفيرُ هاتيكَ مِنهُمُ وَلا عيبُ هاتيكَ الّتي هيَ أعْيَبُ
يَعيبونَني مِنْ خبِّهِمْ وضَلالِهِمْ عَلىٰ حُبِّكُمْ بَلْ يَسْخرونَ وَأَعجَبُ

---

(١) و (٢) البيان والتبيّن ٣/٢٠٣.

(٢) و (٣) ديوان أبي الأسود: ٢٥٣.

وقـالوا: تُـرابـيٌّ هَـواهُ ورَأْيـهُ بِـذلكَ أُدْعـىٰ فـيهمُ وَأُلَـقَّبُ[١]

وقال الشاعر الكبير عليّ بن عبّاس الشهير بابن الرومي :

يا هِندُ لَـمْ أَعْشـقْ وَمِـثْلِيَ لا يَـرى عِشْـقَ النِّسـاءِ دِيـانَةً وَتَـحَرُّجا

لكنَّ حُبّي للوَصيِّ مُخَيِّمٌ في الصَّدرِ يسـرجُ فـي الفُـؤادِ تَـوَلُّجا

فَـهُوَ السِّراجُ الْـمُستَنيرُ ومَـنْ بـهِ سَببُ النَّجاةِ مِنَ العَذابِ لِمَنْ نَـجا

وإذا تَـرَكْتُ لهُ المَـحبَّةَ لَـمْ أَجِـدْ يَـومَ القِـيامَةِ مِـنْ ذُنُـوبي مَخْرَجا

قُـلْ لي: أأتْـرُكُ مُسْتَقيمَ طَـريقِهِ جَـهْلاً وَأَتَّـبعُ الطَّـريقَ الأَعْـوَجا

وَأراهُ كـالتِّبْرِ المُـصَفّىٰ جَـوْهَراً وأرىٰ سِـواهُ لِـناقِديهِ مُـبَهْرَجا[٢]

ومَـحلُّهُ مـنْ كُـلِّ فَـضْلٍ بَـيِّنٌ عالٍ مَحلَّ الشَّمْسِ أَوْ بَـدرِ الدُّجـا

قـالَ النَّـبيُّ لهُ مَـقالاً لَـمْ يكُـنْ يومَ الغَـديرِ لِسامِعيهِ بِـمَجْمَجا[٣]

مَـنْ كُـنْتُ مَـوْلاهُ فَـذا مَـولىً لَـهُ مِـثْلي وَأَصْـبَحَ بِـالفَخارِ مُـتَوَّجا[٤]

---

(١) الهاشميات : ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) البهرج : الباطل والردي.

(٣) مجمج في كلامه : لم يبيّنه.

(٤) مناقب ابن شهرآشوب : ١/٥٣١.

صفاتهم الرفيعة

وما من صفة شريفة أو نزعة كريمة إلّا وهي من عناصر أهل البيت عليهم السلام ومن ذاتياتهم فقد منحهم الله طاقات من العلم والإيمان والتقوى ووهبهم المزيد من ألطافه فجعلهم من عباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ،كما عصمهم من الفتن وطهّرهم من الدنس وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ، ووصفهم سيّدهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله :

« هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَظاهِرُهُمْ عَنْ باطِنِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حُكْمِ مَنْطِقِهِمْ ، لا يُخالِفونَ الْحَقَّ ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فيهِ ، هُمْ دَعائِمُ الإِسْلامِ ، وَوَلائِجُ الْإِعْتِصامِ ، بِهِمْ عادَ الْحَقُّ في نِصابِهِ ، وَانْزاحَ الْباطِلُ عَنْ مَقامِهِ ، وَانْقَطَعَ لِسانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ ، عَقلوا الدِّينَ عَقْلَ وِعايَةٍ وَرِعايَةٍ لا عَقْلَ سِماعٍ ورِوايَةٍ ، فَإِنَّ رُواةَ الْعِلْمِ كَثيرٌ وَرُعاتَهُ قَليلٌ »[1] .

ووصفهم شاعر الإسلام كميت الأسدي بقوله :

لِلقَريبينَ مِنْ نَدىً وَالبَعيدينَ	**مِنَ الجورِ في عُرى الأَحْكامِ**
والمُصيبينَ بابَ ما أَخْطَأَ النّا	**سُ ومُرسِي قَواعِدِ الإِسْلامِ**
والحُماةُ الكُفاةُ في الحَرْبِ إنْ لفَّ	**ضِرامٌ وقودهُ بِضِرامِ**

---

(١) نهج البلاغة : ٢/٢٥٩ .

والغُـيُوثُ الّـذينَ إنْ أمْحَلَ النّـا سُ فَـمأوىٰ حَـوَاضِـنِ الأَيْـتامِ
راجِحي الوَزْنِ كامِلي العَدْلِ فـي السِّيرةِ طَـبِّيِنَ بـالأمورِ العِـظَامِ[١]

والكميت نظم ما رآه لا ما سمعه وقرأه . . . إنّ صفات الأئمّة التي تعتقد بها الشيعة الإمامية ليس فيها ما يدعو إلى الغلوّ.

---

(١) الهاشميات :.

مظاهر الولاء للأئمّة

أما مظاهر مودّة الشيعة وولائهم لأهل البيت عليهم السلام فهي :

أوّلاً : إنّ الشيعة تأخذ معالم الدين أُصولاً وفروعاً من الأئمّة عليهم السلام وأجمعت على لزوم العمل بأقوالهم وأفعالهم وتقاريرهم ، وأنّها من السنّة التي يجب العمل بها . وبذلك فقد بنوا اطارهم العقائدي على ما أثر من أئمّة الهدى ولم يكن ذلك عن تعصّب ، وإنّما النصوص القطعية التي اثرت عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله هي التي قادتهم إلى ذلك ، ودفعتهم إلى الاقتصار على مذهب أهل البيت .

يقول الإمام شرف الدين نضّر الله مثواه :

« إنّ تعبّدنا في الأُصول بغير المذهب الأشعري وفي الفروع بغير المذاهب الأربعة لم يكن لتحزّب أو تعصّب ، ولا لريب في اجتهاد أئمّة تلك المذاهب ولا لعدم عدالتهم وأمانتهم ونزاهتهم وجلالتهم علماً وعملاً لكن الأدلّة الشرعية أخذت بأعناقنا إلى الأخذ بمذاهب الأئمّة من أهل بيت النبوّة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي والتنزيل ، فانقطعنا إليهم في فروع الدين وعقائده وأُصول الفقه وقواعده ، ومعارف السنّة والكتاب وعلم الأخلاق والسلوك والآداب نزولاً على حكم الأدلّة والبراهين وتعبّداً بسنّة سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله أجمعين ، ولو سمحت لنا الأدلّة مخالفة الأئمّة من آل محمّد صلى الله عليه وآله أو تمكنّا من تحصيل نيّة القربة لله سبحانه في مقام العمل على مذهب غيرهم لتعقّبنا أثر الجمهور وقفونا أثرهم تأكيداً لعقد الولاء وتوثيقاً لعرى الاخاء ، لكنّها الأدلّة تقطع على المؤمن وجهته

وتحول بينه وبين ما يروم ».

وأضاف بعد هذا يقول:

« وما أظنّ أحداً يجرؤ على القول بتفضيلهم ـ أي أئمّة المذاهب ـ في علم أو عمل على أئمّتنا وهم أئمّة العترة الطاهرة، وسفن نجاة الأُمّة، وباب حطّتها، وأمانها من الاختلاف في الدين، وأعلام هدايتها، وثقل رسول الله ﷺ وقد قال:

« **فَلا تَتَقَدَّموهُمْ فَتَهْلكوا، وَلَا تُقَصِّروا عَنْهُمْ فَتَهْلكوا، وَلَا تُعَلِّموهفمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ** »، لكنّها السياسة وما أدراك ما السياسة اقتضت في صدر الإسلام »[١].

وأيّد الإمام شيخ الأزهر الشيخ سليم ﵀ هذا الجانب المشرق من حديث الإمام شرف الدين بقوله:

« بل قد يقال: إنّ أئمّتكم الاثنى عشر أوْلى بالاتّباع من الأئمّة الأربعة؛ لأنّ الاثنى عشر كلّهم على مذهب واحد قد محّصوه وقرّروه بإجماعهم بخلاف الأربعة، فإنّ الاختلاف بينهم شائع في أبواب الفقه كلّها، فلا تحاط موارده، ولا تضبط ومن المعلوم أنّ ما يمحّصه الشخص الواحد لا يكافىء في الضبط ما يمحّصه الاثنا عشر إماماً. هذا كلّه ممّا لم تبق فيه وقفة لمنصف »[٢].

ومن الطبيعي أنّ هذه الظاهرة التي تمسّكت بها الشيعة، وأعلنتها في جميع المجالات ليس فيها أي جانب من الغلوّ والافراط في الحبّ، وإنّما هي متّسمة بالاستقامة والاعتدال.

ثانياً: من مظاهر ولاء الشيعة لأئمّتهم ﵈ أنّها تقوم بإحياء ذكراهم وتشييد فضائلهم، وإشاعة مكارم أخلاقهم وإقامة الحفلات التأبينية على ما أصابهم من فادح

---

(١) المراجعات: ٤٠ ـ ٤١.

(٢) المراجعات: ٤٤.

الخطب وعظيم الرزء الذي صبّه عليهم ملوك عصورهم من أُمويّين وعباسيّين .

كما أنّ الشيعة تقوم بزيارة مراقد الأئمّة الطاهرين للتبرّك بها والتقرّب إلى الله تعالى فإنّها من أعظم مظاهر الودّ الذي فرضه الله تعالى في كتابه المجيد للعترة الطاهرة على جميع المسلمين .

هذه بعض مظاهر الولاء التي تكنّه الشيعة للأئمّة الطاهرين ، وليس فيه أي شائبة للغلو وعلى هذا الأساس المعتدل أقامت الشيعة اطارها العقائدي في ولائها لأهل البيت عليهم السلام .

حقيقة الغلوّ

وظهرت على مسرح الحياة الإسلامية مشكلة الغلاة وهي في واقعها خروج عن الإسلام ومروق من الدين ، وقد ظهر هذا اللون المفجع في خلافة الإمام أمير المؤمنين ﷺ حينما شاعت فضائله ومآثره ، وما يتمتّع به من المواهب والعبقريات فغالى فيه بعض الجهّال فزعموا أنّه الله ، وقد قالوا له :

أنت هو ، فقال لهم : من هو ؟

فأجابوه : أنت الله . واستعظم الإمام من ذلك وفزع منه فأمر بنار فأجّجها وأحرقهم فيها ، وهم يقولون : الآن صحّ عندنا أنّك الله لأنّه لا يعذّب بالنار إلّا الله ، وفي ذلك يقول :

لَمّا رأَيتُ الأمْـرَ أمْـراً مُـنْكَراً   أجَّجْتُ ناراً وَدَعَوْتُ قَنْبَرا[1]

وفي ذلك يقول بعض الغلاة في الإمام ﷺ :

وَمَنْ أهْلَكَ عاداً وثَموداً بـدَواهـيهِ   ومَن كَلَّمَ موسى فَوقَ طورٍ إذْ يُناجيهِ

ومَنْ قالَ علىالمِنبرِ يَوماً وهوَ راقيهِ   سَلوني أيُّها الناسُ فَحاروا في مَعانيهِ

وأنت ترى في هذا الشعر الغلوّ الكامل في الإمام أمير المؤمنين ﷺ .

وذهب بعض الغلاة إلى أنّ الإمام ﷺ ابن الله وقد ردّ عليهم السيّد الحميري

---

(١) الفصل في الملل والأهواء : ١٨٦/٤ .

بقوله :

قَـومٌ غَـلوا فـي عَـليٍّ لا أبـا لَهُـمُ وأَجْشَـموا أَنـفُساً فـي حُـبِّهِ تَـعَبا
قـالوا: هُـوَ ابـنُ الإلهِ جَـلَّ خـالِقُنا مِنْ أَنْ يكونَ لهُ ابنٌ أَوْ يكونُ أبا (١)

الغلو في العصر الأُموي والعباسي

وظهرت في العصر الأُموي والعباسي حركة الغلو بصورة متّسعة كما تأسّست بعض الفرق الدينية وقد تبنّت الغلوّ بصورة ايجابية ، وقد ساعدت الحكومات الأُموية والعباسية تلك الفرق وساهمت في نشر أفكارها وعقائدها الفاسدة ، وذلك لتشويه عقيدة الشيعة القائمة على الحقّ والمناهضة للظلم والجور .

كما اتّخذت تلك الحكومات من تلك الفِرق وسيلة لتصفية خصومها ، ورميهم بالكفر والزندقة وذلك لشذوذ عقائدها وبعدها عن تعاليم الإسلام وأحكامه مع العلم أنّ بعض المتّهمين لا علاقة لهم بأفكار الغلاة .

موقف الأئمّة من الغلاة

كان موقف الأئمّة عليهم السلام مع الغلاة ودعاة الالحاد متّسماً بالشدّة والصرامة فحكموا بالبراءة منهم وبإباحة دمائهم ، وترتيب أحكام الكفر عليهم ، وقد أحرقهم بالنار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ونعرض إلى موقف بعض الأئمّة عليهم السلام معهم .

أبو الخطّاب

هو محمّد بن مقلاص الأسدي اشتهر بكنيته ظهر بالكوفة ، وهو من أعداء الإسلام ، ومن دعاة الالحاد ، وقد دعا إلى إلهيّة الإمام الصادق عليه السلام ثمّ دعا إلى تأليه نفسه ،

---

(١) العقد الفريد.

ولمّا بلغ حديثه الإمام الصادق خاف فتنته ، وأمر شيعته بالابتعاد عنه ، والبراءة منه ، فقد روى عيسى بن أبي منصور قال : سمعت أبا عبدالله الصادق ﷺ يقول :

« اللّهُمَّ الْعَنْ أَبا الْخَطّابِ فَإِنَّهُ خَوَّفَني قائِماً وَقاعِداً وَعَلىٰ فِراشي ، اللّـهُمَّ أَذِقْهُ حَرَّ الْحَديد »[1].

وروى ميسرة قال : ذكرت أبا الخطّاب عند أبي عبدالله ﷺ وكـان مـتكئاً فـرفع اصبعه إلى السماء ثمّ قال :

« عَلىٰ أَبي الْخَطّابِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنّاسِ أَجْمَعينَ ، فَأَشْهَدُ بِـاللهِ إِنَّـهُ كافِرٌ فاسِقٌ مُشْرِكٌ ، وَأَنَّهُ يُحْشَرُ مَعَ فِرعَونَ في أَشَدِّ الْعَذابِ غُدُوّاً وَعَشِيّاً » .

وأوجد أبو الخطّاب حزباً له فأغراهـم بـأكـاذيبه وأضـاليله ودَجَـله ، فـقد روى عنبسة بن مصعب بعض أكاذيبه ، قال :

« قال لي أبو عبدالله ﷺ : **أَيُّ شَيْءٍ سَمِعْتَ مِنْ أَبي الْخَطّاب ؟**

فقال : سمعته يقول : إنّك وضعت يدك على صدره ، وقلت له : عه ولا تنسى ، وأنت تعلم الغيب ، وأنّك قلت : هو عيبة علمنا ، وموضع سرّنا أمين على أحـيائنا وأمواتنا ...

فتأثّر الإمام الصادق ﷺ وقال :

لا وَاللهِ ما مَسَّ شَيْءٍ مِنْ جَسَدِي جَسَده ، وَأَمّا قَوْلَه : إِنّي قُلْتُ : إِنّي أَعْلَـمُ الْغَيْبَ ، فَواللهِ الَّذي لَا إِلهَ إِلَّا هُوَ ما أَعْلَم الْغَيْب ، وَلَا آجرني اللهُ في أَمْواتي ، وَلا بارَكَ لي في أَحْيائي إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَهُ .

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة : ٤/١٥٠.

وَأَمّا قَوْله: إِنّي قُلْتُ لَهُ: هُوَ عَيبةُ عِلْمِنا، وَمَوْضِعُ سِرِّنا، وَأَمينٌ عَلىٰ أَحْيائنا وَأَمْواتنا، فلا آجرني اللهُ في أَمْواتي، وَلَا بارَكَ لي في أَحْيائي إِنْ قُلْتُ لَهُ مِنْ هذا شَيْئاً».

وحكى كلام الإمام عليه السلام مدى تأثّره وغيظه من هذا المغالي الذي لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر.

ومن أقواله الفاسدة ما رواه أبو بصير عنه وعن حزبه الذين يؤمنون بمقالته قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّهم ـ أي الخطّابية ـ يقولون: إنّك تعلم قطر المطر وعدد النجوم وورق الشجر ووزن ما في البحر وعدد ما في التراب ....

فأنكر الإمام الصادق ذلك وقال: «**سُبْحانَ اللهِ، سُبْحانَ اللهِ، وَاللهِ ما يَعْلَمُ هذا إِلَّا اللهُ**»[1].

لقد كشف الإمام عليه السلام أضاليله ودجله وحذّر المسلمين من شروره وخداع حزبه، وقد أحاط به الفشل، ومني بالخيبة والخسران.

وقد ثار أبو الخطّاب على الحكم العباسي، وأغرى جماعته بقوله: قاتلوهم فإنّ قصبكم يعمل فيهم عمل الرماح، ورماحهم وسيوفهم وسلاحهم لا تضرّكم ولا تعمل فيكم[2].

وزحفت إليهم الجيوش العبّاسية بقيادة عيسى بن موسى، وجرت بينهم معركة قاسية فقتل من أصحاب أبي الخطّاب ثلاثون رجلاً، وأسر أبو الخطّاب فأُتي به إلى عيسى بن موسى فقتله في دار الرزق وصلبه مع جماعة من أصحابه وذلك في سنة ١٣٨هـ وانتهت بذلك حياة هذا الضالّ الذي أغرى السذّج والبسطاء بأكاذيبه.

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ١٤٩/٤.

(٢) فرق الشيعة / النوبختي: ٧٠.

بشّار الشعيري

ومن أقطاب الغلاة والملحدين بشّار الشعيري الكوفي، وكان يقول بربوبية الإمام الصادق عليه السلام، وقد طرده الإمام من مجلسه وقال له:

«اخْرُجْ عَنّي لَعَنَكَ اللهُ، لَا وَاللهِ لَا يُظِلُّني وَإِيّاكَ سَقْفٌ أَبَداً...».

فخرج مذموماً مدحوراً، والتفت الإمام إلى أصحابه فحذّرهم منه فقال:

«ويله ألا قال بما قالت اليهود، ألا قال بما قالت النصارى، ألا قال بما قالت المجوس، أو بما قالت الصابئة، والله ما صغّر الله تصغير هذا الفاجر أحد إنّه شيطان ابن شيطان، خرج من البحر ليغوي أصحابي فاحذروه، وليبلّغ الشاهد الغائب، إنّي عبد الله بن عبد الله ضمّتني الأصلاب والأرحام وإنّي لميّت ومبعوث، ثمّ مسؤول، والله لأسألن عمّا قال فيَّ هذا الكذّاب وادّعاه، ماله غمّه الله فلقد أمن على فراشه، وأفزعني وأقلقني عن رقادي...»[1].

وآلمت هذه الكلمات بالألم الممض الذي داخل الإمام من جراء دعاوى هذا المغالي وما يضفيه على الإمام من صفات الربوبية وانّي على ثقة انّ الغلو إنّما جاء من عصابة مدسوسة أرادت قبل كلّ شيء تشويه الإسلام وتفريق كلمة المسلمين والطعن في معتقداتهم.

المغيرة بن سعيد

مولى بجيلة، كان من أقطاب الغلاة والملحدين، وهو صاحب الأحداث الجسام في الإسلام، فقد ألّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على ما قيل، وكان مشعوذاً، وقد ادّعى النبوّة لنفسه، ومن شعوذته انّه كان يخرج إلى المقبرة فيتكلّم فيرى مثل الجراد على القبور، وقد زعم أنّه يحيى الموتى بالاسم الأعظم ويُري الناس

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ١٥٥/٤.

أشياء من المخاريق[١].

وكان ماهراً في دسّ الأحاديث وافتعالها على أهل البيت ﷺ، يقول الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام:

«كان المغيرة بن سعيد يتعمّد الكذب على أبي، ويأخذ كتب أصحابه، وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب فيدفعونها إلى المغيرة وكان يدسّ فيها الكفر والزندقة ويسندها إلى أبي ثمّ يدفعها إلى أصحابه ثمّ يأمرهم أن يبثوا ما في الشيعة فكلّ ما كان في كتب أبي من الغلوّ فذاك ممّا دسّه المغيرة بن سعيد في كتبهم....».

وأنت ترى في هذا الحديث براءة الإمام عليه السلام من هذا الإنسان الممسوخ الذي لا نصيب له من الإسلام، وقد تظافرت الأخبار من الإمام في لعنه، فقد روى عبدالرحمن بن كثير قال:

قال أبو عبدالله عليه السلام يوماً لأصحابه:

«لعن الله المغيرة بن سعيد، ولعن الله يهودية كان يختلف إليها، يتعلّم منها السحر والشعبذة والمخاريق.

إنّ المغيرة كذب على أبي فسلبه الله الإيمان وإنّ قوماً كذبوا عليّ ما لهم؟ أذاقهم الله حرّ الحديد، فوالله ما نحن إلّا عبيد خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضرّ ولا نفع، إن رحمنا فبرحمته، وإن عذّبنا فبذنوبنا، والله ما بنا على الله من حجّة ولا معنا من الله براءة، وإنّا لميّتون، ومقبورون ومنشورون ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون، ما لهم لعنهم الله فلقد آذوا الله وآذوا رسول الله في قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين، وها أنا ذا بين أظهركم أبيت على فراشي خائفاً وجلاً، يأمنون وأفزع،

---

(١) لسان الميزان: ٧٦/٦.

وينامون على فراشهم وأنا خائف ، ساهر وجل ، أبرأ إلى الله ممّا قال فيّ الأجدع ، وعبد بني أسد أبو الخطّاب لعنه الله ، والله لو ابتلوا بنا ، وأمرناهم بذلك لكان الواجب أن لا يتقبّلوه ، فكيف وهم يروني خائفاً وجلاً ، أستعدي الله عليهم وابرأ إلى الله منهم ، إنّي امرؤ ولدني رسول الله ﷺ وما معي براءة من الله ، إن أطعته رحمني وإن عصيته عذّبني عذاباً شديداً . . . »[١] .

وأعرب الإمام في حديثه عن استيائه من هذا الملحد الخطير الذي هو من ألدّ أعداء الإسلام ، والذي أُمتحن به الإمام امتحاناً عسيراً .

وخرج المغيرة على السلطة في الكوفة ، وكان خالد القسري على المنبر يخطب في الناس إذ سمع صياح أصحاب المغيرة فاذهل ، وقال من فزعه : اطعموني ماءً فهجاه يحيى بن نوفل بقوله :

تَقولُ منَ الفواكِهِ أَطْعِموني ... شَراباً ثُمَّ بلتَ عَلَى السَّريرِ[٢]

وأحاطت به وبأصحابه جيوش العباسيّين فجيء به مخفوراً مع سبعة نفر من أصحابه ، فأمر خالد القسري حاكم الكوفة بأطنان من القصب ونفط ، ثمّ أمر المغيرة أن يتناول القصب ، فامتنع ، فأُجبر على ذلك فشدّ عليه القصب وصبّوا عليه النفط فاحترق ، وهكذا فعل بأصحابه[٣] .

وهكذا انتهت حياة هذا المجرم الأثيم الذي اقترف أفحش الجرائم وأساء إلى الإسلام كأفظع ما تكون الإساءة .

هؤلاء بعض دعاة الغلوّ من الملحدين الذين كادوا للإسلام ، وحاولوا تشويه

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة : ٤/١٦١ .

(٢) لسان الميزان : ٦/٧٦ .

(٣) تاريخ الطبري : ج٩ ، حوادث سنة ١٩١ .

عقيدة الشيعة والحطّ من قيمها ، وكانوا مدفوعين بحقدهم على الإسلام وعلى حماته من أئمّة أهل البيت عليهم السلام .

وعلى أي حال فلا علاقة للغلو والغلاة بالشيعة وأنّهما على طرفي نقيض ، فقد حكم الأئمّة بكفرهم والبراءة منهم ، وأنّهم خصوم الإسلام وأعداء أهل البيت ، ويترتّب عليهم جميع ما يترتّب على الكفّار من آثار وأحكام .

والغريب من بعض الكتّاب كيف عدّوا الغلاة من فِرق الشيعة التي هي من أعظم الطوائف تمسّكاً بالإسلام .

اتّهامات رخيصة

واتُّهمت الشيعة بغير انصاف بتهم رخيصة لا قيمة لها في المقاييس والموازين العلمية وقد ألصقها بهم من لا حريجة لهم في الدين من عملاء السلطة التي جهدت على محاربة الشيعة وتشويه واقعهم المشرق لأنهم الجبهة المعارضة لسياسة أُولئك الحكّام الذين جهدوا على اذلال الناس ، وارغامهم على ما يكرهون والذين تفجّرت سياستهم بكلّ ما خالف كتاب الله وسنّة نبيّه .

لقد قذفوا الشيعة بالغلوّ والمروق من الدين وذلك لاعتقادهم بما يلي :

١ ـ عصمة الأئمّة

وآمنت الشيعة منذ فجر تاريخها حتى يوم الناس هذا بعصمة أئمّتهم من اقتراف الذنوب عمداً وسهواً ، فإنّ الله تعالى قد طهّرهم من الدنس وأذهب عنهم الرجس ، وقد حكى القرآن الكريم ذلك بقوله :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[1]

وقد أقام المتكلّمون من الشيعة سيلاً من الأدلة على هذه الظاهرة الكريمة في أئمّتهم ، وقد حفلت بها مصادر علم الكلام .

والمتأمّل في سيرة أئمّة أهل البيت عليهم السلام يؤمن إيماناً لا يخامره شكّ في عصمتهم ، وطهارتهم من كلّ زيغ فهذا سيّدهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو القائل :

---

(١) الأحزاب ٣٣: ٣٣.

«وَاللهِ لَوْ أُعْطيتُ الأَقاليمَ السَّبْع بِما تَحْتَ أَفْلاكِها عَلىٰ أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فـي جلْبِ شَعيرةٍ أَسْلبُها مِنْ فَمِ جَرادَةٍ ما فَعَلْت».

أليست هذه هي العصمة، وقد امتنع سلام الله عليه لمّا ألحّ عليه عبدالرحمن بن عوف أن يقلّده الخلافة بعد قتل عمر بن الخطّاب، شرط عليه أن يسير في خلافته على سياسة الشيخين فامتنع عليه‌السلام من إجابته، ولو كان يروم المُلك والسلطان ومتع الحياة الدنـيا لأجـابه إلى ذلك. ثـمّ يـعدل إلى مـا يـرى، وإذا عـارضه ابـو عـوف فباستطاعة اعتقاله، أليست هذه هي العصمة ؟!!

ولمّا أحاط به الخوارج بعد التحكيم وطلبوا منه أن يتوب إلى الله عمّا اقترفوه هم فأبى عليه‌السلام من ذلك لأنّه لم يقترف أي ذنب طيلة حياته، وإنّما كانت جميع فـترات حياته حافلة بالتقوى والعمل الصالح وهكذا سيرة الأئمّة الطاهرين عليهم‌السلام تجرّداً عن الدنيا وزهداً في متعها وملاذها، ولم يؤثر عن أي أحد منهم أنّه ارتكب خطأً وإثماً لا عمداً ولا سهواً، وإنّما كانت حياتهم مثالاً لكلّ ما تسمو به الإنسانية مـن عـمل الخير والاتّجاه الكامل نحو الله تعالى، وقـد أنـفقت مـعظم حـياتي ـ والحـمد لله ـ بالبحث والتنقيب عن سيرتهم فما وجدت لهم زلّة في القول ولا فـي العـمل، ولو كانت لهم أدنى هفوة أو زلّة لحفلت بها مصادر التاريخ وشهّر بهم أعداؤهم من ملوك بني أُميّة وملوك بني العباس الذين هم من ألدّ أعدائهم.

إنّ سيرة الأئمّة الطاهرين عليهم‌السلام نقيّة مشرقة كالشمس تحكي بجميع أبعادها سيرة جدّهم الرسول الأعظم صلى‌الله‌عليه‌وآله، فهم أوصياؤه وخلفاؤه، ويستحيل أن يـعهد إلى مـن يمثّله وينوب عنه إذا كان ناقصاً ومنحرفاً عن طريق الحقّ.

إنّ العصمة بجميع ما تحمل من معنى هي من ذاتـيات أئـمّة أهـل البـيت عليهم‌السلام ومن عناصرهم وليس في هذه الدعـوى أي غـلو أو انـحراف عـن الحقّ، وعـلى من يذهب إلى خلاف ذلك فليذكر بادرة واحدة على خلاف الحقّ قد ارتكبها أحد

الأئمّة الطاهرين .

٢ ـ علم الأئمّة

وتذهب الشيعة إلى أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام قد منحهم الله طاقات من العلم وأعطاهم المزيد من الفضل ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **أَنا مَدينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بابُها** » ، وليس من شكّ انّ الإمام أمير المؤمنين أفضل المسلمين في مواهبه وعبقرياته التي لا تُعدّ ، وهو عملاق هذه الأُمّة ورائد نهضتها الفكرية والحضارية ، وقد فتق ما يزيد على ثلاثين علماً حسبما يقول العقّاد ، وهو القائل :

« **سَلُوني قَبْلَ أَنْ تَفْقِدوني ، سَلوني عَنْ طُرُقِ السَّماءِ فَإِنّي أَعْلَمُ بِها مِنْ طُرُقِ الْأَرْضِ** » ، ولم يقل أحد هذه الكلمة إلّا أحاط به الفشل حين الامتحان والاختبار .

أليس الإمام هو صاحب نهج البلاغة الذي هو من مناجم الفكر ومن ذخائر ما تملكه الإنسانية من تراث علمي وحضاري .

أليس الإمام هو أوّل من أسّس حقوق الإنسان ، ووضع قواعد الحكم والإدارة في عهده لمالك الأشتر عامله على مصر .

وهل يوجد في دنيا الإسلام مثل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في فضله وعلمه وحكمه وآدابه ، وهل تخرّج هذا العملاق العظيم من مدرسة ومعهد . نعم انّه قد تخرّج من مدرسة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الذي ملأ الدنيا بعلومه وفضائله .

ولو نظرنا إلى بقية الأئمّة الطاهرين عليهم السلام لوجدناهم في مواهبهم وعلومهم كجدّهم الإمام أمير المؤمنين ، فهذا الإمام زين العابدين وسيّد الساجدين عليه السلام صاحب الصحيفة السجّادية التي هي إنجيل آل محمّد ، والتي هي من أروع وأسمى تراث

روحي وتربوي في دنيا الإسلام .

أليس الإمام زين العابدين مؤلّف (رسالة الحقوق) التي وضعت البرامج العامّة للحقوق على اختلاف أنواعها .

ولو تأمّلنا الإمام جعفر الصادق عليه السلام لوجدناه كنزاً من كنوز الله لا تعدّ ذخائره ، ولا تحصى عجائبه ، أليس هو الذي ملأ الدنيا بعلومه ومعارفه ـ على حدّ تعبير الجاحظ ـ وقد تتلمذ على يده زهاء أربعة الآف طالب ، كان منهم بعض مؤسّسي المذاهب في الإسلام كأبي حنيفة[1] ، وقد تناولت محاضراته جميع أنواع العلوم من الطبّ والكيمياء والفيزياء وعلم الفقه والفلسفة وعلم الكلام والحديث وغيرها . ومن أبرز تلاميذه جابر بن حيّان مفخرة الشرق ورائد علم الكيمياء والفيزياء .

من أين جاءت هذه العلوم للإمام ؟

من أي مدرسة تخرّج منها ؟

إنّه لا جواب لذلك إلّا الاذعان لما أعلنته الشيعة في أئمّتهم من أنّ الله تعالى قد منحهم العلم والحكمة وفصل الخطاب .

وممّا يدلّل على أصالة ما تذهب إليه الشيعة في أئمّتها العظام حديث المأمون مع الإمام الرضا عليه السلام حينما عقد له بولاية العهد فأخذه الحسد للإمام حينما شاعت مواهبه وعلومه بين الناس ، فجلب إلى خراسان جميع علماء الدنيا ، وأغراهم بالأموال والثراء العريض وطلب منهم أن يسألوا الإمام عن أصعب المسائل وأكثرها تعقيداً وغموضاً لعلّه يعجز عن جوابها فيتّخذ ذلك وسيلة لافساد عقيدة الشيعة ، وأقام المأمون مؤتمراً علمياً في بلاطه حضرهالسادة العلماء وغيرهم من

---

(١) ترجمنا في كتابنا (موسوعة الإمام الصادق عليه السلام) ما يزيد على ٣٦٦٢ من أصحاب الإمام ورواة حديثه وتلاميذه.

أقطاب الدولة العباسية .

ويقول المؤرّخون : إنّالعلماء سألوه في نوب متفرقة عمّا يزيد على عشرين ألف مسألة فأجاب عنها جواب العالم الخبير المتخصّص فبهر العلماء من سعة علومه ودان الكثيرون منهم بإمامته ممّا اضطرّ المأمون إلى حجب الإمام عن العلماء وغيرهم وفرض الرقابة الشديدة عليه لئلا يفتتن به الناس وأخيراً اغتاله بالسمّ(١) .

أمّا الإمام الجواد عليه السلام فقد كان من أروع صور الفكر والعلم في الإسلام ، فقد تقلّد الإمامة بعد وفاة أبيه الإمام الرضا عليه السلام وكان عمره الشريف لا يتجاوز السبع سنين أو التسع ، وهو دور لا يسمح لصاحبه ـ حسب سيكلوجية هذا السنّ ـ أن يخوض في أي ميدان من ميادين العلوم العقلية وغيرها ، أو يدخل في عالم المناظرات والبحوث الجدلية مع كبار العلماء والمتخصّصين فإنّ ذلك غير ممكن لمن كان في سنّ الطفولة إلّا انّ الإمام الجواد عليه السلام قد خرق هذه العادة حينما عهد العباسيون إلى كبار العلماء بسؤاله عن أعقد المسائل الفلسفية والكلامية لعلّه يعجز عن أجوبتها فيتّخذون من ذلك وسيلة للتشهير بأئمّة الشيعة وبطلان عقيدتهم ، لقد عملوا كما عمل المأمون مع الإمام الرضا عليه السلام .

وتقدّم العلماء إلى الإمام الجواد عليه السلام فسألوه عن مختلف المسائل المشكلة فأجابهم عنها ، وكان ممّن سأله يحيى بن أكثم قاضي قضاة بغداد الذي انتخبه العباسيون لامتحان الإمام عليه السلام فسأله عن مسألة فقهية ، ففرّع الإمام عليها عدّة فروع ثمّ سأله عن أي فرع أراد منها ، فلم يهتدِ يحيى لذلك وبان عليه العجز ، وطلب من الإمام أن يتفضّل بالإجابة عنها واعترف بعجزه عن مجاراته ، وشاعت في الأوساط العلمية في بغداد هذه الظاهرة العلمية الهائلة وتحدّث عنها الناس ،

---

(١) ذكرنا بعض بنود تلك المسائل في كتابنا حياة الإمام الرضا عليه السلام ، وقد سجّلها مندوب من قِبل المأمون ، وعلّق عليها بقوله : «إنّ الله لم يخلق أفضل من عليّ بن موسى الرضا عليه السلام » .

ولا زالوا يتحدّثون .

وكان الإمام عليه السلام في يثرب بعد وفاة أبيه الإمام الرضا فخفّ إليه فقهاء الشيعة للتعرّف على إمامته فسألوه عن أعمق المسائل الفقهية وغيرها ، ويقول الرواة إنّه سئل في نوب متفرقة عن ثلاثين ألف مسألة فأجاب عنها بدقّة وشمول[١] . ومن الطبيعي انّه لا تعليل لهذه الظاهرة المحيّرة إلّا بالاعتراف بما تدين به الشيعة الإمامية في أئمّتهم من انّ الله تعالى قد منحهم العلم وآتاهم من الفضل كما وهب ذلك لرسله ، وليس في ذلك أي غلوّ أو افراط في الحبّ بعد ما توفّرت الأدلّة العلمية على ذلك .

٤ ـ زيارة مراقد الأئمّة

واتُّهمت الشيعة بالغلوّ لزيارتهم مراقد أئمّة الهدى ومصابيح الإسلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ، وقد أعلن ذلك القصيمي تبعاً لسيّده ابن تيميّة ، قال :

وبهذا الغلوّ الذي رأيت من طائفة الشيعة في أئمّتهم ، وبهذا التأليه الذي سمعت منهم لعليّ وولده عبدوا القبور وأصحاب القبور ، وأشادوا المشاهد وأتوها من كلّ فجّ عميق ، وقدّموا لها النذور والهدايا والقرابين ، وأراقوا فوقها الدماء والدموع ورفعوا لها خالص الحبّ والخشوع ، وأخلصوا لها بذلك وخصّوها به دون الله ربّ الموحّدين[٢] .

وهذا النقد تافه كصاحبه الذي أُترع فكره بالعصبية والبغض لآل النبيّ صلى الله عليه وآله الذين هم سفن نجاة هذه الأمّة ، ومصدر هدايتها وسعادتها .

---

(١) ذكرنا عرضاً مفصّلاً لذلك في كتابنا (حياة الإمام محمّد الجواد عليه السلام) .

(٢) الصراع : ١/٥٤.

إنّ زيارة مراقد أئمّة الهدى عليهم السلام كزيارة مرقد جدّهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليس فيها غلو ، ولا خروج عن موازين الدين وأحكام الإسلام وإنّما فيها اعتراف بالفضل لما أسداه الأئمّة الطاهرون من الخدمات العظمى للإسلام ، فلولا تضحياتهم الجبّارة ووقوفهم أمام التيارات الجاهلية التي أججّها أسياد القصيمي من الأمويّين لما بقي للإسلام اسم ولا رسم ، ألم يعلن يزيد بن معاوية الكفر والالحاد ، ويقتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويسبي عياله ، كما استباح مدينة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأحرق الكعبة المقدّسة ، وكلّ هذه الجرائم والموبقات سائغة وجائزة في شريعة القصيمي وابن تيميّة .

إنّ الشيعة في زيارتهم لمراقد أهل البيت عليهم السلام يتقرّبون بذلك إلى الله تعالى الذي أوجب على المسلمين مودّتهم ، والولاء لهم أحياءً وأمواتاً ، ومضافاً لذلك فإنّ هناك فوائد عظيمة تعود على المسلمين والتي منها تعارف بعضهم ببعضهم ، وتآلفهم كما في الحجّ إلى بيت الله الحرام .

أمّا زيارة القبور بوجه عامّ فهي مشروعة وجائزة ، فقد روت عائشة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يخرج إلى البقيع ، ويسلّم على الأموات ويقول :

« السَّلامُ عَلَيْكُم دارَ قَوْمٍ مُؤْمِنين ، وَآتاكُمْ ما توعَدون غداً مُؤَجّلون ، وَإِنّا بِكُمْ غَداً إِنْ شاءَ اللهُ لاحِقونَ ، اللّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ الْبَقيع »[1] .

وكانت سيّدة نساء العالمين زهراء الرسول عليها السلام تزور قبر عمّها سيّد الشهداء حمزة عليه السلام في كلّ جمعة ، فتصلّي ، وتبكي عنده[2] . وبعد وفاة أبيها خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم كانت تزور مرقده الطاهر ، وتأخذ حفنة من ترابه فتشمّها وتبكي أمرَّ البكاء وتقول بصوت حزين النبرات :

---

(١) سنن البيهقي : ٤٩/٤. المغني : ٣٥٧/١. صحيح مسلم : ٦٥/٣.

(٢) مستدرك الحاكم : ٣٧٧/١، ووصف رواة الحديث بأنّهم جميعاً من الثقات .

مَاذَا عَلَى مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أَحْمَدٍ ... أَنْ لَا يَشَمَّ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا

قُلْ لِلْمُغَيَّبِ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرى ... إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ صَرْخَتِي وَنِدَائِيَا

صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبٌ لَوْ أَنَّهَا ... صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ صِرْنَ لَيَالِيَا

قَدْ كُنْتُ ذَاتَ حِمىً بِظِلِّ مُحَمَّدٍ ... لَا أَخْشَ مِنْ ضَيْمٍ وَكَانَ جَمَالِيَا

فَالْيَوْمَ أَخْشَعُ لِلذَّلِيلِ وَأَتَّقِي ... ضَيْمِي وَأَدْفَعُ ظَالِمِي بِرِدَائِيَا

فَإِذَا بَكَتْ قُمْرِيَّةٌ فِي لَيْلِهَا ... شَجَناً عَلَى غُصْنٍ بَكَيْتُ صَبَاحِيَا

فَلَأَجْعَلَنَّ الْحُزْنَ بَعْدَكَ مُونِسِي ... وَلَأَجْعَلَنَّ الدَّمْعَ فِيكَ وِشَاحِيَا[(١)]

وكان سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام يزور مقابر الشهداء بالبقيع ، ويقول :

نَادَيْتُ سكانَ القُبورِ فأُسْكِتوا ... فأَجابَني عَن صَمْتِهِمْ تُربُ الْحصا

قالَت: أتَدري ما صنَعتُ بساكِني ... مَزَّقْتُ لَحمَهُمُ وخَرَّقْتُ الكِسا

وَحَشَوتُ أعْيُنَهُم تُراباً بَعدَ ما ... كانَتْ تَأذَّى باليَسيرِ مِنَ القَذى

أمّا العِظامُ فَإنَّني مَزَّقْتُها ... حَتّى تَبايَنَتِ المَفاصِلُ وَالشَّوى

قَطَّعْتُ ذا مِنْ ذا وفي هذا كَذا ... فتَركتُها رِمَماً يَطوفُ بِها البِلى[(٢)]

إنّ زيارة القبور مشروعة ، والذي ينفي ذلك لا دليل له من علم ، ولا برهان ، وقد عرض سماحة شيخ المحقّقين الشيخ الأميني نضّر الله مثواه في موسوعته الخالدة (الغدير)[(٣)] إلى الاستدلال على مشروعية زيارة القبور مستدلاًّ على ذلك بأوثق الأدلّة ، ومضافاً لذلك السيرة التي استقرّ عليها المسلمون في زيارة قبور

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ٢/٢٣١.

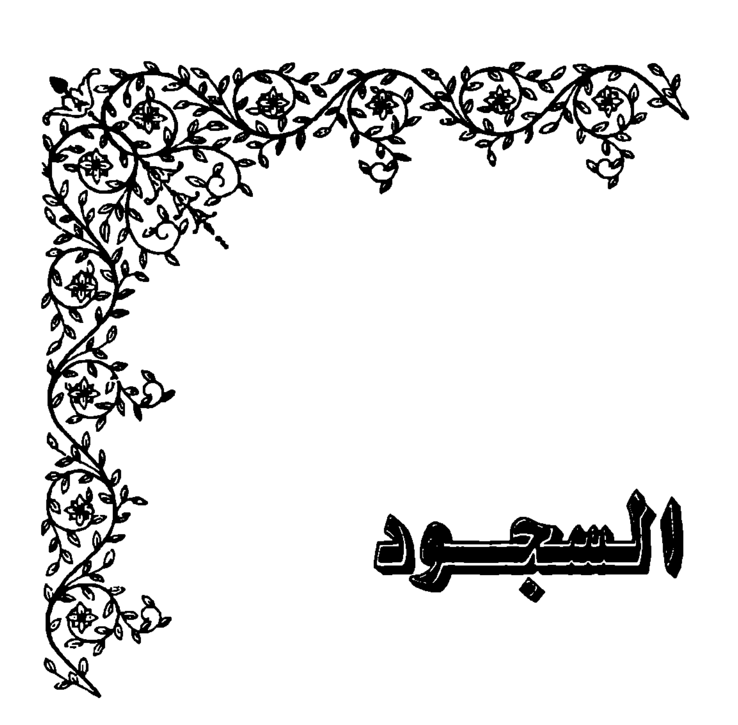
(٢) البداية والنهاية: ٨/٢٠٨.

(٣) الغدير: ٥/٩٣.

موتاهم منذ فجر تاريخهم حتى يوم الناس هذا .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن هذا العرض عن الغلوّ والغلاة . ونؤكّد ما ذكرناه في بحوث هذا الكتاب من أنّ عقيدة الشيعة مشرقة كالشمس لا غلوّ فيها ولا غموض ، وأنّها بجميع فصولها مستمدة من صميم كتاب الله وسنّة نبيّه ، ويكفيها شموخاً وفخراً وأصالةً أنّ أئمّتهم العظام هم من ذخائر الإسلام ومن سادات المتّقين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً .

وقبل أن أطوي هذه الكلمات أتقدّم بالشكر الجزيل إلى سماحة الأُستاذ حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ حسين الخليفة الاحسائي دامت بركاته على ما أولاني من الرعاية واللطف ، كما آمل أن يجد القارئ في هذه البحوث المتعة والفائدة ، وهو ما أتمناه ، والتوفيق بيده تعالى يهبه للصالحين من عباده .



السجود

على التربة الحسينية

تقديم



سلكت الشيعة في اطارها العقائدي مسلكاً مشرقاً اتّسم بأنّه من أوضح المناهج ، ومن أكثرها واقعيّة ، ومن أشدّها التصاقاً بسيرة الرسول الأعظم ﷺ ، والتزاماً بحرفيّة ما جاء عنه ، ولم تلغ الشيعة نصّاً من شريعة الله ، ولم تبدّل أو تغيّر حكماً من أحكام الله ، كما لم تبتدع حكماً قبال أحكامه تعالى ، وقد واكبت سيرة الرسول ﷺ ، واتّبعت سنّته ، وتمسّكت بجميع ما أُثر عنه ، وهي ـ من دون مغالاة ـ من أظهر الفِرق الإسلاميّة تمسّكاً بكتاب الله وولاءاً لعترة رسوله ، لم تشذّ عن هذين المنهجين ، ولم تنحرف عنهما ، وإنّما سايرتهما لا عن هوى أو تقليد وإنّما اتّباعاً للأدلّة القطعيّة التي فرضت على كلّ مسلم التمسّك بالثقلين كما أمر النبيّ ﷺ بذلك ، وجعله ضماناً لأُمّته ووقاية لها من الانحراف ، والتردّي في مجاهيل هذه الحياة .



وتبنّت الشيعة بصورة إيجابيّة ومتميّزة الولاء لأهل بيت النبوّة ، ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومهبط الوحي والتنزيل ، وولاؤهم قائم في أعماق قلوبهم ، ودخائل نفوسهم ، سرى فيهم كما يسري الدم في عروقهم ، ولم يكن ذلك ـ يعلم الله ـ

عن غلوّ أو إفراط في الولاء والحبّ ، وإنّما كان منبعاً عن وصايا النبيّ ﷺ فيهم ، وإلزامه بمودّتهم .

فقد أُثرت عنه في ذلك كوكبة من النصوص المتواترة التي لا يخالجها شكّ ، ولا يسع المسلم أن يتغاضى عنها أو يتجاهلها ، ومن أبرزها حديث الثقلين ، فقد قرنهم الرسول ﷺ بمحكم التنزيل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كما جعلهم كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلّف عنها غرق وهوى ، وأنّهم مثل باب حطّة في بني إسرائيل ، مَنْ دخله غفر له ، وأنّهم من الأمّة بمنزلة الرأس من الجسد ، وبمنزلة العينين من الرأس ، إلى غير ذلك من الأحاديث التي تلزم المسلمين بمودّتهم والولاء لهم .



الإمام الحسين عليه السلام هو أحد الكواكب المشرقة من أهل بيت النبوّة الذين فرض الله مودّتهم في كتابه العظيم . قال تعالى : ﴿ قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾[1] ، وهو ريحانة رسول الله ، وسيّد شباب أهل الجنّة ، وهو وأخوه إمامان ، إن قاما أو قعدا ، وقد قلّده بهذه الأوسمة جدّه الرسول ﷺ ، وأحاطه بهالة من التكريم والتعظيم ، وقال فيه : « حُسَينٌ مِنّي وَأَنا مِنْ حُسَين » .

لقد استشفّ النبيّ ﷺ من وراء الغيب ما يقدّمه سبطه من التضحيات الهائلة في مقاومة المدّ الجاهلي الذي يستهدف قلع جذور الإسلام ، ولفّ لواء القرآن بقيادة حفيد أبي سفيان يزيد بن معاوية ، فلذا منح النبيّ ﷺ سبطه جميع أنواع الحفاوة والتكريم ، وأخلص له في الحبّ كأعظم ما يكون الإخلاص .

---

(١) الشورى ٤٢: ٢٣.



وحينما استولى فاجر قريش ، وخليع بني أُميّة يزيد بن معاوية على مقدّرات الدولة الإسلاميّة أعلن بلا خجل ولا حياء الكفر والإلحاد والمروق عن الدين ، والاستهزاء والسخرية بقيمه ومبادئه ، قائلاً :

لَعِبَتْ هاشِمُ بِالْمُلْكِ فَلَا خَبَرٌ جاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلْ

وانبرى حفيد الرسول ﷺ إلى هذا الطاغية الفاجر ، فأعلن ثورته الكبرى التي أوضح الله بها الكتاب ، وجعلها عبرة لأولي الألباب ، وقد سجّلت وسام شرف وفخر للإسلام وللإنسانيّة في جميع الأحقاب والآباد .

لقد ترجّل أبو الأحرار في ساحة الجهاد المقدّس ، وقد أعلن كلمته الخالدة التي دارت مع الفلك ، وارتسمت فيه قائلاً :

« لَا أَرىٰ الْمَوْتَ إِلَّا سَعادَةً، وَالْحَياةَ مَعَ الظّالِمينَ إِلَّا بَرَماً » .

ووقف سلام الله عليه بصلابة وعزيمة غير حافل بتلك الوحوش الكاسرة من عَبيد ابن مرجانة ، وراح أبو الشهداء يملي على صفحات التاريخ البطولات النادرة التي استوعبت جميع لغات الأرض ، وهي تنادي بفجر جديد لجميع شعوب العالم أن لا حياة ولا كرامة لها في ظلّ العبوديّة والاستعباد .



على صعيد كربلاء التي هي ترعة من ترع الجنّة ـ كما في الحديث ـ وقف حفيد الرسول الإمام الحسين عليه‌السلام مدافعاً عن الكرامة الإنسانيّة ، وعن المبادئ والمُثل العليا التي أعلنها الإسلام .

على ثرى تلك التربة الطاهرة سُفك دم ابن رسول الله ﷺ ودماء البررة الممجّدين من أهل بيته وأصحابه ، ومثّل البغاة المجرمون كأفظع ما يكـون التـمثيل بـأجسامهم الطاهرة ، وأحرقوا أخبيتهم وخيامهم ، وسلبوا ما على بنات رسول الله من حليٍ وأقنعة ، وحملوهنّ سبايا هدية لابن مرجانة وسيّده يزيد حفيد أبي سفيان .

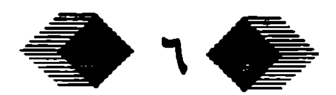
لقد حظيت تربة كربلاء بتلك الأجسام المقدّسة ، فما أطيبها وأطيب مَن دُفن فيها ، وفي زيارة الإمام وأصحابه :

« طِبْتُمْ وَطابَتِ الْأَرْضُ الَّتي فِيها دُفِنْتُمْ » .

لقد أصبحت تلك القبور الزاكية رمزاً للقيم الإنسانيّة ، ورمزاً لكلّ تضحية تقوم على الشرف والعدل .

يقول العقّاد : « فهي اليوم مزار يطيف به المسلمون متّفقين ومختلفين ، ومن حقّه أن يطيف به كلّ إنسان لأنّه عنوان قائم لأقدس ما يتشرّف به هذا الحيّ الآدمي من بـين سائر الأحياء ، فما أظلّت قبّة السماء مكاناً لشهيد قطّ هو أشرف من تلك القباب بـما حوته من معنى الشهادة وذكرى الشهداء »[١] .

لقد ضمّت تلك البقعة المباركة خلاصة الإباء والشرف والديـن ، وأصـبحت مـن أقدس مراكز العبادة وأفضلها في الإسلام ، ففي كلّ وقت يطيف بها المسلمون متبرّكين ومتقرّبين إلى الله تعالى .



وحظيت أرض كربلاء باهتمام بالغ عند الشيعة ، فهي عندهم كالحرمين في قداستها وسموّ مكانتها ، ومن مظاهر تقديسها عندهم السجود على تربتها في الصلاة المفروضة

---

(١) أبو الشهداء .

والمندوبة ، واتّخاذ أقراص منها في الجوامع والتكايا للسجود عليها .

واتّهم ـ بعض من لا حريجة له في الدين ـ الشيعة بأنّهم اتّخذوا التربة الحسينيّة صنماً يسجدون لها ويعبدونها من دون الله ، وهذا من سخف القول ، وضحالة الفكر ، والتردّي في الجهل ، فالشيعة تعبد الله تعالى وحده لا تشرك به شيئاً ، وإنّما يسجدون على التربة الحسينيّة لقداستها وطهارتها ، وتوضيح هذه الدراسة سيأتي بمزيد من البيان والتفصيل .



عُرضت مسألة السجود على التربة الحسينيّة قبل حفنة من السنين على الإمام الخوئي ؛ ونظراً لكثرة أشغاله وشؤونه ، فقد أحالها علَيَّ ، فأجبت عنها بدقّة وشمول ، ومن المؤسف أنّي لم أحتفظ بنسخة منها .

وفي كتابي « هذه هي الشيعة » بحثت هذه المسألة بحثاً مفصّلاً ومستوعباً ، وقد طلب بعض الاخوان المؤمنين من أهالي كربلاء المقدّسة أن أُضيف إلى هذا الموضوع بعض البحوث التي ترتبط به ، وأجعله كتاباً مستقلاً ، فاستجبت لهم وأضفت إلى ما كتبته هذه المقدّمة ، وبعض الأمور الأُخرى التي تتّصل بهذا الموضوع ، آملاً من الله تعالى التوفيق والسداد

إنّه وليّ ذلك والقادر عليه

باقر شريف القرشي

أهمّية السجود في الصلاة

وأهمّ العبادات، وأفضلها في شريعة الإسلام هي الصلاة، فهي معراج المؤمن، وقربان كلّ تقيّ، والحدّ الفاصل بين المسلم والكافر، وقد أناط الإسلام بها قبول الأعمال، ففي الحديث: «**إنْ قُبِلَتْ قُبِلَ ما سِواها، وَإِنْ رُدَّت رُدَّ ما سِواها**».

لقد ميّز الله تعالى الإنسان وشرّفه على بقيّة مخلوقاته بالصلاة التي يَمثل بها الإنسان أمام خالق الأكوان وواهب الحياة، لقد سما الإنسان بهذه العبادة التي تطهّر روحه، وتصدّه عن الفحشاء والمنكر، وتهديه إلى سواء السبيل.

وأفضل أجزاء العبادة وأهمّها هو السجود لله تعالى، فإنّه آخر مظاهر العبوديّة والتذلّل له، وقد أخرج الله تعالى إبليس من الجنّة وطرده منها لمّا أبى السجود لآدم، فقد أخذته الأنانيّة والكبرياء، ورأى أنّه أفضل من آدم لأنّه مخلوق من طاقة حراريّة، وهي أفضل من الطين الذي خُلق منه آدم، فقد أخذ بالقياس.

وفي الحديث: «**إنَّ أَوَّلَ مَنْ قاسَ إِبْليس**».

إنّ السجود لله تعالى بقصد التذلّل والتعظيم من أعظم العبادات، وما عُبِدَ الله بمثله، وما من عمل أشقّ على إبليس من أن يرى ابن آدم ساجداً لله تعالى؛ لأنّه قد أمر به فعصى وغوى وهلك، وابن آدم أُمر به فأطاع ونجا.

ويحرم السجود لغير الله تعالى، فأمّا سجود الملائكة لآدم فإنّها لم تكن له، وإنّما كانت لله وآدم قبلة لهم، كما إنّ سجود يعقوب وولده لم تكن ليوسف وإنّما هي شكر لله على ما وهبه وأعطاه من الملك.

شروط السجود

ونظراً لأهمّية السجود بذاته ، ولأنّه جزء من العبادة فيشترط فيه ما يلي :

أوّلاً : أن يكون السجود على الأرض ، وقد تظافرت الأخبار بذلك عن النبيّ ﷺ وعن بعض صحابته ، وهذه بعض الأخبار :

١ ـ قال رسول الله ﷺ : « **جُعِلَتْ لي الأَرْضُ طَيِّبَةً وَمَسْجِداً ، وَأَيُّما أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ صَلّى حَيْثُ كان** »[١] .

٢ ـ قال رسول الله ﷺ لأبي ذرّ : « **الأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ ، فَحَيْثُما أَدْرَكْتَ الصَّلاةَ فَصَلِّ** »[٢] .

٣ ـ روى ابن عبّاس أنّ النبيّ ﷺ سجد على الحجر[٣] .

٤ ـ روى أنس بن مالك ، قال : « كنّا نصلّي مع رسول الله ﷺ في شدّة الحرّ ، فيأخذ أحدنا الحصباء في يده فإذا بَرد وضعه وسجد عليه »[٤] .

٥ ـ روى جابر بن عبدالله ، قال : « كنّا نصلّي مع رسول الله ﷺ صلاة الظهر وآخذ قبضة من حصى فأجعلها في يدي الأُخرى حتّى تبرد ، ثمّ أسجد عليها من شدّة الحرّ » .

وأمثال هذه الأحاديث أُثرت عن أئمّة الهدى ﷺ ، وهي تلزم بالسجود على الأرض وما أنبتت .

---

(١) صحيح البخاري : ٨٦/١ . صحيح مسلم : ٦٤/٢ . صحيح النسائي : ٣٢/٢ . صحيح أبي داود : ٧٩/١ . صحيح الترمذي : ١١٤/٢ .

(٢) صحيح النسائي : ٣٧/٢ .

(٣) مستدرك الحاكم : ٤٧٣/٣ .

(٤) السنن الكبرى : ٢/٢ ، الحديث ١٠٦ .

ثانياً: أنّه يشترط أن يكون المكان الذي يسجد عليه المصلّي مباحاً، فلو كان مغصوباً عيناً أو منفعة، فلا يصحّ السجود عليه.

ثالثاً: يشترط في المكان الذي يسجد عليه أن يكون طاهراً، فلو كان نجساً فلا يصحّ السجود عليه.

رابعاً: أن لا يكون من جنس المأكول والملبوس، فلو كان منهما فلا يصحّ السجود عليه في الصلاة، وهنا بحوث ذكرها الفقهاء في رسائلهم العمليّة تتعلّق في جنس ما يأكل ويلبس ممّا لا يصحّ السجود عليه.

أمكنة يكره فيها السجود

ويكره السجود في الصلاة في مواضع، وهذه بعضها:

١ ـ الحمّام: وهو المكان الذي يغسل فيه، وعمّم بعض الفقهاء الكراهة إلى المسلخ.

٢ ـ المزابل: وهي المواضع القذرة التي تجمع فيها القمامة.

٣ ـ المكان المتّخذ للكنيف.

٤ ـ الأماكن التي تذبح فيها الحيوانات أو تنحر.

٥ ـ المواضع التي يصنع فيها المسكر أو يباع.

٦ ـ المطابخ وبيوت النّار.

٧ ـ بيوت المجوس إلّا إذا رُشّت وجفّ ما عليها من ماء، فلا يكره السجود فيها.

٨ ـ الأرض السبخة.

٩ ـ أعطان الإبل، وإن كنست ورشّت بالماء.

١٠ ـ مرابط الخيل والبغال والحمير والبقر، ومرابض الغنم؛ وذلك لقذارتها.

١١ ـ الطرق العامّة ما لم تضرّ بالمارّة ، فإن أضـرّت بـها حـرم السـجود وبـطلت الصلاة .

١٢ ـ مجاري المياه ، وإن لم يتوقّع جريان الماء فيها .

١٣ ـ مكان أمامه حائط ينزّ من بالوعة يبال فيها أو كنيف .

١٤ ـ المقابر .

١٥ ـ السجود على القبر .

١٦ ـ السجود بين قبرين من غير حائط[١] .

أمكنة يستحبّ فيها السجود

ويستحبّ السجود الذي هو من أركان الصلاة في الأماكن المـقدّسة ، وأفـضلها ما يلي :

١ ـ المسجد الحرام ، فقد ورد أنّ الصلاة فيه تعدل ألف ألف صلاة .

٢ ـ مسجد الرسول الأعظم ﷺ ، فالصلاة فيه تعدل عشرة آلاف .

٣ ـ مسجد الكوفة ، والصلاة فيه تعدل ألف صلاة .

٤ ـ المسجد الأقصى ، الذي احتلّته الصهاينة أعداء الله ، والصلاة فيه تعدل ألف صلاة .

٥ ـ المسجد الجامع للبلد ، والصلاة فيه تعدل مائة .

٦ ـ مسجد القبيلة ، والصلاة فيه تعدل خمساً .

٧ ـ مسجد السوق ، والصلاة فيه تعدل اثنى عشر صلاة .

---

(١) العروة الوثقى : ١/٢٦٣ ـ ٢٦٤.

٨ ـ مشاهد أئمّة الهدى عليهم السلام ، وهي من البيوت التي أمر الله أن تُرفع ويذكر فيها اسمه .

٩ ـ روضات الأنبياء عليهم السلام .

١٠ ـ مقام الأولياء والصالحين والعلماء والعبّاد[١] .

إنّ السجود لله تعالى من أفضل صور العبادة ، وينبغي أن يكون في الأمكنة المحترمة ، وفي المواضع الطاهرة ، وينبغي للمصلّي أن يتّخذ لنفسه تربة طاهرة يسجد عليها من أي أرض اتّخذت؛ لأنّه قد لا يتهيّأ له موضع يسجد عليه في حال صلاته متيقّناً بطهارته وحلّيّته ، خصوصاً في حال السفر والنزول في الفنادق وغيرها ، والاختلاط بالذين لا يكترثون بالطهارة والنجاسة ، وقد كان بعض فقهاء السلف إذا سافر حمل معه لبنة طاهرة يسجد عليها ، فهذا الفقيه مسروق بن الأجدع[٢] إذا سافر أخذ معه لبنة يسجد عليها للجهة التي ذكرناها .

وعلى أي حال ، فإنّ رأي الشيعة في السجود هو على مطلق الأرض ، وهذا هو رأي الإسلام الذي أجمع عليه الفقهاء .

---

(١) العروة الوثقى : ١/٢٦٥.

(٢) مسروق بن الأجدع الهمداني، المتوفّى سنة ٦٢هـ تابعي من رجال الصحاح الستّ، روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، وكان فقيهاً ومن أصحاب ابن مسعود الذين كانوا يعلّمون النّاس السنّة، توجد ترجمته في تاريخ البخاري الكبير : ٤/٣٥، ق٢. طبقات ابن سعد : ١/٥٠. تهذيب التهذيب : ١٠/١٠٩. الجرح والتعديل : ٤/٣٩٦، ق١.

التربة الحسينيّة

واعتادت الشيعة السجود في صلاتهم على التربة الحسينيّة ، وجعلوا منها أقراصاً وضعوها في جوامعهم وتكاياهم وبيوتهم ، وحملوها معهم في حلّهم وترحالهم ليسجدوا عليها ، ولم يكن ذلك عن تعصّب أو هوى وتقليد ، وإنّما هو لأهمّية هذه التربة وقداستها ، فقد اتّخذت من أرض كربلاء التي حظيت بجثمان ريحانة رسول الله ﷺ ، وسيّد شباب أهل الجنّة ، الإمام الحسين عليه السلام ، الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « **حُسَينٌ مِنّي وَأنا مِنْ حُسَين** » .

فعلى صعيد تلك التربة المقدّسة سفك دمه الطاهر والدماء الزكيّة من أبنائه وأهل بيته وأصحابه من أجل إعلاء كلمة الإسلام ، ودرء الخطر الجاهلي الذي داهم المسلمين في أيّام حكومة يزيد حفيد أبي سفيان وابن معاوية الذي أعلن وجاهر بكلّ صلافة « لا خبر جاء ولا وحي نزل » ، فانبرى إليه حفيد الرسول ونازله الحرب ، فحطّم كيانه ، وأنزله من قصره إلى قبره ، ودلّل على جريمة من نصّبه وأقامه خليفة على المسلمين .

لقد أضاءت تلك الدماء الزكيّة طريق الحريّة والكرامة لجميع شعوب العالم ، وأشعلت النّار في قصور الأمويّين حتّى أطاحت بعروشهم .

لقد تسامت أرض كربلاء ، وارتفعت إلى قبّة السماء؛ وذلك لما حازته من فخر وشرف لم تحزه أي بقعة من بقاع الأرض .

يقول العقّاد : « فهي ـ أي كربلاء ـ اليوم حرم يزوره المسلمون للعبرة والذكرى ،

ويزوره غير المسلمين للنظر والمشاهدة، ولكنّها لو أُعطيت حقّها من التنويه والتخليد لحقّ لها أن تصبح مزاراً لكلّ آدمي يعرف لبني نوعه نصيباً من القداسة وحظّاً من الفضيلة؛ لأنّنا لا نذكر بقعة من بقاع الأرض يقترن اسمها بجملة من المناقب والفضائل أسمى وألزم لنوع الإنسان من تلك التي اقترنت باسم كربلاء بعد مصرع الحسين فيها».

وعلى أي حال، فإنّ السجود على التربة الحسينيّة إنّما هو سجود لله على أسمى وأجلّ أرض في دنيا الإسلام وغيره، ويعلّل الإمام كاشف الغطاء في بحثه الممتع عن الأرض والتربة الحسينيّة السبب في السجود عليها بالقول:

«لعلّ من جملة الأغراض العالية، والمقاصد السامية ـ أي في السجود على التربة الحسينيّة ـ أن يتذكّر المصلّي حين يضع جبهته على تلك التربة تضحية ذلك الإمام بنفسه، وآل بيته والصفوة من أصحابه في سبيل العقيدة والمبدأ، وتحطيم هياكل الجور والفساد، والظلم والاستبداد، ولمّا كان السجود أعظم أركان الصلاة، وفي الحديث: أقرب ما يكون العبد إلى ربّه حال سجوده، ناسب أن يتذكّر بوضع جبهته على تلك التربة الزكيّة أُولئك الذين وضعوا أجسامهم عليها ـ ضحايا الحقّ ـ وارتفعت أرواحهم إلى الملأ الأعلى ليخشع ويخضع، ويتلازم الوضع والرفع، ويحتقر هذه الدنيا الزائفة، وزخارفها الزائلة، ولعلّ هذا هو المقصود من أنّ السجود عليها يخرق الحجب السبع كما في الخبر، فيكون حينئذٍ في السجود سرّ الصعود والعروج من التراب إلى ربّ الأرباب، إلى غير ذلك من لطائف الحكم ودقائق الأسرار...»[١].

وعلى أي حال، فإنّ قداسة أرض كربلاء، وسموّ مكانتها، وعظيم شأنها ممّا شاع وذاع بين المسلمين، فقد شُرِّفت بضريح سيّد الشهداء أبي الأحرار.

---

(١) الأرض والتربة الحسينيّة: ٢٣، الطبعة الرابعة.

يقول الجواهري:

تَعالَيتَ مِنْ مُفْزِعٍ لِلحُتوفِ وَبورِكَ قَبرُكَ مِنْ مَفْزَعِ
تَلوذُ الدُّهورُ فَمِنْ سُجَّدٍ عَلىٰ جانِبَيْهِ وَمِنْ رُكَّعِ

وعلى أي حال، فإنّا نعرض إلى الأخبار التي أُثرت عن النبيّ ﷺ وأهل بيته في فضل التربة الحسينيّة وإلى الأمور التي ترتبط بها.

في رحاب الأحاديث

وتظافرت الأخبار عن الرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته الأطهار في فضل التربة الحسينيّة زادها الله شرفاً، وفيما يلي تلك الأحاديث النبويّة:

أمّا ما ورد عن النبيّ ﷺ من الأخبار فهذه بعضها:

١ ـ روت أُمّ المؤمنين السيّدة أُمّ سلمة، قالت: «كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي النبيّ ﷺ، فنزل جبرئيل فقال: يا محمّد، إنّ أُمّتك تقتل ابنك هذا من بعدك ـ وأشار إلى الحسين ـ فبكى رسول الله ﷺ، وضمّه إلى صدره، وكان بيده تربة فجعل يشمّها ـ والتربة مأخوذة من كربلاء ـ وهو يقول: **وَيْحَ كَرْبٍ وَبَلاء**، وناولها أُمّ سلمة فقال لها:

إذا تَحَوَّلَتْ هذِهِ دَماً فَاعْلَمي أَنَّ ابْني قَدْ قُتِل، فجعلتها أُمّ سلمة في قارورة، وجعلت تتعاهدها وهي تقول: إنّ يوماً تتحوّلين دماً ليوم عظيم»[١].

٢ ـ روت السيّدة أُمّ سلمة، قالت:

«إنّ رسول الله ﷺ اضطجع ذات ليلة للنوم وهو خائر ـ أي مضطرب ـ ثمّ اضطجع وهو خائر دون ما رأيت به المرّة الأُولى، ثمّ اضطجع وفي يده تربة حمراء وهو

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام: ١/١٠١.

يقبّلها ، فقلت له : ما هذه التربة يا رسول الله ؟

فقال : **أَخْبَرَني جَبْرَئيلُ أَنَّ هذا** ـ وأشار إلى الحسين ـ **يُقْتَلُ بِأَرْضِ الْعِراقِ ، فَقُلْتُ لِجَبْرَئيلَ : أَرِني التُّرْبَةَ الَّتي يُقْتَلُ بِها ، فَهذِهِ تُرْبَتُه** »[1].

٣ ـ روت السيّدة أمّ الفضل بنت الحارث ، فقالت :

« كان الحسين في حجري ، فدخلت على رسول الله ﷺ ، ثمّ حانت منّي التفاتة فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان من الدموع ، فقلت له : يا نبيّ الله ، بأبي أنت وأمّي ، ما لك ؟ ! فقال لها :

أَتاني جَبْرَئيلُ فَأَخْبَرَني أَنَّ أُمَّتي سَتَقْتُلُ ابْني هذا .

وذعرت أمّ الفضل وراحت تقول : يقتل هذا ـ وأشارت إلى الحسين ـ »[2].

٤ ـ روت السيّدة عائشة فقالت :

« دخل الحسين بن عليّ على رسول الله ﷺ وهو يُوحى إليه ، فنزا على رسول الله ﷺ وهو منكبّ ، فقال جبرئيل : أتحبّه يا محمّد ؟

قال : **وما لِيَ لا أُحِبُّ ابْني !**

قال : فإنّ أمّتك ستقتله من بعدك ، فمدّ جبرئيل يده فأتاه بتربة بيضاء فقال : في هذه الأرض يُقتل ابنك هذا ، واسمها الطفّ ، فلمّا ذهب جبرئيل من عند رسول الله ﷺ والتربة في يده وهو يبكي ، فقال :

يا عائِشَةُ ، إِنَّ جَبْرَئيلَ أَخْبَرَني أَنَّ ابْني حُسَيْناً مَقْتولٌ في أَرْضِ الطَّفِّ ،

---

(١) مستدرك الحاكم : ٣٩٨/٤ . كنز العمّال : ١٠٦/٧ . سير أعلام النبلاء : ١٥/٣ . ذخائر العقبى : ١٤٨ .

(٢) مستدرك الحاكم ٣ : ١٧٦ .

وَأَنَّ أُمَّتي سَتُفْتَنُ بَعْدي ، ثمّ خرج إلى أصحابه وفيهم عليّ وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمّار وأبو ذرّ وهو يبكي ، فبادروا إليه قائلين : ما يبكيك يا رسول الله ؟

قال : أَخْبَرَني جَبْرَئيلُ أَنَّ ابْني الْحُسَين يُقْتَلُ بَعْدي وَجاءَني بِهذِهِ التُّرْبَةِ وَأَخْبَرَني أَنَّ فيها مَضْجَعَهُ »[١].

٥ ـ روى أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام ، قال : « بَيْنَما الحُسَيْنُ بْنُ عَليٍّ عليهما السلام عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله إذْ أَتاهُ جَبْرَئيلُ ، فَقالَ : يا مُحَمَّدُ ، أَتُحِبُّهُ ؟ فَقالَ : نَعَمْ ، فَقالَ : أَما إنَّ أُمَّتَكَ سَتَقْتُلُهُ ، قالَ : فَحَزَنَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله حُزْناً شَديداً ، فَقالَ لَهُ جَبْرَئيلُ : يا رَسُولَ اللهِ ، أَتُريدُ التُّرْبَةَ الَّتي يُقْتَلُ فيها ؟ فَقالَ : نَعَمْ ، فَخَسَفَ ما بَيْنَ مَجْلِسِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله إلىٰ كَرْبَلاء حَتّى الْتَقَتِ الْقِطْعَتانِ هكَذا ، ثُمَّ جَمَعَ ما بَيْنَ السَّبّابَتَيْنِ ، ثُمَّ تَناوَلَ بِجَناحِهِ مِنْ تُرْبَتِها وَناوَلَها رَسولَ اللهِ ، ثُمَّ رَجَعَتْ أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : طُوبىٰ لَكِ مِنْ تُرْبَةٍ ، وَطُوبىٰ لِمَنْ يُقْتَلُ فيكِ »[٢].

وكثير من أمثال هذه الأحاديث أُثرت عن النبيّ صلى الله عليه وآله في فضل التربة التي استشهد على ثراها ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله ، وأبو الأحرار المدافع الأوّل عن رسالة الإسلام .

ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في فضل كربلاء

وأُثرت عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، باب مدينة علم النبيّ صلى الله عليه وآله ، بعض

---

(١) مجمع الزوائد : ٩/١٨٧، وفي تهذيب الكمال : « إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخذ التربة التي جاء بها جبرئيل، فجعل يشمّها ويقول : ويح كرب وبلاء ».

(٢) كامل الزيارات : ٦٠.

الأحاديث في فضل البقعة التي استشهد عليها الإمام الحسين عليه السلام هي :

١ ـ روى الإمام الصادق عليه السلام ، قال :

« مَرَّ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام بِكَرْبَلاء في أُناسٍ مِنْ أَصْحابِهِ ، فَاغْرَوْرَقَتْ عَيناهُ بِالْبُكاءِ ، ثُمَّ قالَ : هذا مَناخُ رِكابِهِمْ ، وَهذا مُلْتَقى رِحالِهِمْ ، وَهُنا تُهْرَقُ دِماؤُهُمْ ، طُوبىٰ لَكِ مِنْ تُرْبَةٍ عَلَيْكِ تُهْرَقُ دِماءُ الْأَحِبَّةِ »[١].

٢ ـ اجتاز أمير المؤمنين عليه السلام على أرض كربلاء ، فأخذ قبضة من ترابها فشمّها وبكى حتّى بَلّ الأرض بدموعه ، وهو يقول :

يُحْشَرُ مِنْ هذا الظَّهْرِ سَبْعونَ أَلْفاً يَدْخُلونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِساب »[٢].

كما أُثرت عن أئمّة الهدى عليهم السلام كوكبة من الأحاديث في فضل تربة كربلاء ، وفي بعضها :

« مَوْضِعُ قَبْرِ الْحُسَيْنِ تِرْعَةٌ مِنْ تِرَعِ الْجَنَّةِ »[٣].

وعلى أي حال ، فقد حفلت مصادر الحديث والأخبار بطائفة من الأحاديث في فضل التربة الحسينيّة ، فأي نقص على الشيعة من السجود عليها لله تعالى وحده لا شريك له .

وقد مرّ علَيَّ في أثناء مراجعتي في بعض المصادر عن سيرة الأوزاعي ، كان إذا أراد السفر من المدينة المنوّرة حمل طينة منها ليسجد عليها ، فسئل عن ذلك فأجاب : « إنّ أفضل بقعة في الأرض هي البقعة التي دُفن فيها رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأحبّ

---

(١) كامل الزيارات : ٢٦٩.

(٢) مجمع الزوائد : ٩/١٩١.

(٣) كامل الزيارات : ٢٧١.

أن يكون سجودي لله تعالى عليها ».

لقد عابوا على الشيعة في سجودهم على التربة الحسينيّة ، واتّهموهم بتهم باطلة ليس لها أي سند من علم . ومن المؤكّد أنّه لو كان هناك دليل شرعي على عدم السجود عليها لتركتها الشيعة ولم تسجد عليها .

أوّل من صلّى على التربة

« إنّ أوّل من صلّى على التربة الحسينيّة ـ حسبما يحدّثنا الإمام كاشف الغطاء ـ هو الإمام زين العابدين عليه السلام ، وذلك بعد ما فرغ من دفن أبيه وأهل بيته وأنصاره ، فقد أخذ قبضة من التربة التي وضع عليها الجسد الشريف الذي خرقته سيوف الأمويّين ، فشدّ ذلك التراب في صرّة ، وعمل منه سجّادة ومسبحة ، وهي السبحة التي كانت بيده حينما أدخلوه على طاغية بني اُميّة حفيد أبي سفيان ، فسأله عنها ، فروى له الإمام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله حديثاً مفاده أنّ من حمل السبحة وقرأ دعاءً مخصوصاً فإنّه يكتب له ثواب التسبيح وإن لم يُسبّح ، ولمّا رجع الإمام إلى يثرب كان يتبرّك بتلك التربة ويسجد عليها ، ويعالج بها مرضى أهل بيته ، فشاع ذلك عند العلويّين وشيعتهم .

وبعد وفاته كان ولده الإمام محمّد الباقر عليه السلام يحثّ أصحابه على السجود على التربة الحسينيّة والتبرّك بها .

وبعد ما انتقل إلى حظيرة القدس كان ولده الإمام جعفر الصادق عليه السلام يلازم السجود عليها ، ففي مصباح المتهجّد لشيخ الطائفة الشيخ الطوسي رحمه الله أنّه كان لأبي عبدالله الصادق عليه السلام خريطة من ديباج صفراء فيها تربة أبي عبدالله الحسين عليه السلام ، فكان إذا حضرته الصلاة صبّه على سجّادته ، وسجد عليها .

ثمّ قال : **إِنَّ السُّجودَ عَلىٰ تُرْبَةِ أَبي عَبْدِ اللهِ يَخْرُقُ الْحُجُبَ السَّبْع .**

ولعلّ المراد بالحجب السبع هي الحاءات السبع من الرذائل التي تحجب النفس

عــن الاسـتضاءة بـأنوار الحقّ ، وهـي : الحسـد ، والحـقد ، والحـرص ، والحـدّة ، والحماقة ، والحيلة ، والحقارة . فالسجود على التربة من عظيم التواضع ، والتوسّل بأصفياء الحقّ يـمزّقها ويـخرقها ويـبدّلها بـالحاءات السـبع مـن الفـضائل ، وهـي : الحكمة ، الحزم ، الحلم ، الحنان ، الحياء ، الحبّ .

ولذا يروي صاحب الوسائل عن الديلمي ، قال : كان الصادق عليه‌السلام لا يسجد إلّا على التربة الحسينيّة تذلّلاً لله واستكانة إليه ، ولم تزل الأئـمّة مـن أولاده وأحـفاده تحرّك العواطف وتحفّز الهمم ، وتوفّر الدواعي إلى السجود عـليها والالتـزام بـها ، وبيان تضاعف الأجر والثواب والمواظبة عليها حتّى التزمت بها الشيعة إلى اليوم هذا الالتزام مع عظيم الاهتمام .

ولم يمض على زمن الصادق عليه‌السلام قرن واحد حتّى صارت الشيعة تصنعها ألواحاً وتضعها في جيوبها ،كما هو المتعارف اليوم ، فقد روي في الوسائل عن الإمام الثاني عشر الحجّة عليه‌السلام أنّ الحميري كتب إليه يسأله عن السجدة على لوح من طين قـبر الحسين هل فيه فضل ؟ فـأجاب عليه‌السلام : **يَجوزُ ذلِكَ ، وَفيهِ الفَضْلُ** ، ثـمّ سـأله عـن السبحة فأجاب بمثل ذلك .

فيظهر أنّ صنع التربة أقراصاً وألواحاً كما هو المتعارف اليوم كان متعارفاً من ذلك العصر ، أي وسط القرن الثالث حدود المائتين وخمسين هجريّة ، وفيها قال :

روي عن الصـادق عليه‌السلام : **إنَّ السُّجودَ عَلىٰ طينِ قَبْرِ الحُسينِ يُـنَوِّرُ الأَرَضـينَ السَّبْع ، وَمَنْ كانَتْ مَعَهُ سبْحَةٌ مِنْ طينِ قَـبْرِ الحُسَـينِ كُـتِبَ مُسَـبِّحاً وَإِنْ لَـمْ يُسَبِّحْ**[1] .

انتهى ما أفاده الإمام كاشف الغطاء قدس‌سره، وهو وثيق وملمّ بالبحث من جميع جهاته .

---

(١) الأرض والتربة الحسينيّة : ٢٧ ـ ٢٩.

المزايا الخاصّة لمرقد أبي الأحرار

منح الله تعالى مرقد أبي الشهداء بمزايا خاصّة ، وفضّله على كثير من مراقد أوليائه ، ومن بين ما اختصّ به من الفضل ما يلي :

استجابة الدعاء تحت قبّته

والشيء المحقّق الذي لا يخامره الشكّ أنّ الدعاء يستجاب عند مرقد أبي الأحرار إذا كان عن إيمان خالص ، ونيّة صادقة ، وقد كان ذلك شائعاً عن أئمّة الهدى عليهم السلام .

روى أبو هاشم الجعفري ، قال : « دخلت على أبي الحسن عليّ بن محمّد عليه السلام وهو محموم عليل ، فقال لي :

يا أَبا هاشِم ، ابْعَثْ رَجُلاً مِنْ مَوالينا إِلَى الحايرِ - أي الحاير الحسيني - **يَدْعو اللهَ لي** .

وخرج أبو هاشم من عند الإمام فاستقبله عليّ بن بلال ، فأعلمه بما قال الإمام ، وطلب منه أن يكون هو الرجل الذي يخرج إلى الحاير ، ويدعو للإمام ، وبهر عليّ بن بلال وراح يقول :

إنّه - أي الإمام - أفضل من الحاير إذ كان بمنزلة مَن في الحاير[1] ، ودعاؤه لنفسه

---

(١) أراد أنّ الإمام الهادي كالإمام الحسين عليه السلام في أنّه معصوم ومفترض الطاعة .

أفضل من دعائي له بالحاير، وقفل أبو هاشم راجعاً إلى الإمام عليه السلام وأخبره بمقالة عليّ بن بلال.

فأجابه الإمام: **قُلْ لَهُ: كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَفْضَلَ مِنَ الْبَيْتِ وَالْحَجَرِ، وَكانَ يَطوفُ بِالْبَيْتِ وَيَسْتَلِمُ الْحَجَرَ، وَإِنَّ للهِ بِقاعاً يُحِبُّ أَنْ يُدْعىٰ فيها، فَيَسْتَجيبُ لِمَنْ دَعاهُ، وَالحايرُ مِنْها»**[1].

نعم، إنّ الحاير المعظّم من الأماكن المقدّسة التي يستجاب فيها الدعاء.

الشفاء في تربة الحسين عليه السلام

وتواترت الأخبار عن أئمّة الهدى عليهم السلام أنّ الله تعالى قد جعل الشفاء بتربة المظلوم أبي عبدالله الحسين عليه السلام، وأيّدت ذلك تجارب المؤمنين المستمرّة في شفائهم وشفاء مرضاهم بهذه التربة المباركة، ونعرض إلى بعض ما أُثر من الأخبار فيها:

١ ـ قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: **«في طينِ قَبْرِ الحُسَينِ الشِّفاءُ مِنْ كُلِّ داءٍ، وَهُوَ الدَّواءُ الْأَكْبَرُ»**.

٢ ـ وعنه عليه السلام: **«طينُ قَبْرِ الحُسَينِ عليه السلام فيهِ شِفاءٌ وَإِنْ أُخِذَ عَلىٰ رَأْسِ ميلٍ»**.

٣ ـ وعنه عليه السلام: **«مَنْ أصابَتْهُ عِلَّةٌ فَبَدَأَ بِطينِ قَبْرِ الْحُسينِ عليه السلام شَفاهُ اللهُ مِنْ تِلْكَ الْعِلَّةِ إِلّا أَنْ تَكون عِلَّةَ السّامِ»**.

وإنّما ينتفع المريض بطين قبر الإمام الحسين عليه السلام إذا كان مؤمناً مطمئنّاً بذلك، فقد قال ابن أبي يعفور إلى الإمام الصادق عليه السلام: «يأخذ الإنسان من طين قبر الحسين فينتفع به، ويأخذ غيره فلا ينتفع به؟

---

(١) كامل الزيارات: ٢٧٤.

فقال الإمام عليه السلام : **لا وَاللهِ الَّذي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ ، ما يَأْخُذُهُ أَحَدٌ وَهُوَ يَرىٰ أَنَّ اللهَ يَنفَعُهُ بِهِ إِلَّا نَفَعَهُ اللهُ بِهِ».**

الدعاء عند تناول التربة

ويستحبّ الدعاء عند تناول تربة الحسين عليه السلام لشربها ، فقد روى أبو جعفر الموصلي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام أنّه قال :

«إذا أَخَذْتَ طينَ قَبْرِ الْحُسَينِ فَقُلْ : اللّهُمَّ بِحَقِّ هٰذِهِ التُّرْبَةِ ، وَبِحَقِّ الْمَلَكِ الْمُوَكَّلِ بِها ، وَالْمَلَكِ الَّذي كَرَبَها ، وَبِحَقِّ الوَصيِّ الَّذي هُوَ فيها ، صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَاجْعَلْ هذا الطِّينَ شِفاءً مِنْ كُلِّ داءٍ ، وَأَماناً مِنْ كُلِّ خَوْفٍ».

وروي دعاء آخر عن الإمام الصادق عليه السلام وهو :

«اللّهُمَّ إِنّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هٰذِهِ الطِّينَةِ ، وَبِحَقِّ الْمَلَكِ الَّذي أَخَذَها ، وَبِحَقِّ النَّبيِّ الَّذي قَبَضَها ، وَبِحَقِّ الوَصيِّ الَّذي حَلَّ فيها ، صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، وَاجْعَلْ لي فيها شِفاءً مِنْ كُلِّ داءٍ ، وَأَماناً مِنْ كُلِّ خَوْف».

وفسّر الإمام الصادق عليه السلام هذا الحديث ، قال عليه السلام :

«إِنَّ الْمَلَكَ الَّذي أَخَذَها جَبْرَئيلُ ، وَأَراهُ النَّبيَّ صلى الله عليه وآله فَقالَ : هٰذِهِ تُرْبَةُ ابْنِكَ تَقْتُلُهُ أُمَّتُكَ مِنْ بَعْدِكَ ، وَالنَّبيُّ الَّذي قَبَضَها هُوَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله ، وَأَمّا الوَصيُّ الَّذي حَلَّ فيها وَهُوَ الحُسَينُ بْنُ عَلِيٍّ سَيِّدُ الشُّهَداءِ»[1].

وفي مفاتيح الجنان :

---

(١) الأحاديث المذكورة نقلاً عن كامل الزيارات : ٢٧٤.

«اللّٰهُمَّ بِحَقِّ هٰذِهِ التُّرْبَةِ ، وَبِحَقِّ مَنْ حَلَّ بِها وَثَوىٰ فِيها ، وَبِحَقِّ جَدِّهِ وَأَبِيهِ وَأُمِّهِ وَأَخِيهِ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ وُلْدِهِ ، وَبِحَقِّ الْمَلاٰئِكَةِ الْحافِّينَ بِهِ إِلَّا جَعَلْتَها شِفاءً مِنْ كُلِّ داءٍ ، وَبُرْءًا مِنْ كُلِّ مَرَضٍ ، وَنَجاةً مِنْ كُلِّ آفَةٍ ، وَحِرْزاً مِمّا أَخافُ وَاحْذَرُ» .

رأي الإمام كاشف الغطاء

وعلّق الإمام محمّدحسين كاشف الغطاء ﷺ على الاستشفاء بالتربة الحسينيّة ، قال :

« والآثار تكون متواترة كتواتر الحوادث والوقائع التي حصل الشفاء فيها لمن استشفى بها من الأمراض التي عجز الأطباء عن شفائها ، أفلا يجوز أن يكون في تلك الطينة عناصر كيمياويّة تكون بلسماً شافياً من جملة من الأسقام قاتلة للميكروبات ؟! وقد اتّفق علماء الإماميّة وتظافرت الأخبار بحرمة أكل الطين إلّا من تربة قبر الحسين عليه‌السلام بآداب مخصوصة ، وبمقدار معيّن ، وهو أن يكون أقلّ من حمّصة أخذها من القبر بكيفيّة خاصّة وأدعية معيّنة .

ولا نكران ولا غرابة ، فتلك وصفة روحيّة من طبيب ربّاني يرى بنور الوحي والإلهام ما في طبائع الأشياء ، ويعرف أسرار الطبيعة وكنوزها الدفينة التي لم تصل إليها عقول البشر بعد ، ولعلّ البحث والتحرّي والمثابرة سوف يوصل إليها ويستكشف سرّها ، ويحلّ طلسمها ، كما اكتشف سرّ كثير من العناصر ذات الأثر العظيم ممّا لم تصل إليه معارف الأقدمين ، ولم يكن يخطر على بال واحد منهم مع تقدّمهم ، وسموّ أفكارهم ، وعظم آثارهم ، وكم من سرّ دفين ومنفعة جليلة مع موجودات حقيرة وضئيلة لم تزل مجهولة لا تخطر على بال ، ولا تمرّ على خيال ، وكفى بالبنسلين وأشباهه شاهداً على ذلك .

نعم ، لا تزال أسرار الطبيعة مجهولة إلى أن يأذن الله للباحثين بحلّ رموزها واستخراج كنوزها ، والأُمور المرهونة بأوقاتها ، ولكلّ كتاب أجل ، ولكلّ أجل كتاب ، ولا يزال العلم في تجدّد ، فلا تبادر إلى الإنكار إذا بلغك أنّ بعض المرضى عجز الأطباء عن علاجهم ، وحصل لهم الشفاء بقوّة روحيّة وأصابع خفيّة من استعمال التربة الحسينيّة أو من الدعاء ، والاتّجاه إلى القدرة الأزليّة أو ببركة دعاء بعض الصالحين .

نعم ، ليس من الحزم البدار إلى الإنكار ، فضلاً عن السخرية ، بل اللازم الرجوع في أمثال هذه القضايا والحوادث الغريبة إلى قاعدة الشيخ الرئيس المشهور: كلّما قرع سمعك من غرائب الأكوان فذره في بقعة الإمكان حتّى يذودك عنه قائم البرهان »[1] .

وحكى رأي الإمام كاشف الغطاء الواقع بالشفاء بتربة ريحانة رسول الله ﷺ ، وأزال كلّ شبهة تحوم حولها .

التخيير بين القصر والتمام

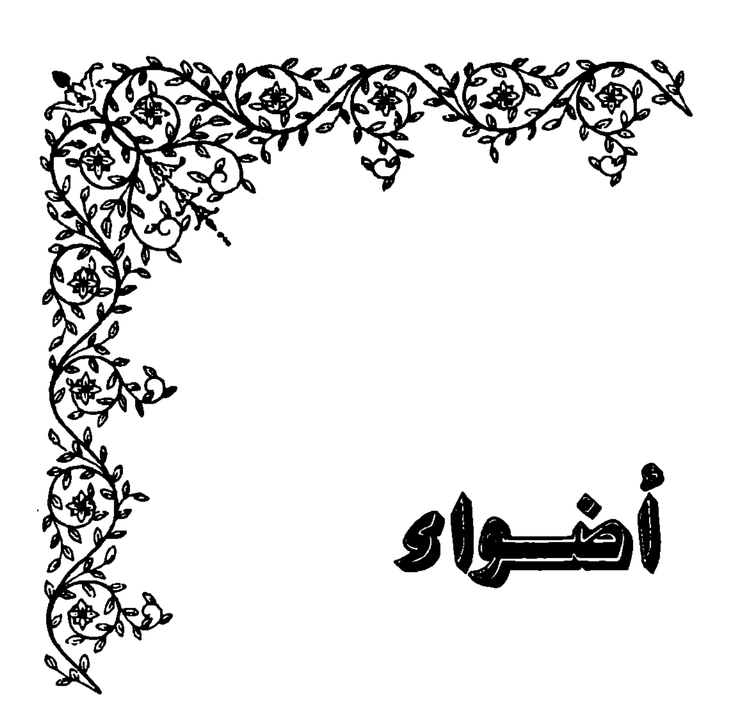
وممّا امتاز به ضريح الإمام الحسين عليه السلام أنّه يتخيّر فيه المسافر بين قصر الصلاة وإتمامها في تمام الروضة المقدّسة دون الرواق والصحن الشريف[2] .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن هذه الدراسة الموجزة عن السجود على التربة الحسينيّة ، آملاً أن تكون مقبولة عند سيّد الشهداء عليه السلام ، وأن تنالني شفاعته يوم ألقى الله .

---

(١) الأرض والتربة الحسينيّة : ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) منهاج الصالحين / الإمام الخوئي قدس سره : الطبعة التاسعة والعشرون .



أضـــواء

على زيارة القبور

تقديم



إنّ الشريعة الإسلامية بجميع ما قنّنته من أحكام وتعاليم وآداب تواكب الطبيعة ، وتساير المجتمع في سلوكه واتّجاهاته وليس فيها ـ والحمد لله ـ ما يشذّ عن الفطرة ، ويتجافى مع سنن الكون ، ولذا كُتِب لها البقاء والخلود ، وظلّت في طليعة الشرائع السماوية ، تفيض بالعطاء والخير على الإنسانية . إنّ الطاقات الندية الخلّاقة في الشريعة الإسلامية الغرّاء لا بدّ أن تسود أُمم العالم وشعوب الأرض وذلك لتعاليمها العملاقة الهادفة لايجاد مجتمع أفضل تسوده العدالة ، وتعمّه المحبّة ، ويشيع فيه الأمن والرخاء .



والذي نريد أن نقوله أنّ بنود الشريعة الإسلامية قد عالجت بعمق وشمول جميع قضايا الإنسان ووضعت لها الحلول الحاسمة ، ولم تترك أي جانب من جوانب حياة الإنسان وشؤونه إلّا سلّطت عليه الأضواء ، ورصدت له أروع الأنظمة التي تعالجه وتصلحه . إنّ الإسلام هو الدين الوحيد الذي لم تقتصر تعاليمه على الطقوس الدينية ، وإنّما شملت المناهج التربوية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وغيرها ممّا يمسّ حياة

الناس ، ويرتبط في قضاياهم المصيرية .



أمّا البنود الخلّاقة في الشريعة الإسلامية فهي التي تستند إلى الكتاب العزيز والسنّة المقدّسة فمن هذين المنبعين تؤخذ أحكام الله تعالى التي يجب فيها التعبّد والعمل في واجباتها والاجتناب عن محرّماتها ، وليس للمسلم الذي يبتغي وجه الله والدار الآخرة أن يشذّ في سلوكه ، ويبتعد في عمله عن هذين المنهجين ، فإنّ ذلك يقوده إلى الضلال والنار .



أمّا نصوص الكتاب والسنّة فإنّها حافلة بجميع ما يحتاج إليه الإنسان في عباداته ومعاملاته ، وعقوده وايقاعاته وليس لأيّ أحد أن يجتهد قِبال النصّ فإنّه حاكم وحجّة عليه . أمّا الذين يفتون ويجتهدون ويشرّعون قِبال النصّ فإنّهم على ضلال يا له من ضلال ، فإنّه من التشريع قبال أحكام الله تعالى ، وهو من أظهر ألوان البدع التي توعد عليها في النار .



وظهرت على مسرح الحياة العمليّة في الإسلام فئة تقنّنت بعض الأحكام ، وهي حسب الموازين والقواعد الشرعية بعيدة كلّ البعد عن روح الإسلام وهديه وليس لها أي رصيد علمي ، ومن بين ما قنّنوه الحكم بأنّ زيارة القبور بدعة وضلال ، كما حكموا بأنّ تقبيل الأضرحة كفر ومروق من الدين وليس لهذه الأحكام أيّة أصالة أو التقاء مع التشريع

الإسلامي ، فإنّ المنع عن زيارة القبور مجافٍ لما أثر عن النبيّ ﷺ في زيارته للقبور في بقيع الغرقد ، ومنافي لما عليه المسلمون منذ فجر تأريخهم حتى يوم الناس هذا من زيارتهم لقبور آبائهم وأمّهاتهم واخوانهم وتقبيلهم لأضرحة أولياء الله تعالى ، وسنعرض للدلالة العلمية على ذلك الحاكمة على ما أفتوا به .



٦

وليس من الإسلام في شيء الحكم بالكفر على أي مسلم يقرّ بكلمة التوحيد ، وبنبوّة خاتم المرسلين ، ويؤمن بجميع ما جاء به الرسول الأعظم ﷺ من أحكام وتعاليم ، فإنّ الحكم بالالحاد على من آمن بذلك تمرّد على القيم الإسلامية الحاكمة بالدخول في حظيرة الإسلام لكلّ من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر ، وترتيب جميع أحكام الإسلام عليه من حرمة ماله ودمه وعرضه ، وطهارة بدنه ، وغير ذلك من الأحكام التي نصّ عليها الفقهاء .



٧

أمّا حكم ابن تيميّة وابن حزم والقصيمي وأتباعهم على الشيعة بالكفر والمروق من الدين فإنّه حكم أهوج ، لا قاعدة له ، ولا دليل يستند إليه لقد علّلوا ما ذهبوا إليه من أنّ الشيعة يزورون مراقد أئمّتهم ، وينذرون لهم ، ويسجدون على تربة الإمام الحسين عليه‌السلام ، وغير ذلك من التعاليل التي تدعو إلى السخرية بابن تيميّة ومن شايعه وتابعه ، فإنّ هذه الأمور لا توجب الكفر والمروق من الدين ، فإنّ للكفر حدوده ومشخّصاته التي ذكرها الفقهاء ، وليست منها هذه الأمور . وفيما أحسب أنّ الذي دعاهم لهذا الحكم الظالم على الشيعة هو شدّة بغضهم وعدائهم لأهل البيت عليهم‌السلام .

لقد عُرِف ابن تيميّة وأتباعه بالبغض العارم والعداء الشديد لأهل بيت النبوّة ومعدن

الرسالة وقد تجلّى ذلك فيما كتبوه عنهم ، فقد أُشبعت بحوثهم بالروح الأُمويّة والعداء السافر لأهل البيت عليهم السلام ، والغضّ عن مآثرهم ونكران مناقبهم وفضائلهم التي هي ملء فم الدنيا .



لماذا لم يوجّه أتباع ابن تيميّة في هذا العصر نقدهم وانكارهم للقوى الصليبية وعلى رأسها إسرائيل التي تكيد للإسلام والمسلمين ، وتعمل في وضح النهار وفي غلس الليل على محاربة الإسلام ، والطعن في مقدّساته ، والنيل من كرامة سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله ، وهي تنشر ذلك في الصحف والمجلات ، والكتب الخاصّة توزّعها على طلّاب الجامعات والمعاهد لخلق أرضية معادية للإسلام وحجب اشراقه على اوربا وغيرها .

هلا قاوموا الاستعمار الغربي ونهبه لثروات المسلمين ، واشاعته الفقر والحرمان فيهم ؟

هلا أنكروا على حانات الخمر ومعامله التي عاثت فساداً في المجتمع الإسلامي ؟

هلا قاوموا بيوت الدعارة والمجون التي أفسدت شباب المسلمين ؟

هلا سعوا في جمع كلمة المسلمين ولمّ شملهم والتقريب بين مذاهبهم ؟

هلا طالبوا الحكّام والمسؤولين في البلاد الإسلامية بتطبيق مناهج الإسلام ، واشاعة مبادئه بين المسلمين ؟

هلا انبروا إلى الردّ على كتب الضلال والالحاد التي ألّفت ضدّ الإسلام ؟

إنّهم لم يحفلوا بذلك ، وإنّما وجّهوا نشاطهم الفكري والعلمي ضدّ الشيعة الذين حملوا راية الإسلام ، وجاهدوا كأعظم ما يكون الجهاد في الحفاظ على مبادئه ، ومقاومة المدّ الجاهلي أيام الحكم الأموي الذي استهتر بجميع القيم الإسلامية .



إنّ ولاء الشيعة لأهل البيت عليهم السلام قائم في أعماق نفوسهم، ودخائل قلوبهم، ولم يكن عاطفياً ولا ناشئاً عن هوى أو عاطفة وتقليد، وإنّما فرضته عليهم الأدلة الحاسمة التي يجب على المسلم التعبّد بها، ففي كتاب الله العزيز آيات محكمات صريحة واضحة في لزوم مودّتهم كان منها:

قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾.

وفي الأحاديث النبوية كوكبة من الأخبار دعت المسلمين إلى التمسّك بالعترة الطاهرة، كان منها قوله صلى الله عليه وآله:

« خَلَّفْتُ فِيْكُمُ الثَّقَلَينِ كِتابَ اللهِ وَعِتْرَتي أَهْلَ بَيْتي ما إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِما لَنْ تَضِلّوا بَعْدي أَبَداً »، وحديث السفينة وغيرها[1].

وقد أخذت بها الشيعة فتمسّكت بعترة الرسول صلى الله عليه وآله وأعرض عنها ابن تيميّة وغيره من أتباعه.

ولم نبغ بهذه البحوث إلّا ابراز القيم الأصيلة في الإسلام الهادفة إلى ايجاد مجتمع أفضل يسوده الوعي والتحرّر والفهم لواقع الأمور وبواعثها لا يجنح لهوى التضليل وخداع المنافقين.

ونحن ـ علم الله ـ من أحرص الدعاة إلى وحدة المسلمين ولمّ شملهم، وجمع

---

(١) ذكرنا عرضاً مفصّلاً للأدلّة على لزوم مودّة أهل البيت في كتابنا « أهل البيت في رحاب القرآن » وفي كتابنا « أهل البيت في ظلال السنّة ».

كلمتهم ، وتحذيرهم من دعاة التفريق وعملاء الاستعمار الذين يسعون جاهدين إلى تدمير المجتمع الإسلامي وبثّ النعرات الطائفية في صفوفه ، وقى الله المسلمين شرّهم .

وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب

مكتبة الإمام الحسن العامة

النجف الأشرف

باقر شريف القرشي

٨/ربيع الثاني/١٤١٧هـ

مشروعية زيارة القبور

وأضفى الإسلام على الإنسان في جميع مراحل وجوده وفنائه هالة من التكريم والتعظيم لم يُضفها عليه أي دين من الأديان ولا أي مذهب من المذاهب ، فقد أعرب الذكر الحكيم عن تكريم الله للإنسان وتفضيله على كثير ممّن خلق تفضيلاً .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾[1] .

ولمّا خلق الله آدم أمر ملائكته بالسجود له تعالى تعظيماً لهذا المخلوق العجيب فسجد الملائكة كلّهم أجمعون إلّا إبليس أبى واستكبر ، فقد رأى أنّه أفضل من آدم لأنه مخلوق من طاقة حرارية وهي أفضل من الطين الذي خُلِق منه آدم ، فقد أخذ بالقياس ، وفي الحديث إنّ أوّل من قاس إبليس .

وكان من اهتمامه تعالى بالإنسان أنّه بعث له الأنبياء والرسل لتنظيم حياته ، وتهذيب سلوكه ، واصلاح شؤونه ، وابعاده عن نوازع الهوى والشرور .

وأتمّ الله تعالى نعمته الكبرى على عباده بأن بعث إليهم خاتم الرسل وسيّد الأنبياء محمّد ﷺ ، فجاء بالشريعة السمحاء التي عالجت جميع قضايا الإنسان ، ووضعت أسمى المناهج وأروعها لاصلاح شؤونه ، وتطوير حياته ، ورفع مستواه ليكون خليفة لله تعالى في أرضه .

---

(١) سورة الإسراء ١٧ : ٧٠.

ولم تقتصر عناية الإسلام بالإنسان في حياته ، وإنّما شملت رعايته له بعد وفاته ، فقد أضفى عليه جميع ألوان الحفاوة والتكريم فأوجب غسله وتكفينه ، وندب إلى تشييعه ، وإعلام الأحياء بموته ، وأوجب مواراته في قبره ، فإن كان له وليّ ، فهو الذي يتولّى شؤونه وإن لم يكن له ولي فيجب على جميع الحاضرين مواراته وجوباً كفائياً ، ومن ألوان تكريمه له أنّه دعا أولياء الميّت إلى البرّ به والترحّم عليه ، والتصدّق عنه ، وفي الحديث : إنّ ابن آدم إذا توفّي انقطع عمله إلّا من ثلاث : صدقة جارية ، وولد صالح يدعو له ، أو علم ينتفع به .

إنّ الإنسان في شريعة الإسلام لا تموت روحه ، وإنّما يموت بدنه ، فإن كان الميّت مؤمناً سُعِد في قبره ، وإن كان شقياً عُذِّب في قبره ، يقول حكيم المعرة أبو العلاء المعري :

خُلِقَ النّاسُ لِلبَقاءِ فَضَلَّتْ ... أُمَّـةٌ يَـحسَبونَهُمْ لِـلنَّفادِ

إنّما يُنْقَلونَ مِنْ دارِ أَعْمالٍ ... إلىٰ دارِ شِقْوَةٍ أَوْ رَشادِ

إنّ الإنسان من الكائنات الحيّة التي لا يطرأ عليها الفناء ، ويدلّل على ذلك حياة الشهداء .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[١].

ووقف رسول الله ﷺ في واقعة بدر على القليب وخاطب قتلى المشركين قائلاً :

« يا أَهْلَ القَليبِ ، يا عُتْبَةَ بنَ رَبيعَة ، ويا شَيْبَةَ بنَ رَبيعَة ، ويا أُمَيَّةَ بنَ خَلَف ، ويا أَبا جَهْلِ بنِ هشام ، فعدّد مَن كان منهم في القليب ثمّ قال :

هَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً ، فَإنّي قَدْ وَجَدْتُ ما وَعَدَني رَبّي حَقّاً ؟

---

(١) آل عمران ٣: ١٦٩.

وانبرى المسلمون قائلين : يا رسول الله أتنادي قوماً قد جَيَّفوا [١]!

فقال ﷺ : **ما أَنْتُم بِأَسْمَعَ لِما أَقولُ مِنْهُم ، وَلكِنَّهُمْ لا يَسْتَطيعونَ أَنْ يُجيبوني »** [٢].

وروى الثقة الأمين الأصبغ بن نباتة قال : خرج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من الكوفة حتى انتهى إلى الغريّين فجازه فلحقناه ، فجلس على الأرض فقلت له : يا أمير المؤمنين ، ألا أبسط ثوبي تحتك ؟

فقال له الإمام بلطف : « **لا ، هَلْ هِيَ إِلَّا تُرْبَةُ مُؤْمِنٍ أَوْ مُزاحَمَتُهُ في مَجْلِسِه ؟** »

وبهر الأصبغ وراح يقول : يا أمير المؤمنين ، تربة مؤمن قد عرفناه كانت أو تكون ، فما مزاحمته في مجلسه ؟

فقال عليه السلام : « **يابنَ نُباتَة ، لَوْ كُشِفَ لَكُمْ لَرَأَيْتُمْ أَرْواحَ الْمُؤْمِنينَ في هذا الظَّهْرِ حَلقاً يَتَزاوَرونَ وَيَتَحَدَّثونَ ، إِنَّ في هذا الظَّهْرِ روحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ ، وَبِوادي بَرْهوت نَسمَةَ كُلِّ كافِرٍ** » [٣].

إنّ الأرواح لا تفنى ، وإنّما تفنى وتتلاشى الأبدان .

يقول الشرقي :

وما هذِهِ الْأَبْدانُ مِنْ بَعْدِ نَزْعِها سِوىٰ قَفَصٍ خالٍ وَقَدْ أُفلِتَ الشّادي

وعلى أي حال فلنعد إلى عرض بعض الأدلّة على مشروعية زيارة القبور ، وهي :

---

(١) جيفوا : أي صاروا جيفاً.

(٢) السيرة النبوية / ابن هشام : ٢٩٢/٢.

(٣) بحار الأنوار : ٢٤٣/٦ ، الطبعة الجديدة.

زيارة النبيّ ﷺ للقبور

تظافرت الأخبار عن النبيّ ﷺ زيارته للقبور، وهو آية على مشروعيّتها ولو كانت غير مشروعة لما جاز له ذلك، وهذه كوكبة من الروايات:

١ ـ روت عائشة قالت:

«كان رسول الله ﷺ كلّما كان من ليلتها يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول:

«السَّلامُ عَلَيْكُم دارَ قَوْمٍ مُؤْمِنين، وَأَتاكُمْ ما توعَدون غداً مُؤَجّلون، وَإِنّا إِنْ شاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُون، اللّهُمَّ اغْفِرْ لأَهْلِ بَقيعِ الْغَرْقَد»[1].

٢ ـ روت عائشة في حديث لها:

«إنّ جبرئيل ؑ قال لرسول الله ﷺ: إنّ ربّك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم.

فقال ﷺ: **كَيْفَ أَقُولُ لَهم؟**

فقال: قل قولي:

السَّلامُ علَىٰ أَهْلِ الدِّيارِ مِنَ الْمُؤمِنينَ وَالْمُسْلِمينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمين مِنّا وَالْمُسْتَأْخِرينَ، وَإِنّا إِنْ شاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقون»[2].

---

(١) صحيح مسلم: ٧/٤٠ ـ ٤١. المغني: ١/٣٥٧. سنن البيهقي: ٤/٤٩.

(٢) صحيح مسلم: ٧/٤٤.

إنّ زيارة الرسول الأعظم ﷺ لمن دفن في بقيع الغـرقد ، واستغفاره لهـم مـمّا تواترت به الأخبار ، وهو دليل حاسم على مشروعية زيارة القبور ، والقول بخلاف ذلك من الاجتهاد قبال النصّ ، وهو أمر لا تقرّه شريعة الإسلام .

زيارة سيّدة النساء عليها السلام للقبور

وكانت سيّدة نساء العالمين زهراء الرسول عليها السلام تزور قبر عمّها سيّد الشهداء حمزة عليه السلام في كلّ جمعة وتصلّي وتبكي عنده[1].

وبعد ما فجعت بوفاة أبيها خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله كانت تزور مرقده الطاهر، وتأخذ حفنة من ترابه فتشمّه، وتبكي أمرّ البكاء، وتقول بصوت حزين النبرات :

مَاذَا عَلَى مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أَحْمَدٍ ... أَنْ لَا يَشَمَّ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا

قُلْ لِلْمُغَيَّبِ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرىَ ... إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ صَرْخَتِي وَنِدَآئِيَا

صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَآئِبٌ لَوْ أَنَّهَا ... صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ صِرْنَ لَيَالِيَا

قَدْ كُنْتُ ذَاتَ حِمىً بِظِلِّ مُحَمَّدٍ ... لَا أَخْشَ مِنْ ضَيْمٍ وَكَانَ جَمَالِيَا

فَالْيَوْمَ أَخْشَعُ لِلْذَلِيلِ وَأَتَّقِي ... ضَيْمِي وَأَدْفَعُ ظَالِمِي بِرِدَائِيَا

فَإِذَا بَكَتْ قُمْرِيَّةٌ فِي لَيْلِهَا ... شَجَناً عَلَى غُصْنٍ بَكَيْتُ صَبَاحِيَا

فَلَأَجْعَلَنَّ الْحُزْنَ بَعْدَكَ مُونِسِي ... وَلَأَجْعَلَنَّ الدَّمْعَ فِيكَ وِشَاحِيَا[2]

---

(١) مستدرك الحاكم : ٣٧٧/١، وعلّق على رواة الحديث بقوله : «إنّهم جميعاً ثقات».

(٢) مناقب ابن شهرآشوب : ٢٣١/٢.

زيارة الحسين عليه السلام لمقابر الشهداء

وكان سيّد شباب أهل الجنّة وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام يزور مقابر الشهداء بالبقيع ويقول:

نـادَيتُ سكـانَ القُـبورِ فـأُسْكِتوا ... فأَجابَني عَن صَمْتِهِمْ تُربُ الْحصا

قالَت: أتَدري ما صنَعتُ بساكِني ... مَـزَّقْتُ لَحمَهُمُ وخَرَّقتُ الكِسا

وَحَشَوتُ أعْيُنَهُم تُراباً بَعدَ ما ... كانَتْ تَأَذَّى باليَسيرِ مِنَ القَذى

أمّا العِظامُ فَإنّني مَزَّقْتُها ... حَتّى تَبايَنَتِ المَفاصِلُ وَالشَّوى

قَطَّعْتُ ذا مِنْ ذا وفي هذا كَذا ... فتَركتُها رِمَماً يَطوفُ بِها البِلى [1]

إنّ زيارة القبور أمر سائغ ومشروع فقد استندت مشروعيّته إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وإلى العترة الطاهرة وإلى عموم المسلمين وهذا هو المقياس في الحلّية والجواز، ولا مدرك لمن أفتوا بخلاف ذلك.

وعلى أي حال فإنّ الحكم بتكفير المسلمين لزيارتهم قبر الرسول صلى الله عليه وآله، ومراقد أبنائه الطاهرين عليهم السلام وسائر قبور أولياء الله إنّما هو من غرائب الفتوى التي شذّت عن كتاب الله وسنّة رسوله وسيرة المسلمين.

---

(١) البداية والنهاية: ٢٠٨/٨.

زيارة قبر النبيّ ﷺ

من المؤاخذات التي وجّهها الناقدون للشيعة زيارتهم لمراقد أئمّة الهدى ومصابيح الإسلام ، واعتبروا ذلك مروقاً من الدين ، وخروجاً عن الإسلام .. وغالى ابن تيميّة والقصيمي وأتباعهما ، فأفتوا بأنّ السفر وشدّ الرحال حتى إلى قبر رسول الله ﷺ سفر معصية يجب فيه إتمام الصلاة والصوم ويقترف الزائرون إثماً بذلك .

يا للعجب من هذه الأحكام الهزيلة كيف تكون زيارة قبر رسول الله ﷺ معصية ؟ وهو الذي حمل مشعل الفكر والوعي في الأرض ، وحرّر الإنسان من خرافات الجاهلية وأوثانها ؟

وقد نقم على ابن تيميّة العلّامة الشيخ تقي الدين السبكي على فتواه بحرمة زيارة قبر الرسول ﷺ ، قال : إنّ من المعلوم من الدين ، وسير السلف الصالحين التبرّك ببعض الموتى الصالحين ، فكيف بالأنبياء والمرسلين ، ومن ادّعى أنّ قبور الأنبياء وغيرهم من أموات المسلمين ، سواء فقد أتى أمراً عظيماً نقطع ببطلانه وخطئه فيه وفيه حطّ لدرجة النبيّ ﷺ إلى درجة من سواه من المسلمين ، وذلك كفر متيقّن فإنّ من حطّ رتبة النبيّ ﷺ عمّا يجب له فقد كفر[1] .

ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة لعرض بعض الأخبار الواردة في الحثّ على زيارة قبر النبيّ ﷺ ، وما يرتبط بذلك من بحوث .

---

(١) الشفاء : ٢٩٩.

الأحاديث النبوية

وأثرت عن النبيّ ﷺ طائفة من الأخبار في الحثّ على زيـارة مـرقده الطـاهر، وهذه بعضها :

١ ـ قال رسول الله ﷺ : **«مَنْ زارَ قَبْري وَجَبَتْ لَهُ شَفاعَتي»** .

وقد أخرجه أئمّة المذاهب، ودوّن في الصحاح والسنن، وقد ذكر العالم المحقّق الأميني ٤١ راوياً له[١] .

٢ ـ روى عبدالله بن عمر مرفوعاً عن النبيّ ﷺ أنّه قال : **«مَنْ جاءَني زائِراً كانَ حَقّاً عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفيعاً يَوْمَ الْقِيامَةِ»** .

وقد روته الصحاح والسنن، ودوّنه الحفّاظ وقد ذكر العلّامة الأمـيني ١٦ راويـاً له[٢] .

٣ ـ روى عبدالله بن عمر أنّ النبيّ ﷺ قـال : **«مَنْ حَجَّ فَزارَ قَبْري بَعْدَ وَفاتي كانَ كَمَنْ زارَني في حَياتي»** .

أخرجه جمع من الحفّاظ أحصاهم العلّامة الأميني إلى ٢٥[٣] .

٤ ـ روى عبدالله بن عمر عن النبيّ ﷺ أنّه قال : **«مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ وَلَمْ يَزُرْني فَقَدْ جَفاني»** .

رواه جمع من الحفّاظ[٤] ، ودوّنته الصحاح .

---

(١) الغدير : ٥/٩٣ ـ ٩٦.

(٢) الغدير : ٥/٩٧ ـ ٩٨.

(٣) الغدير : ٥/٩٨.

(٤) الغدير : ٥/١٠٠.

٥ ـ عن عمر مرفوعاً أنّ النبيّ ﷺ قال :

« **مَنْ زارَ قَبْري ـ** أَوْ مَنْ زارَني ـ **كُنْتُ لَهُ شَفيعاً أَوْ شَهيداً ، وَمَنْ ماتَ في أَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بَعَثَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في الآمِنينَ يَوْمَ الْقِيامَةِ** » .

أخرجه جمع من الحفّاظ أحصاهم الأميني إلى ١١ (١).

٦ ـ عن حاطب بن أبي بلتعة عن النبيّ ﷺ أنه قال :

« **مَنْ زارَني بَعْدَ مَوْتي فَكَأَنَّما زارَني في حَياتي ، وَمَنْ ماتَ في أَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بُعِثَ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنَ الآمِنين** » .

أخرجته كوكبة من الحفّاظ ودوّنته الصحاح والسنن ، وعلّق عليه الذهبي فقال : إنّ هذا الحديث من أجود أحاديث الباب سنداً (٢).

هذه بعض الروايات ، وقد ذكر المحقّق الأميني ٢٢ رواية ، وأحصى رواتها ، وقد نالت هذه الأخبار الدرجة القطعية من الصحّة ، وبلغت حدّ التواتر وهي حجّة حاسمة على ابن تيميّة والقصيمي وأتباعهم الذين أفتوا بحرمة زيارة قبر النبيّ ﷺ وسائر مراقد العترة الطاهرة .

إنّ زيارة مرقد الرسول ﷺ وزيارة مراقد الأئمّة الطاهرين من أبنائه من أفضل الأعمال التي يتقرّب بها الإنسان المسلم إلى الله تعالى .

زيارة قبر النبيّ ﷺ من أهمّ أماني الصالحين

وكانت زيارة قبر الرسول ﷺ من أهمّ رغبات العلماء والصالحين ومن أغلى أمانيهم ، يقول محمّد بن محمّد الأديب :

---

(١) الغدير : ٥/١٠٠.

(٢) الغدير : ٥/١٠١.

أَحِـنُّ مُشتاقاً ولَولا جوى أملك بي مِنّي لَم أَطْرَبِ
وَكُلّ عامٍ أَتَمَنّى الْمُنى وهُنَّ قَد سَوَّفْنَ بِالْوَعدِ بي
ولَيسَ في القَلبِ سِوىٰ وَقفَةٌ في حَرَمِ المَدْفونِ في يَثرِبِ[1]

وقال بعض الأدباء:

أَتَيتُكَ زائِراً وَوَدَدْتُ أَنّي جَعَلتُ سَوادَ عَيْني أمْتَطيهِ
وَما لي لا أَسيرُ عَلَى الأَماقي إِلىٰ قَبْرٍ رَسُولُ اللهِ فيهِ[2]

ولمّا ورد أبوالفضل الجوهري المدينة، وقرب من بيوتها ترجّل باكياً وأنشد:

وَلَمّا رأَينا رَسمَ مَنْ لَمْ يَدَعْ لَنا فُؤاداً لِعِرفان الرُّسومِ ولا لُبّا
نَزَلْنا عَنِ الأَكْوارِ نَمْشي كَرامةً لِمَنْ بانَ عَنهُ أَنْ نَلمَّ بِهِ رَكْبا

وقد ضمّنها القاضي عيّاض في قصيدته فقال بعدها:

وتِهنا بأَكنافِ الخيامِ تَواجداً نُقبِّلها طوراً ونَرشفُها حُبّا
ونُبدي سُروراً والفُؤادُ بحُبّها تَقطَّعَ والأَكبادُ أَوْرىٰ بها لَهبا
أُقدِّمُ رِجلاً بَعدَ رِجلٍ مَهابَةً وأَسحَبُ خدِّي في مَواطِنِها سَحْبا
وأَسكُبُ دَمعي في مَناهِلِ حُبِّها وأَرسلُ حُبّاً في أَماكِنِها النّجبا[3]

وقال أبوالطيّب أحمد المقدسي:

أَقولُ والدَّمعُ مِنْ عَيْنَيَّ مُنسجِمٌ لَمّا رأَيتُ جِدارَ القَبْرِ يُستلَمُ
والنّاسُ يَغشونَهُ باكٍ ومُنقَطِعٍ مِنَ المَهابَةِ أو داعٍ فَمُلتزَمُ

---

(١) و (٢) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام: ٢/١٠٤.

(٣) الغدير: ٥/١٣١.

فَما تَمالَكْتُ أَنْ ناديتُ مِنْ حرَقٍ ... في الصَّدرِ كادَتْ لَها الأحشاءُ تَضْطَرِمُ
يا خَيرَ مَنْ دُفِنَتْ بالقاعِ أَعْظُمُهُ ... فَطابَ مِنْ طيبِهِنَّ القاعُ والأَكَمُ
نَفسي الفِداءُ بِقَبرٍ أنتَ ساكِنُهُ ... فيهِ العَفافُ وفيهِ الجودُ والكَرَمُ
وفيهِ شمسُ التُّقى والدِّينِ قَد غَرُبَتْ ... مِنْ بَعدِ ما أَشْرقَتْ مِنْ نُورها الظُّلَمُ
حَشا لِوَجهِكَ أَنْ يَبلىٰ وقَد هُدِيَتْ ... في الشَّرقِ والغَربِ مِنْ أنوارِهِ الأُمَمُ
فَإنْ تَمسَّكَ أيدي التُّربِ لامِسَةً ... فَأنتَ بينَ السَّمواتِ العُلىٰ عَلَمُ
لقيتَ ربَّكَ والإسْلامُ صارِمُهُ ... ماضٍ وقَد كانَ بَحرُ الكُفرِ يَلتَطِمُ
فقُمتَ فيهِ مقامَ المُرسَلينَ إلىٰ أَنْ ... عَزَّ فَهوَ عَلَى الأديانِ مُحتَكِمُ
لَئِنْ رأَيْناهُ قَبراً إنَّ باطِنَهُ ... لَرَوضَةٌ مِنْ رِياضِ الخُلدِ تَبْتَسِمُ
طافَتْ بِهِ مِنْ نَواحيهِ مَلائِكَةٌ ... تَغْشاهُ في كُلِّ ما يَومٍ وتَزْدَحِمُ
لو كُنتُ أَبْصَرتُهُ حَيّاً لَقُلتُ لَهُ ... لا تَمشِ إلَّا عَلىٰ خَدّي لكَ القَدَمُ[1]

الدعاء عند مشاهدة المدينة

كان الغزالي إذا وقع بصره على حيطان يثرب دعا بهذا الدعاء:

«اللّهمّ هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النّار وأماناً من العذاب، وسوء الحساب»[2].

وكان بعض الفقهاء إذا شاهد حيطان المدينة صلّى على النبيّ ﷺ، ودعا بهذا الدعاء: «اللّهمّ هذا حرم نبيّك، ومهبط وحيك فامنن عليّ بالدخول فيه، واجعله

(١) الغدير: ١٤٢/٥.

(٢) إحياء العلوم: ٣٤٦/١.

وقايةً لي من النّار وأماناً من العذاب ، واجعلني من الفائزين بشفاعة المصطفى يوم المآب »[١].

التوسّل بضريح النبيّ ﷺ

وجرت عادة المسلمين منذ فجر تاريخهم بالتوسّل إلى الله تعالى بضريح خاتم المرسلين ﷺ في قضاء مهمّاتهم ، والفوز برضاء الله تعالى ، فهو ﷺ أفضل شفيع ، وأعظم واسطة عند الله تعالى ، قال الزرقاني : وليتوسّل به ـ أي بالنبيّ ﷺ ـ ويسأل الله تعالى بجاهه في التوسّل به؛ إذ هو محطّ جبال الأوزار وأثقال الذنوب لأنّ بركة شفاعته ، وعظمها عند ربّه لا يتعظّمها ذنب ومن اعتقد خلاف ذلك فهو المحروم الذي طمس الله بصيرته ، وأضلّ سريرته ، ألم يسمع قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّـهُمْ إِذْ ظَلَموا أَنْفُسَهُمْ جاءوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهِ ﴾[٢].

وكان أحمد بن حنبل يتوسّل بالضريح النبوي المبارك ، ويدعو الله تعالى عنده[٣].

ويقول المؤرّخون : « إنّه أصاب المدينة المنوّرة قحط شديد فشكوا ذلك إلى عائشة ، فقالت لهم : انظروا قبر النبيّ ﷺ فاجعلوا منه كوى إلى السماء مبالغة في الاستشفاع به ﷺ »[٤].

إنّ للرسول الأعظم ﷺ منزلة كبرى عند الله تعالى ، فهو الذي أنقذ عباده من الكفر والضلال ، ولولاه ما عَبَدَ الله عابد ولا وحّده موحّد .

---

(١) الغدير : ١٣١/٥.

(٢) شرح المواهب : ٣١٧/٨.

(٣) الردّ المحكم المتين على كتاب القول المبين : ٢٥٢.

(٤) المصدر المتقدّم : ٢٧٦.

التأدّب عند زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله

وينبغي لمن وفّق لزيارة خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله أن يقف أمام المرقد العظيم بذلّ وخضوع ، فهو أمام سيّد المرسلين الذي هو نفحة من ألطاف الله تعالى ورحمته على عباده ، قال الحافظ أبوالعبّاس القسطلاني : اعلم أنّ زيارة قبره الشريف من أعظم القربات ، وأرجى الطاعات ، والسبيل إلى أعلى الدرجات ، ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الإسلام ، وخالف الله ورسوله ، وجماعة العلماء الأعلام[1] .

قال الإمام محمّد القيرواني المالكي : « وأمّا في زيارة سيّد الأوّلين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه فكلُّ ما ذكر يزيد عليه أضعافه أعني في الانكسار والذلّ والمسكنة ؛ لأنه الشافع المشفّع الذي لا تردّ شفاعته ، ولا يخيب من قصده ، ولا من نزل بساحته ، ولا مَن استعان أو استغاث به ، إذ إنّه عليه الصلاة والسلام قطب دائرة الكمال » .

وأضاف قائلاً :

« فمن توسّل به أو استغاث به أو طلب حوائجه منه فلا يُردّ ، ولا يخيب لما شهدت به المعاينة والآثار ويحتاج إلى الأدب الكلّي في زيارته عليه الصَّلاة والسَّلام ، وقد قال علماؤنا : إنّ الزائر يُشْعِر نفسه بأنّه واقفٌ بين يديه عليه الصلاة والسلام كما هو في حياته؛ إذ لا فرق بين موته وحياته ، أعني في مشاهدته لأُمّته ومعرفته بأحوالهم ونيّاتهم ، وعزائمهم وخواطرهم ، ذلك عنده جليّ لا خفاء فيه » .

وأضاف قائلاً :

« فالتوسّل به عليه الصلاة والسلام هو محل حطّ الأوزار وأثقال الذنوب والخطايا؛ لأنّ بركة شفاعته عليه الصَّلاة والسَّلام ، وعظمها عند ربّه ، لا يتعاظمها ذنبٌ إذ أنّها

---

(١) المواهب اللدنيّة ـ الفصل الثاني (في زيارة قبره الشريف) .

أعظم من الجميع ، فليستبشر من زاره ، وليلجأ إلى الله تعالى بشفاعة نبيّه عليه الصلاة والسلام .

اللّهمّ لا تحرمنا شفاعته بحرمته عندك يا ربّ العالمين ، ومن اعتقد خلاف ذلك فهو المحروم ، ألم يسمع قول الله عزّ وجلّ :

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾[1]»[2].

إنّ كلمات هؤلاء الأعلام حجّة على جواز زيارة المرقد النبوي المعظّم .

رأي ابن تيميّة

من أوهى الآراء ، وأكثرها بُعداً عن الواقع ، ومنافاةً لشريعة الله ، ما أفتى به ابن تيميّة من أنّ التوسّل إلى الله تعالى بنبيّه محمّد ﷺ أو أحد أنبيائه وأوليائه ، وجعلهم واسطة إلى الله تعالى في الشفاعة يوم القيامة أو قضاء بعض مهمات الدنيا ، فإنّه ـ حسب رأيه ـ شرك والحاد[3] .

ما أهون الحكم بالشرك على المسلمين عند ابن تيميّة وأتباعه الذين استهانوا بأحكام الله تعالى في كثير ممّا أفتوا به فقد تمسّكوا ببعض الأخبار الموضوعة التي تزيّفها الأدلّة العلمية .

إنّ الواجب على رجال العلم البحث عن الروايات والنظر فيها ، فقد خلطت بكثير من الموضوعات ، التي وضعها من لا حريجة له في الدين أيام الحكم الأُموي الأسود والحكم العبّاسي ، تقرّباً إلى السلطة الحاكمة ، ومن المؤسف أنّ ابن تيميّة في كثير من

---

(١) النساء ٤: ٦٤.

(٢) المدخل: ١/٢٥٧.

(٣) الجامع الفريد: ٤٢٧.

فتاواه قد اعتمد واستند إلى الأخبار الموضوعة .

وعلى أي حال فقد صرّحت كوكبة من الأخبار التي أثرت عن النبيّ ﷺ وبعض صحابته في مشروعيّة التوسّل إلى الله تعالى بحقّ رسوله ﷺ وهذه بعضها :

١ ـ روى أنس بن مالك عن النبيّ ﷺ في دعائه للسيّدة فاطمة بنت أسد ، قال :

« اللّهمَّ اغْفِرْ لأُمّي فاطِمَةَ بِنْتِ أَسَد ، وَوَسِّعْ عَلَيْها مَدْخَلَها بِحَقِّ نَبِيِّك ، وَالأَنْبِياءِ الَّذينَ مِنْ قَبْلي »[١] .

وحكت هذه الرواية توسّل النبيّ ﷺ إلى الله تعالى بحقّه ، وحقّ الأنبياء الذين من قبله أن يوسّع قبر السيّدة الزكية فاطمة بنت أسد ، وهي حجّة على ابن تيميّة وأتباعه .

٢ ـ روى أبو سعيد الخدري عن النبيّ ﷺ أنّه قال :

« مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الصَّلاةِ وَقالَ : إِنّي أَسْأَلُك بِحَقِّ السّائِلينَ عَلَيْك ، وَأَسْأَلُك بِحَقِّ مَمْشاي هذا إِلَيْك فَإِنّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً وَلا بَطِراً ، وَلا رِياءً وَلا سُمْعَةً خَرَجْتُ اتِّقاءَ سَخَطِك ، وَابْتِغاءَ مَرْضاتِك ، فَأَسْأَلُك أَنْ تُعيذَني مِنَ النّارِ ، وَأَنْ تَغْفِرَ لي ذُنوبي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلّا أَنْتَ ... أَقْبَلَ اللهُ عَلَيْهِ ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ »[٢] .

والرواية صريحة وواضحة في جواز التوسّل إلى الله تعالى ، وتقديم أوليائه شفعاء له ، وهي من الأدلّة الحاسمة التي تنسف أوهام ابن تيميّة .

٣ ـ روى الطبراني أنّ رجلاً كان يختلف على عثمان بن عفان زمن خلافته في حاجة ، ولم يك ينظر إليها فشكا الرجل ذلك إلى عثمان بن حنيف ، فقال : توضّأ ،

---

(١) النفحة الزكية : ٢٠ ـ ٢١ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل : ٣/٢١ . سنن ابن ماجة : ١/٢٥٦ .

ثمّ ائْتِ المسجد فَصَلِّ ، ثمّ قل : اللّهمّ إنّي أسألك ، وأتوجّه إليك بنبيّك محمّد نبيّ الرحمة ... إلخ .

وانطلق الرجل ، وصنع ذلك ثمّ أتى باب عثمان بن عفان فجاء البوّاب ، وأدخله على عثمان ، فأجلسه معه وسأله عن حاجته فقضاها له[١] .

إنّ لرسول الله ﷺ وسائر أوليائه منزلة كريمة عند الله تعالى يستحقّون بها التكريم والتبجيل وأنّ الله تعالى يظهر ذلك لمن استجار بمراقدهم فيقضي مهمّاتهم وحوائجهم ، وقد استبان ذلك ـ بوضوح ـ لمن استجار ولجأ إلى قبور أئمّة الهدى عليهم السلام فإنّه ما لجأ إليهم أحد إلّا قضى الله حاجته ، وقد سمّي الإمام موسى بن جعفر عليه السلام باب الحوائج لأنه ما توسّل به إلى الله أحد إلّا قضى حاجته ، وقد قيل في مرقده أنّه الترياق المجرّب[٢] .

٤ ـ وممّا يدلّ على جواز التوسّل بالنبيّ ﷺ أنّ سوادة بن قارب وفد على النبيّ وأنشده قصيدته التي يقول فيها :

وأَشْــــهَدُ أَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَــــيرُهُ	وَأَنَّكَ مَــأمونٌ عــلىٰ كُــلِّ غـائبِ
وأنَّكَ أَدْنــى الْـمُرْسَلينَ وَسـيلةً	إِلَـى اللهِ يـابنَ الأَكْـرَمينَ الأَطـايبِ
فَمُرنا بـما يَـأتيكَ يـا خَـيرَ مُرْسَلٍ	وإنْ كــانَ مـا فـيهِ شـيب الذَّوائبِ
فكُنْ لي شَفيعاً يـومَ لا ذو شَـفاعَةٍ	يمنعني فتيله عَنْ سوادِ بـنِ قـاربِ

لو كان التوسّل إلى الله تعالى بالنبيّ ﷺ كفراً والحاداً كما يذهب إلى ذلك ابن تيميّة لكان الواجب على النبيّ ﷺ أن ينكر على سوادة ذلك .

---

(١) دلائل النبوّة : ١/١٦٧ ـ ١٦٨ .

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام : ١/٥١ .

٥ ـ روى أنس بن مالك أنّ عمر بن الخطّاب كان إذا استسقى بالعبّاس بن عبدالمطلّب عمّ النبيّ ﷺ يقول: اللّهمّ إنّا كنّا نتوسّل إليك بنبيّنا ﷺ وتسقينا وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبيّك فأسقنا، فيسقون[١].

٦ ـ روى ابن عمر أنّ المسلمين كانوا ينشدون كثيراً قول أبي طالب في حقّ النبيّ ﷺ:

وَأَبيض يُسْتَسْقى الْغَمامُ بوَجْهِهِ ثِمالُ اليَتامى عِصْمةٌ للأَرامِلِ[٢]

فلو كان ذلك غير سائغ لأنكره المسلمون، وعابوا على أبي طالب مقالته.

تقبيل الأضرحة

من أسخف ما نُقِدت به الشيعة تقبيلهم لأضرحة أئمّة الهدى عليهم السلام، وحَكَمَ بعض الجهلة عليهم بالكفر والالحاد، فإنّ التقبيل كفر عندهم وهذا الحكم ينمّ ـ بوضوح ـ عن الجهل والتخلّف العلمي عند قائله فإنّ تقبيل الذهب والفضّة والحديد الموضوعة على الأضرحة ليس تقبيلاً وتعظيماً لها، وإنّما هو تقبيل لما ضمّته من الأجسام الطاهرة التي حملت رسالة الإسلام وجاهدت كأعظم ما يكون الجهاد في سبيل أعلاء كلمة الله تعالى، شأنها شأن تقبيل غلاف المصحف الكريم الذي يضمّ كتاب الله العظيم من دون أي فرق بينهما، ولا أعتقد أنّ أحداً يذهب إلى أنّ تقبيل غلاف المصحف كفر والحاد.

وعلى أيّ حال فإنّ تقبيل الشيعة لأضرحة أئمّتهم إنّما هو ولاء وحبّ لهم، وهي ظاهرة طبيعية عند جميع الناس يقول مجنون ليلى:

---

(١) النفحة الزكية: ٢٢.

(٢) الاستيعاب (المطبوع على هامش الاصابة): ٣/٥٨١.

أمُــرُّ عَلَى الدِّيارِ ديارِ لَيلىٰ | أُقــبِّلُ ذا الجِــدار وذا الجِدارا
وما حُبُّ الدِّيارِ شَغَفْنَ قَلْبي | ولكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيارا

وقد جرت سيرة المسلمين على تقبيل الحجر الأسود تأسّياً بالنبيّ ﷺ الذي كان يقبّله ،كماكان يستلم الركن بمحجنه ويقبّل المحجن[1]، وقد أفتى النووي بذلك في شرحه على صحيح البخاري قال :

ويدلّ على استحباب استلام الحجر ، وأنّه إذا عجز عن استلامه بيده بأن كان راكباً أو غيره استلمه بعصاه ونحوها ثمّ قبّل ما استلم به ، وهذا مذهبنا [2].

وقد روت عائشة أنّ رسول الله ﷺ قبل عثمان بن مظعون وهو ميّت فكأنّي أنظر إلى دموعه تسيل على خدّيه[3].

وعلى أي حال فإنّ تقبيل الأضرحة ليس شركاً بالله ولا مروقاً من الدين ، وهو أمر سائغ لا شبهة فيه .

قال القاضي عياض : « وجديرٌ بالمواطن التي عُمرت بالوحي والتنزيل ، وتردَّد بها جبرئيل وميكائيل ، وعرجت منها الملائكة والروح .. واشتملت تربتها على جسد سيّد البشر وانتشر منها دين الله وسنّة رسوله ﷺ ومناسك الدين ولمس جلد المصطفى ترابها أن تعظَّم عرصاتها ، وتنسَّم نفحاتها وتقبَّل ربوعها وجدرانها .

يـا دارَ خَيرِ المُرْسَلينَ وَمَن بِهِ | هُـدِيَ الأنـامُ وخُـصَّ بـالآياتِ
عِندي لأَجلكِ لَوْعَةٌ وصَبابَةٌ | وَتَشَــوُّقٌ مُـتَوَقِّدُ الجَـمَراتِ
وعَلَيَّ عَهدٌ إنْ مَلأْتُ مَحاجِري | مِـنْ تِلْكُمُ الجُدران والعَرَصاتِ

---

(١) المحجن : عصا شبيهة بالصولجان.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم : ٢٠/١.

(٣) سنن ابن ماجة : ٤٦٨/١. مسند أحمد بن حنبل : ٤٣/٦. سنن الترمذي : ١٣/٣.

لَأُعَفِّرَنَّ مَصونَ شَيْبي بَينَها مِنْ كَثْرَةِ التَّقْبيلِ والرَّشَفاتِ
لولا العَوادي والأعادي زُرتُها أبَداً ولَو سَحْباً عَلَى الْوَجَناتِ»[1]

وعلى أي حال ، فإنّ من المؤكّد أنّ تقبيل الشيعة لأضرحة أئمّة الهدى عليهم السلام إنّما هو تعظيم لتلك الذوات المقدّسة واعتراف بسموّ مكانتها عند الله تعالى ، وتعظيم لشعائر الله ومن يعظّم شعائر الله فإنّها من تقوى القلوب .

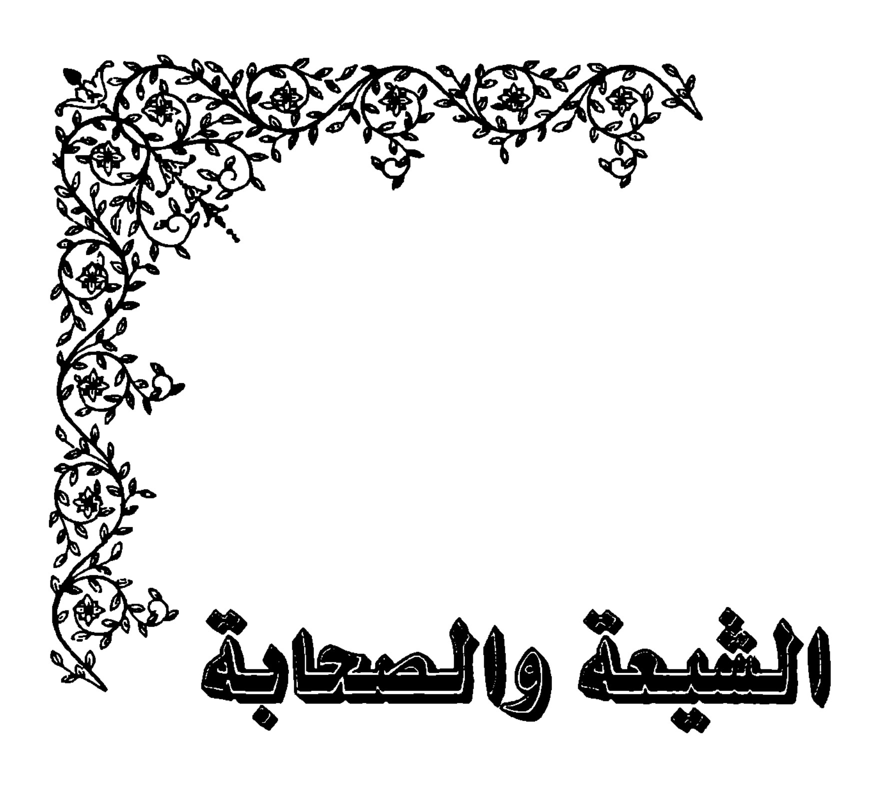
من فوائد زيارة الأئمّة

إنّ زيارة مراقد الأئمّة الطاهرين عليهم السلام حافلة بالفوائد على الزائرين فإنّها تقرّبهم إلى الله زلفى ، وتدعوهم إلى الاقتداء بسيرة أهل البيت عليهم السلام التي هي نفحة من رحمات الله تعالى .

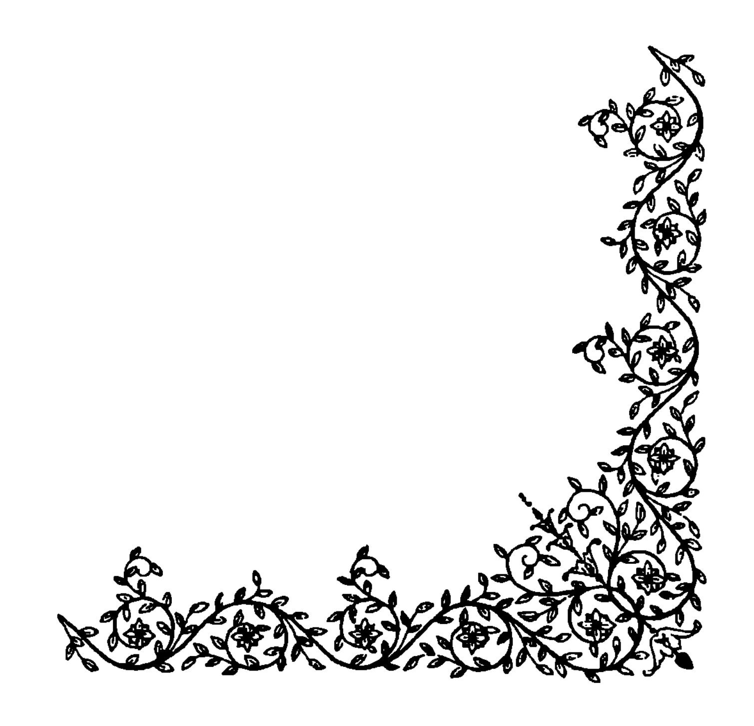
ومن فوائد زيارة العتبات المقدّسة أنّها تدعو إلى ترابط المسلمين وتعارفهم وتآلفهم ،كما هو الحال في الحجّ إلى بيت الله الحرام ، فإنّ من الحكمة في تشريعه هو هذه الجهة ، جمع الله كلمة المسلمين على الخير والهدى ، ووفّقهم إلى الاقتداء بأئمّة أهل البيت عليهم السلام إنّه تعالى وليُّ ذلك والقادر عليه وبهذا البحث الموجز ينتهي بنا الحديث عن زيارة القبور ، وأنّها مشروعة ، ليس في ذلك أدنى مجال للشكّ ، وفتوى ابن تيميّة بحرمة الزيارة لمرقد النبيّ صلى الله عليه وآله وسائر مراقد أولياء الله لا دليل عليها ، وليس لها أي سند أو دليل علمي .

---

(١) نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض : ٣/٤٤١.



الشيعة والصحابة



تقديم



إنّ الذي يعنيني في هذه البحوث أن أتّجه صوب الواقع من غير تكلّف ولا تصنّع ، وأن أوثر الحقّ ، وأعتمد على الدراسة والتحليل ، وأنظر بوعي ودقّة إلى مجريات الأحداث ، وأتجنّب فيما أكتبه في هذه البحوث العاطفة ، والأهواء التي لعبت دوراً خطيراً في تضليل الرأي العامّ ، وصرفه عن الطريق القويم .

إنّي أرسم ـ بأمانة وإخلاص ـ ما تذهب إليه الشيعة في صحابة الرسول ﷺ ، وأدوّن رأيهم ـ بصراحة ووضوح ـ في هذه المسألة الحسّاسة التي أرهقت المسلمين ، وامتحنوا بها كأشدّ وأقسى ما يكون الامتحان ، فهي مصدر الفتنة الكبرى التي مزّقت شملهم ، وأوجدت بينهم العداوة والبغضاء وألقتهم في شرّ عظيم .



وإذا نظرنا إلى التشيّع بإطاره الواقعي ، وأرصدته الروحيّة والفكريّة لوجدناه قائماً على الحقّ والعلم ، لم تشذّ مناهجه عن كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه ﷺ ، ولم تخالف بنوده أي سنّة من سنن الكون ، وجميع تشريعاته تتمشّى مع الطبيعة وتلتقي مع الفطرة ، وتساير العقل ، وتواكب تطوّر الحياة .

إنّ جميع ما قنّن وشرّع عند الشيعة مستمدّ من أهل بيت النبوّة ، ومعدن الرحمة والحكمة ، وعدلاء الذكر الحكيم ، وسفن نجاة هذه الأمّة ، وقد أجمع رأيهم على تعظيم خيار الصحابة ، والإشادة بجهادهم وجهودهم في نصرة الإسلام ، ومناجزة طغاة القرشيّين وجهّالهم .



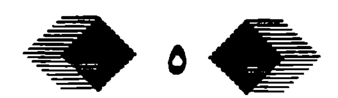
ومن أوّليات مبادئ الشيعة الحبّ في الله ، والبغض في الله ، فهي تقدّس وتوالي كلّ من أخلص لدينه وإسلامه ، والشيعة تبعاً لسيرة أئمّتهم الطاهرين عليهم السلام يكنّون أعمق الودّ وخالص الحبّ لصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله الذين نصروا الإسلام في أيّام محنته وغربته ، ووقفوا إلى جانب الرسول صلى الله عليه وآله يحامون عنه ، ويدافعون عن مبادئه في أحلك الظروف وأشدّها قسوة ، وأعظمها محنة وبلاءً ، وقد هجروا آباءهم وأمّهاتهم ، وتعرّضوا لأعنف التعذيب وأقساه ، وتؤمن الشيعة إيماناً لا يخامره شكّ أنّ لهؤلاء الصحابة الفضل العظيم على كلّ مسلم ومسلمة ، فمودّتهم واجبة ، وبغضهم مروق من الدين .



وتنكّرت طائفة من الصحابة للإسلام ، وشذّت في سلوكها عن مبادئ الدين الحنيف ، وحادت عن الطريق القويم ، فيجب أن نقف منهم موقفاً يتّسم بالكراهة والبغض تنزيهاً للإسلام ، وصيانة لكرامة الرسول صلى الله عليه وآله .

وليس من المنطق في شيء أن نحملهم على الصحّة ، ونلتمس المعاذير لأعمالهم المجافية لروح الإسلام وهديه ، فإنّ في ذلك إهداراً للقيم الكريمة ، وتجميداً لحكومة العقل الذي عنى به الإسلام ، جعله حجّة في استنباطاته ومداركه .. أمّا الذين شذّوا عن الإسلام ونبذوه ، فهم كأبي سفيان زعيم قريش ، وعميد الأسرة الأمويّة ، وكابنه معاوية

ملك الشام ، وصاحب الموبقات والأحداث الجسام في الإسلام ، ونظيره وشريكه في آثامه عمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وأمثالهم من الذين تجرّدوا من كلّ نزعة إسلاميّة ، فكيف نجعلهم من الصحابة ، ونلحقهم بقافلة المؤمنين الأخيار المتحرّجين في دينهم .



أمّا صحبة النبيّ ﷺ فإنّها شرف وفخر لكلّ من حظى بها ، واهتدى بسيرة الرسول ﷺ ، وسار على منهاجه ، واتّبع خطاه ، واقتدى بهديه ، وسار على خطّه حتّى التحق بالرفيق الأعلى .. وليست الصحبة ـ حسب الموازين العلميّة ـ موجبة للعصمة من اقتراف السيّئات والذنوب .. إنّ القول بذلك بعيد كلّ البعد عن المسارات العلميّة ، والمدارك العقليّة ، ومجافٍ لسيرة المنحرفين عن سنّة النبيّ ﷺ وتعاليمه ، وهم الذين أشرنا إليهم ، فقد حظوا بصحبة الرسول ﷺ ، وتشرّفوا بسماع حديثه ، ولم تنفذ أنوار الإسلام إلى أعماق قلوبهم ودخائل نفوسهم ، فكانوا من ألدّ أعدائه وخصومه .



إنّ التاريخ الإسلامي بجميع فصوله ، وما يرتبط به من بحوث قد خلط بكثير من الموضوعات والمفتريات دسّها فيه عملاء السلطة ووعّاظ السلاطين تقرّباً للحكم القائم آنذاك ، فقد أضفوا النعوت الحسنة والألقاب الكريمة على بعض الذوات التي أساءت للإسلام ، وأخلدت للمسلمين المصاب والكوارث ، كما قلّلت من أهمّية بعض الشخصيات التي خدمت الإسلام ، وقدّمت للمسلمين أهمّ الخدمات ..

إنّ التاريخ الإسلامي في أمسّ الحاجة إلى دراسة واعية ومستوعبة وبعيدة عن التيّارات السياسيّة والأهواء والعواطف المذهبيّة ليتعرّف المسلمون على الذوات

الكريمة التي أُخلصت للحقّ ، وقدّمت المزيد مـن التـضحيات فـي سـبيل الإسـلام ، والذبّ عن قيمه وأهدافه ، فـيولوها المـزيد مـن التـعظيم والتـبجيل ، ويـتّخذوا مـن خدماتها للإسلام دروسـاً تـذاع بـين النّـاس ، ويتغذّى بـها أبـناؤنا فـي الجـامعات والمعاهد .



وألقى القرآن الأضواء على صحابة الرسول ﷺ ، فجرّد بعضهم من القيم الإسـلاميّة ، ووصفهم بالنفاق والارتداد ، ومثل ذلك ورد في السنّة النبويّة المقدّسة ، وسنذكر ذلك في البحوث الآتية ، وليس لنا بعد ذلك أن نحكم بأنّ الصحابة أجمعين أكتعين في أعلى مراتب الإيمان واليقين ، فإنّ هذا الحكم مرفوض لتصادمه مع القرآن والسنّة .

إنّ الحكم بعدالة جميع الصحابة ـ كما ذهب إلى ذلك الطحاوي وغيره ـ خالٍ عن التحقيق ، ولا مدرك له سوى تبرير ما وقع من بعض الصـحابة مـن مـخالفات لنـصّ القرآن والسنّة ، وهو أمر لا تقرّه شريعة الإسلام .



ونعود ـ في هذه التقديم ـ للتأكيد على ما ذكرناه من أنّ الحكم بعدالة جميع الصحابة خالٍ عن التحقيق ، ولا سند له من فكر وعلم ، ويتصادم مع واقع الإسلام الذي جعل الإنسـان مسؤولاً في جميع فترات حياته عمّا يعمله من خير أو شرّ ، فإن عمل خيراً فينعم به في دار آخرته ، وإن عمل سوءً فيعذّب به .

قال تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾[1] .

---

(١) النجم ٥٣ : ٣٩ ـ ٤٠.

وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾[1].

ويقول الرسول ﷺ: «لَوْ عَصَيْتُ لَهَوَيْت» لا محاباة لأي أحد في دين الإسلام، ولا شرف إلّا بالتقوى وعمل الخير، فالصحابي وغيره من أبناء الإسلام سواء أمام الله تعالى، وأمام شريعته، فالصحابي المقترف للجريمة أمثال معاوية وسمرة بن جندب وعمرو بن العاص لا تنفعهم صحبة النبيّ ﷺ، ولا تجديهم رؤيته وسماع حديثه، وهم مسؤولون أمام الله تعالى عمّا اقترفوه من الأحداث الجسام، هذا هو رأي الشيعة في الصحابة بوضوح، وهو حكم عادل لا يشذّ عن كتاب الله وسنّة نبيّه.



وليس في عرض هذه البحوث دعوة إلى التفرقة والاختلاف بين المسلمين، وإنّما هي بحوث علميّة صرفة مستمدّة من صميم الإسلام وواقعه، توحّد ولا تفرّق، وتجمع ولا تشتّت، وتعنى بإبراز القيم الأصيلة في الإسلام التي حجبها عن النّاس الحكم الأموي والعبّاسي.

إنّ البحوث الإسلاميّة فيما يتعلّق بالصحابة، وما جرى في العصر الإسلامي الأوّل من أحداث وشؤون يجب أن تسلّط عليها الأضواء، وأن تكون نزيهة وخاضعة للدراسة الحيّة التي تعتمد على العمق والتحليل وعلى الميول والأهواء وفي ذلك خدمة للإسلام لا تقدّر ولا تثمّن.

إنّ النّاس في حاجة للوقوف على التاريخ الواقعي للإسلام، ومعرفة عمالقته وأمجاده الذين خدموا الفكر، وأخلصوا للحقّ، وناجزوا الظلم، وفي طليعة هؤلاء

---

(١) الزلزلة ٩٩: ٧ و ٨.

المجاهدين أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين رفعوا راية الإسلام ، وقاوموا الظلم ، وتعرّضوا لنقمة ملوك عصورهم وسخطهم ، فحصدوا رؤوس بعضهم وحملوها على الرماح ، يطاف بها في الأقطار والأمصار وهي تضيء للنّاس معالم الكرامة والشرف والحريّة ، كما أخلدوا بعضهم في السجون ، واغتالوهم بالسمّ ، فقضوا سلام الله عليهم ما بين مقتول ومسموم ، فهؤلاء هم أعلام الإسلام الذين يجب الاقتداء بهم ، وإذاعة مآثرهم بين النّاس .



وفي نهاية هذا التقديم أدعو الله تعالى أن يوحّد كلمة المسلمين ، ويعيد لهم ماضيهم الزاهر ، وينقذهم من المحنة الكبرى التي ألمّت بهم ، وهي إسرائيل وعبيدها وخدمها الأمريكان الذين يكيدون للإسلام وللمسلمين في وضح النهار وغلس الليل ، ويدبّرون لهم المؤامرات التي تجعلهم تحت مناطق نفوذهم ليكونوا بأقصى مكان من الذلّ والهوان ، ويشيعوا فيهم الجهل والبؤس والحرمان ، فعلى دعاة الإسلام وحماته أن يعملوا جاهدين لتحذير المسلمين من الكيان الصهيوني وحماته ، ويشيعوا فيهم الأخطار المحدقة بهم .

إنّه تعالى وليّ المخلصين من عباده ، وهو وليّ التوفيق.

مكتبة الإمام الحسن العامة	باقر شريف القرشي
النجف الأشرف	جمادى الأولى /١٤١٧هـ

المعنى الدلالي للصحابة

وقبل الحديث عن الصحابة وما قيل في شؤونهم من آراء نعرض إلى المعنى الدلالي لهذه الكلمة، وفيما يلي ذلك:

في اللغة

وأفادت معاجم اللغة ومفرداتها أنّ الصحابة جمع صاحب، ولم يجمع فاعل على فاعله إلّا هذا[1].

والصاحب: المعاشر، وجمعه أصحاب وصِحاب وصَحابة وصِحابة[2].

ويطلق الصاحب مجازاً على من تمذهب بمذهب أحد الأئمّة. يقال: أصحاب الشافعي، وأصحاب مالك[3]، وأصحاب الإمام الأعظم جعفر الصادق عليه السلام، والصاحب من ألقاب الوزراء، وهو مختصّ بأرباب الأقلام، وأوّل من تلقّب به الصاحب إسماعيل بن عبّاد[4]، كما أنّه من ألقاب المصلح الأعظم الإمام محمّد المهدي عليه السلام، فيقال: الصاحب، وصاحب الناحية، وصاحب الزمان[5]، ويطلق

---

(١) لسان العرب: ٥١٩/١. معجم متن اللغة: ٤٢٢/٣. مجمع البحرين: ٩٨/٢.

(٢) معجم متن اللغة: ٤٢٢/٣.

(٣) المصدر المتقدّم.

(٤) معجم متن اللغة: ٤٢٢/٣.

(٥) مجمع البحرين: ٩٨/٢.

أيضاً على الذوات التالية:

١ ـ صاحب موسى، ويراد به يوشع بن نون.

٢ ـ صاحب سليمان، ويراد به آصف، ويقال: إنّه وزيره.

٣ ـ صاحب يس، وهو حبيب بن إسرائيل النجّار، وكان ينحت الأصنام[1].

وعلى أي حال، فالصاحب في اللغة هو المعاشر للشخص، والملازم له.

في القرآن الكريم

أصحاب: وردت كلمة الصاحب وجمعه ومشتقّاته في القرآن الكريم بمعانٍ متعدّدة، نشير إلى بعضها لما في ذلك من الفائدة:

الأصحاب: وردت كلمة الأصحاب في قوله تعالى:

١ ـ **﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾**[2].

٢ ـ **﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾**[3].

٣ ـ **﴿ أُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾**[4].

وحوى القرآن الكريم هذه الكلمة في ٨٣ آية.

صاحبة: أمّا الصاحبة، فهي تأنيث الصاحب، وهي بمعنى الزوجة.

قال تعالى:

---

(١) مجمع البحرين: ٢/٩٧.

(٢) الفيل ١٠٥: ١.

(٣) يس ٣٦: ٥٥.

(٤) الأحقاف ٤٦: ١٤.

١ ـ ﴿ مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً ﴾[١].

٢ ـ ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَهُ صَاحِبَةٌ ﴾[٢].

الصاحب: وردت كلمة الصاحب في قوله تعالى:

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾[٣].

صاحبه: وجاء في الذِّكر الحكيم هذا اللفظ. قال تعالى:

١ ـ ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾[٤].

٢ ـ ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾[٥].

٣ ـ ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً ﴾[٦].

صاحبهما: ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾[٧].

صاحبي: جاء هذا اللفظ في موردين:

١ ـ ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾[٨]

٢ ـ ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ

---

(١) الجنّ ٧٢: ٣.

(٢) الأنعام ٦: ١٠١.

(٣) القلم ٦٨: ٤٨.

(٤) التوبة ٩: ٤٠.

(٥) الكهف ١٨: ٣٧.

(٦) الكهف ١٨: ٣٤.

(٧) لقمان ٣١: ١٥.

(٨) يوسف ١٢: ٣٩.

فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ ﴾[١]

صاحبكم: وحفل القرآن الكريم بهذه الكلمة. قال تعالى:

١ - ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾[٢].

٢ - ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾[٣].

٣ - ﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم ﴾[٤].

صاحبهم: تردّدت هذه الكلمة في القرآن المجيد في:

١ - ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[٥].

٢ - ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴾[٦].

يصحبون: وردت هذه الكلمة في قوله تعالى:

﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾[٧]، والمراد من ﴿ يُصْحَبُونَ ﴾ يجارون؛ لأنّ المجير صاحب لجاره[٨].

تصاحبني: حوى القرآن الحكيم هذه الكلمة في قوله تعالى:

---

(١) يوسف ١٢: ٤١.

(٢) النجم ٥٣: ٢.

(٣) التكوير ٨١: ٢٢.

(٤) سبأ ٣٤: ٤٦.

(٥) الأعراف ٧: ١٨٤.

(٦) القمر ٥٤: ٢٩.

(٧) الأنبياء ٢١: ٤٣.

(٨) مجمع البحرين: ٢/٩٦.

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْراً﴾[١].

في الحديث

ووردت في الصحابة وما اشتقّ من هذا اللفظ جمهرة كبيرة جدّاً من الأحاديث ذكرت في معاجم الحديث ومفرداته ، ولسنا بصدد البحث عن هذه المادة وما اشتقّ منها ، وما يرتبط بها من بحوث ، وإنّما ذكرنا ذلك استطراداً كما يقول علماء الأُصول .

---

(١) الكهف ١٨ : ٧٦.

أقوال وآراء في تعريف الصحابة وعدالتهم

أمّا لفظ الصحابة فهو عامّ يطلق على كلّ جماعة تعاشرت وتآلفت فيما بينها على خير، أو شرّ، إلّا أنّه نقل عن هذا المعنى، وصار علماً لصحابة الرسول ﷺ، والذي يهمّنا البحث ـ بأمانة وإخلاص ـ عمّا قيل في تعريف الصحابة وعدالتهم، وهل أنّ ذلك يتّفق مع الفكر الإسلامي والقواعد العلميّة التي يعرف بها الصحيح من السقيم، أو يشذّ عن ذلك، ونعرض إلى ما طرح على هذه الساحة مع بيان ما يواجهها من مؤاخذات وانتقادات علميّة بعيدة عن التحيّز والتعصّب، وفيما يلي ذلك:

تعريف الصحابة

أمّا تعريف الصحابة، فقد قيل فيه وجوه كان من أبرزها ما يلي:

أوّلاً: إنّ الصحابة تطلق على كلّ من ثبت أنّه رأى النبيّ ﷺ ولو مرّة، ومن لم يره لا يسمّى صحابيّاً، ولو أسلم في زمنه، بل يسمّى تابعيّاً؛ لأنّه رأى الصحابة[1].

أمّا هذا التعريف فهو لا يحمل أي طابع من التحقيق، وهو من الضحالة بمكان، ويواجهه من المؤاخذات ما يلي:

١ ـ دخول الأطفال والكفّار ممّن رأوا النبيّ ﷺ في اطار التعريف مع القطع بخروجهم عنه.

٢ ـ خروج بعض الصحابة الذين فقدوا بصرهم ـ كابن مكتوم ـ عن التعريف؛ لأنّهم

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين: ٥/٤٤٠.

لم يروا النبيّ ﷺ مع أنّه لا إشكال في دخولهم فيه وشمول الصحابة، وهذا التعريف كما يقول علماء الفقه غير جامع وغير مانع.

٣ ـ شمول التعريف للمنافقين؛ لأنهم رأوا النبيّ ﷺ، مع أنّهم من ألدّ أعداء الإسلام وخصومه، وقد نزلت فيهم سورة المنافقون، وسنعرض لهم لاحقاً.

ثانياً: ما ذكره ابن حجر في تعريف الصحابة، قال: «الصحابي من لقى النبيّ ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام»[١].

وهذا التعريف أوثق من التعريف السابق، ويندرج في هذا التعريف من ارتدّ ثمّ عاد إلى الإسلام كشبث بن ربعي الذي أسلم، وتزوّج شقيقة أبي بكر، ثمّ ارتدّ وصار مؤذّناً لمسيلمة الكذّاب أو لسجاح، ثمّ عاد إلى الإسلام، واشترك مع جيش ابن زياد لمحاربة سبط رسول الله ﷺ الإمام الحسين عليه السلام.

كما يخرج عن هذا التعريف من ارتدّ عن الإسلام كعبيدالله بن جحش، فإنّه أسلم وهاجر إلى الحبشة، ثمّ تنصّر ومات على نصرانيّته، وأمثاله، فإنّهم يخرجون عن هذا التعريف الذي من جملة قيوده الموت على دين الإسلام حتّى يكون صحابيّاً.

وهذا التعريف قد اختاره أحمد بن حنبل والبخاري، ومن اتّبعهما.

ثالثاً: إنّه يعتبر في انطباق عنوان الصحابي أن تتوفّر فيه هذه الأمور، وهي:

١ ـ أن تطول صحبته للنبيّ ﷺ.

٢ ـ أن تحفظ روايته عن النبيّ ﷺ.

٣ ـ أن يكون قد غزا مع النبيّ ﷺ، واشترك في إحدى غزواته.

٤ ـ أن يكون قد استشهد بين يديه[٢].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة: ١/١٠.

(٢) نظرية عدالة الصحابة: ١٥.

وهذا القول شاذّ، لم يذهب إليه أحد من المحقّقين، وأرجح الأقوال ما ذكـره ابن حجر.

عدالة الصحابة

وتباينت آراء العلماء والباحثين، واختلفت كأشدّ ما يكون الاختلاف في عدالة جميع الصحابة، وعدم عدالتهم، فذهب جمهور أهل السنّة إلى عـدالتـهم بـقول مطلق، وذهب علماء الشيعة إلى عدالة بعضهم، وعدم عدالة البعض الآخر منهم، ونعرض لهذين الرأيين مع ما يرتبط بهما من بحوث.

رأي أهل السنّة

وحكم أهل السنّة حكماً قاطعاً لا شكّ فيه بعدالة جميع الصحابة واعـتبروا أنّ المساس بهم مساس بالدين، وبغضهم ونقدهم مروق عن الدين.

كلمات الأعلام

وأدلى جمهور من كبار العلماء بعدالة جميع الصحابة، وأنّ جرح أي أحد منهم تمرّد على الإسلام، وطعن في مقدّساته، ويجب الغضّ عمّا اقـترفه بـعضهم مـن السيّئات، وهذه بعض كلماتهم:

ابن حجر

ذهب ابن حجر العسقلاني الشافعي إلى عدالة جميع الصحابة، ويجب الاعتقاد بنزاهتهم لأنه قد ثبت أنّ الجميع من أهل الجنّة، وأنّه لا يدخل أحد منهم النّار[١].

وعلّق المحامي أحمد حسين يعقوب على كلام ابن حجر بقوله:

---

(١) الإصابة: ١/٩.

«عدالة الصحابة فيما تعنيه أنّ كلّ من عاصر الرسول أو ولد في عصره لا يجوز عليه الكذب والتزوير، ولا يجوز تجريحه، ولو قتل آلافاً وفعل المنكرات، وعلى أساس ذلك فجميع الطبقة الأولى من الأمويّين كأبي سفيان وأولاده، وجميع المروانيّين بما فيهم طريد رسول الله وأولاده، والمغيرة بن أبي شعبة وولده الذي كان في حدود العاشرة من عمره حين وفاة النبيّ ﷺ، ومع ذلك نسبوا مجموعة من الأحاديث كتبها على النبيّ ﷺ في صحيفة يسمّونها الصادقة، فجميع هؤلاء من العدول، ومرويّاتهم من نوع الصحاح، ولو كانت في تجريح عليّ وأهل البيت، وفي التقريظ والتقديس لعبدالرحمن بن ملجم.

هذه الروايات يجوز قبولها ولا يجوز ردّها؛ لأنّ رواتها من العدول، والعادل لا يتعمّد الكذب، والذين اتّبعوا معاوية وسايروه طيلة ثلاثين عاماً من حكمه هؤلاء كلّهم على الحقّ والهدى، وحتّى الذين سمّوا الحسن بن عليّ وقتلوا الحسين وأصحابه، وفعلوا ما فعلوا من الجرائم في الكوفة وغيرها كانوا محقّين، ومن المهتدين بحجّة أنّ النبيّ ﷺ قال بزعمهم: أصحابي كالنجوم، بأيّهم اقتديتم اهتديتم، وهذا الحديث ضعّفه أئمّة أهل الحديث فلا حجّة فيه، وطعن فيه ابن تيميّة»[١].

الذهبي

وذهب الذهبي إلى عدالة جميع الصحابة، وحملهم على الصحّة، وتبرير ماصدر من بعضهم من مخالفات لا تتّفق مع أحكام الإسلام وتعاليمه، قال: «وأمّا الصحابة فبساطهم مطويّ، وإن جرى ما جرى، وإن غلطوا كما غلط غيرهم من الثقات!! فما يكاد يسلم أحد من الغلط، ولكنّه غلط نادر لا يضرّ أبداً؛ إذ على عدالتهم،

---

(١) نظرية عدالة الصحابة: ٢٠.

وقبول ما نقلوا ـ العمل وبه ندين الله تعالى . وأمّا التابعون فيكاد فيهم ـ من يكذب عمداً ، ولكن لهم غلط وأوهام .. وأمّا أصحاب التابعين كمالك والأوزاعي ، وهذا الضرب ، فعلى المراتب المذكورة ووجد في عصرهم من يتعمّد الكذب أو من كثر غلطه ، فترك حديثه هذا مالك ، وهو النجم الهادي بين الأُمّة ، وما سلم من الكلام فيه ، وكذا الأوزاعي ثقة حجّة ، وربّما انفرد ووهم ، وحديثه عن الزهري فيه شيء . . . الخ »[١] .

وحديث الذهبي حافل بالتقديس التامّ للصحابة والتابعين ، وتابعي التابعين وهو خالٍ من التحقيق ، لا سند له ولا دليل وثيق يعتمد عليه سوى بعض الأدلّة التي هي أجنبيّة عمّا ذكره ، وسوف نعرض لها في البحوث الآتية .

الطحاوي

وآمن الطحاوي بعدالة جميع الصحابة ، وأنّ من صلب العقيدة تقديسهم وتبجيلهم ، قال : « ونحن أصحاب الرسول ﷺ ، ولا نفرّط في حبّ أحد منهم ، ولا نتبرّأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم إلّا بخير ، وحبّهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان »[٢] .

وأيّد صدر الدين الحنفي مقالة الطحاوي فقال : « يشير الشيخ ـ يعني الطحاوي ـ إلى الردّ على الروافض والنواصب ، وقد أثنى الله على الصحابة هو ورسوله ورضي عنهم ، ووعدهم الحسنى ، فمن أضلّ ممّن يكون في قلبه حقد على خيار المؤمنين ، وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيّين »[٣] .

---

(١) الرواة الثقات : س٣ ـ ٢١ .

(٢) العقيدة الواسطيّة / ابن تيميّة .

(٣) الخدعة رحلتي من السنّة إلى الشيعة نقل عن شرح الطحاوي .

أحمد بن حنبل

وذهب أحمد بن حنبل إلى وجوب الإمساك من التعرّض للصحابة ، وحملهم على الصحّة ، قال : « لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم ، ولا يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص ، فمن فعل ذلك أُدّب ، فإن تاب وإلّا جُلد في الحبس حتّى يموت أو يرجع »[(١)].

هذه بعض الأقوال التي قيلت في عدالة الصحابة ، وكلّها مجمعة على أنّهم في أعلى مراتب العدالة ، وأنّهم معصومون من الخطأ ، والعمد في اقتراف أي جريمة ، وقد علّق الكاتب المصري صلاح على ذلك بقوله :

« إنّ من الاستحالة أن يكون مجتمع الرسول ﷺ مجتمعاً ملائكيّاً ، أو مجتمع أي رسول ، فالرُّسل ليس دورهم أن يحوّلوا النّاس إلى ملائكة ، إنّما دورهم ينحصر في التبليغ والتبيين ، والنّاس أحرار في قبول دعوتهم أو رفضهم ، حتّى الملتزمون بهذه الدعوة هم درجات من الإيمان بها والالتزام بأحكامها .

لقد كان الهدف من فكرة العدالة هدفاً سياسيّاً؛ إذ لو كانت العدالة منحصرة في فئة محدودة ممّن عاصر الرسول لما أمكن لأحد أن يروي عن الرسول إلّا هذه الفتنة ، ولما أمكن اختراع هذا الكمّ الهائل من الروايات المنسوبة للرسول ، والتي اعتمد عليها الحكّام في تدعيم سلطانهم ، واعتمد عليها الفقهاء في دعم أُطروحتهم ، وإلزام الأمّة بالسير على نهجهم .

كان الهدف من فكرة العدالة هو إدخال هذا الكمّ من الرجال المشبوهين في دائرة الثقة والإيمان حتّى يمكن للأمّة أن تتلقّى منهم دون حرج الهدف هو مساواة معاوية

---

(١) كتاب السنّة، وعقيدة أهل السنّة .

بالإمام عليّ ، وبالتالي تضيع الحقيقة ، وتسير الأُمّة وراء معاوية ، وهو ما حدث بالفعل .

وقد تحقّق لهم أنّ نشأة أجيال التابعين ، وتابعي التابعين ، ومن بعدهم على الاعتقاد بعدالة جميع الصحابة ، ومنهم معاوية الذي استسلمت الأُمّة لخطّه ، وباركه فقهاء الخديعة ، وأهمل تماماً خطّ الإمام عليّ ودخل دائرة النسيان .

وحتّى أنّ سبّ معاوية الإمام عليّاً على المنابر ، وهو ما يخالف اعتقاد القوم الذين يحكمون على سابّ الصحابة تارة بالكفر ، وتارة بالجلد والحبس ، وتارة بالقتل ، لم يدفعهم هذا إلى نبذه ومقاطعته ، وهذا الأمر إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على التواطؤ والانحياز لبني أُميّة .

لم يكن الهدف من فكرة العدالة هو الحفاظ على الدين ، وإنّما كان الهدف ضرب أصحاب العدالة الحقيقيّين والتغطية عليهم .

ونظراً لكون الأُمّة سارت في خطّ بني أُميّة وبني العبّاس فهي قد تلقّت ديناً من أُولئك الذين أُدخلوا في دائرة العدالة ، وليسوا من أصحاب العدالة الحقيقيّين ، ولولا فكرة العدالة وتعريف الصحبة الذي ساد الأُمّة ما كان هناك وجود لبني أُميّة ولبني العبّاس ، وماكان اختفى منهج آل البيت منهج الإمام عليّ ، وعزل عن الواقع ، فالأمر في حقيقته ليس إلّا مؤامرة على الدين صنعها الحكّام ، واعتمدوا فيها على صحابة زائفين ، ثمّ باركها الفقهاء وغابت الحقيقة عن الأجيال المسلمة اللاحقة »[١] .

ويأخذ الأُستاذ صلاح بالاستدلال على ما ذهب إليه من أنّ فكرة عدالة جميع الصحابة فكرة سياسيّة محضة لا علاقة لها بالدين ، والغرض منها إلقاء الستار على جرائم معاوية وأمثاله من رؤوس المنافقين والسكوت عمّا اقترفوه من الأحداث

---

(١) الخدعة .

الجسام ، والتي كان منها الطعن في شخصيّة الرسول ﷺ ، ونسبة الهجر إليه ، وهو في اللحظات الأخيرة من حياته ، حينما حاول أن يكتب لأُمّته كتاباً لا تضلّ بعده أبداً ، فصدّوه عنه .

لقد انتخب الرسول الأعظم ﷺ لقيادة أُمّته أفضل شخصيّة في عترته ممّن وعى الإسلام ، والتزم بحرفيّته ، وهو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فقامت قيامة بعض الصحابة ، وراح يقول : « لا تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد » ، وبالفعل فقد فصلت الخلافة عن أهل البيت عليهم السلام وعوملوا معاملة قاسية كان من جرّائها أن آلت الخلافة لبني أُميّة ، وإذا بهم يمعنون في إبادة العترة الطاهرة ، وسبّها على منابر المسلمين ، وقد عمد الأمويّون إلى إبادة شيعتهم وحرمانهم من جميع الحقوق الطبيعيّة .

وعلى أي حال ، فما أفاده الأُستاذ صلاح وثيق للغاية ، والوثائق السياسيّة والتاريخيّة تدعم ما ذكره وتؤيّد مقالته .

آراء

ذهب فريق من الأعلام إلى التوقّف في الحكم بعدالة جميع الصحابة ، فلم يؤيّدوا عدالتهم بقول مطلق ، ولم ينفوها كذلك ، ولم يبدوا رأيهم في المسألة ، وإنّما حكوا الآراء فيها ، وهذه بعض كلماتهم :

الآمدي

قال الآمدي : « اتّفق الجمهور على عدالة الصحابة ، وقال قوم : إنّ حكمهم في العدالة حكم من بعدهم في لزوم البحث عن عدالتهم في الرواية .

ومنهم من قال : إنّهم لم يزالوا عدولاً إلى حين ما وقع الاختلاف والفتن فيما بينهم ، وبعد ذلك فلا بدّ من البحث في العدالة عن الراوي أو الشاهد منهم إذا

لم يكن ظاهر العدالة .

ومنهم من قال : إن كلّ من قاتل عليّاً عالماً منهم فهو فاسق مردود الرواية ، والشهادة على الإمام الحقّ .

ومنهم من قال : بردّ رواية الكلّ وشهادتهم؛ لأنّ أحد الفريقين فاسق وهو غير معلوم ولا معيّن »[١] .

ولم يبد الآمدي رأيه في المسألة ، وإنّما حكى الأقوال فيها ولم يرجّح بعضها على بعض .

الغزالي

قال الغزالي : « وزعم قوم أنّ حالهم ـ أي الصحابة ـ كحال غيرهم في لزوم البحث ، وقال قوم : حالهم العدالة في بداية الأمر إلى ظهور الحرب والخصومات ، ثمّ تغيّرت الحال ، وسفكت الدماء فلا بدّ من البحث ، وممّا يتّكي عليه من يعتقدون عدالة جميع الصحابة ، قولهم : إنّ رسول الله ﷺ قال : أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم ، وفي رواية : « فأيّهم أخذتم » ، ولكنّ هذا الحديث غير صحيح ، بل قالوا : إنّه موضوع »[٢] .

والغزالي كالأمدي متوقّف في الحكم بعدالة جميع الصحابة ، وإنّما اقتصر على نقل الأقوال من دون ترجيح لبعضها على بعض .

طه حسين

وفنّد الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي آراء الذين ذهبوا إلى أنّ أكثر

---

(١) الأحكام : ٢/١٢٨ .

(٢) المستصفى .

الأحداث التي وقعت في أيّام عثمان زعيم الأُسرة الأمويّة مفتعل ومكذوب ، وإنّما تكلّفها المتكلّفون ، أرادوا بذلك الكيد للإسلام ، والنيل من صحابة الرسول ﷺ ، قال : « وأكثر الذين يذهبون هذا المذهب ـ أي افتعال الأحداث ـ إنّما يدفعون إليه لأنهم يقدّسون ذلك العصر من عصور الإسلام ، ويكرهون أن يحملوا على أصحاب النبيّ ما يحمل عادة على الذين يستقبلون أُمور الدنيا بما في نفوسهم من استعداد للمنافسة ، واصطراع حول أعراض وأغراض لا تلائم قوماً صحبوا رسول الله ﷺ ، وأبلوا في سبيل الله أحسن البلاء ، وأسّسوا الدولة بما أنفقوا في ذلك من دمائهم وأموالهم وجهودهم ، فهم يخطئون ويصيبون ، ولكنّهم يجتهدون دائماً ، ويسرعون إلى الخير دائماً ، فلا يمكن أن يتورّطوا في الكبائر ، ولا أن يحدثوا إلّا هذه الصغائر التي يغفرها الله للمحسنين من عباده ، وقليل من الذين يرون هذا الرأي ، ويذهبون هذا المذهب ، يدفعون إلى ذلك بحكم الكسل العقلي الذي يمنعهم من البحث والدرس والاستقصاء.

وقوم آخر يريحون أنفسهم نوعاً آخر من الاراحة فيستبعدون أن تقع هذه الأحداث والفتن من أصحاب النبيّ ﷺ ويرون أنّها مؤامرات دبّرها الكائدون للإسلام كعبدالله بن سبأ ، ومن لفّ لفّه من أهل الكتاب وغير أهل الكتاب.

وواضح جدّاً أنّنا لا نستطيع أن نؤيّد هذا المذاهب أو ذاك ، فنحن لا نحب الكسل ، ولا نطمئنّ إلى الراحة ، ولا نغلوا في تقديس النّاس إلى هذا الحدّ البعيد ، ولا نرى في أصحاب النبيّ ما لم يكونوا يرون في أنفسهم ، فهم كانوا يرون أنّهم بشر يتعرّضون لما يتعرّض له غيرهم من الخطايا والآثام ، وهم تقاذفوا التهم الخطيرة ، وكان منهم فريق تراموا بالكفر والفسوق.

فقد روي أنّ عمّار بن ياسر كان يكفّر عثمان ويستحلّ دمه ، ويسمّيه نعثل ، وروي أنّ ابن مسعود كان يستحلّ دم عثمان أيّام كان في الكوفة ، وهو كان يخطب النّاس

فيقول: إنّ شرّ الأُمور محدثاتها، وكلّ محدث بدعة، وكلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النّار، يعرّض في ذلك بعثمان وعامله الوليد.. وروي أنّ عبدالرحمن بن عوف قال لبعض أصحابه في المرض الذي مات فيه: عاجلوه قبل أن يطغى ملكه، والذين ناصروا عثمان من أصحاب النبيّ ﷺ كانوا يرون أنّ خصومهم قد خرجوا على الدين، وخالفوا عن أمره، وهم جميعاً قد استحلّوا أن يقاتل بعضهم بعضاً، وقاتل بعضهم بعضاً يوم الجمل ويوم صفّين إلّا ماكان من سعد وأصحابه القليلين، وإذا دفع أصحاب النبيّ أنفسهم إلى هذا الخلاف، وتراموا بالكبائر وقاتل بعضهم بعضاً في سبيل الله[١].

فما ينبغي أن يكون رأينا فيهم أحسن من رأيهم في أنفسهم، وما ينبغي أن نذهب مذهب الذين يكذّبون أكثر الأخبار التي نقلت إلينا، ماكان بينهم من فتنة واختلاف، فنحن إن فعلنا ذلك لم نزد عن أن نكذّب التاريخ الإسلامي كلّه منذ بعث النبيّ؛ لأنّ الذين رووا أخبار هذه الفتن هم أنفسهم الذين رووا أخبار الفتح وأخبار المغازي وسيرة النبيّ والخلفاء، فما ينبغي أن نصدّقهم حين يروون ما يروقنا، وأن نكذّبهم حين يروون ما لا يعجبنا، وما ينبغي أن نصدّق بعض التاريخ ونكذّب بعضه الآخر لا لشيء إلّا لأنّ بعضه يرضينا، وبعضه يؤذينا، وما ينبغي كذلك أن نصدّق كلّ ما يروى أو نكذّب كلّ ما يروى، وإنّما الرواة أنفسهم ناس من النّاس يجوز عليهم الخطأ والصواب، ويجوز عليهم الصدق والكذب، والقدماء أنفسهم قد عرفوا ذلك، وتهيّئوا له، ووضعوا له قواعد التعديل والتجريح والتصديق والتكذيب، وترجيح ما يمكن ترجيحه، وإسقاط ما يمكن إسقاطه، والشكّ فيما يجب الشكّ فيه، فليس

---

(١) إنّ الحكم بقتال بعض الصحابة لبعض في سبيل الله لا يخلو من نظر، فإنّ قتال طلحة والزبير للإمام أمير المؤمنين عليه السلام إنّما هو من أجل الأطماع السياسيّة التي لا تمتّ إلى الواقع الديني بصلة.

علينا بأس من أن نسلك الطريق التي سلكوها ، وأن نضيف إلى القواعد التي عرفوها ما عرف المحدّثون من القواعد الجديدة التي يستعينون بها على تحقيق النصوص وتحليلها وفقهها [١] .

فالحكم بعدالة جميع الصحابة أمر لا تقرّه الأحداث التي صدرت من بعضهم ، فالفتنة الكبرى التي مني بها المسلمون على امتداد التاريخ كانت من نتائجهم ومن آثارهم ، فكيف يصحّ الحكم بعدالتهم أجمعين ... إنّ الذي تذهب إليه الشيعة من الحكم بعدالة بعضهم دون البعض يلتقي مع المنطق وليس فيه ما يدعو إلى انتقاص الشيعة وتكفيرهم ، وهذه بعض آرائهم .

رأي الشيعة في الصحابة

وأجمعت الشيعة على تعظيم الصحابة الذين أخلصوا لدينهم ، والإقرار لهم بالفضل لأنهم أبلوا البلاء الحسن في نصرة الإسلام ، والذبّ عن قيمه وأهدافه ، والذي يؤيّد ذلك ما يلي :

دعاء الإمام زين العابدين

ودعاء الإمام زين العابدين عليه السلام دليل قاطع على ولاء الشيعة للصحابة ، والإخلاص لهم بالمودّة قال عليه السلام :

اللّهُمَّ وَأَصْحابُ مُحَمَّدٍ خاصَّةً الَّذينَ أَحْسَنُوا الصَّحابَةَ ، وَالَّذينَ أَبْلَوُا الْبَلاءَ الْحَسَنَ في نَصْرِهِ ، وَكانَفُوهُ وَأَسْرَعُوا إِلىٰ وِفادَتِهِ ، وَسابَقُوا إِلىٰ دَعْوَتِهِ ، وَاسْتَجابُوا لَهُ حَيْثُ أَسْمَعَهُمْ حُجَّةَ رسالاتِهِ ، وَفارَقُوا الْأَزْواجَ وَالْأَوْلادَ في

---

(١) الفتنة الكبرى .

إِظْهارِ كَلِمَتِهِ، وَقاتَلُوا الآباء وَالأَبْناءَ في تَثْبيتِ نُبُوَّتِهِ، وَانْتَصَرُوا بِهِ، وَمَنْ كانُوا مُنْطَوِينَ عَلىٰ مَحَبَّتِهِ يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ في مَوَدَّتِهِ، وَالَّذينَ هَجَرَتْهُمُ الْعَشائِرُ إِذْ تَعَلَّقُوا بِعُرْوَتِهِ وَانْتَفَتْ مِنْهُمُ الْقَراباتُ إِذْ سَكَنُوا في ظِلِّ قَرابَتِهِ.

فَلا تَنْسَ لَهُمُ اللّٰهُمَّ ماتَرَكُوا لَكَ وَفيكَ، وَارْضِهِمْ مِنْ رِضْوانِكَ وَبِما حاشُوا الْخَلْقَ عَلَيْكَ وَكانُوا مَعَ رَسُولِكَ دُعاةً لَكَ إِلَيْكَ وَاشْكُرْهُمْ عَلىٰ هَجْرِهِمْ فيكَ دِيارَ قَوْمِهِمْ، وَخُرُوجِهِمْ مِنْ سَعَةِ الْمَعاشِ إِلىٰ ضيقِهِ، وَمَنْ كَثَّرْتَ في إِعْزازِ دينِكَ مِنْ مَظْلُومِهِمْ[1].

ويدعو إمام المتّقين بعد ذلك بأحرّ الدعاء إلى التابعين، ومن المؤكّد أنّ دعاءه عليه السلام غير شامل للمنافقين والمرتابين في دين الإسلام، وإنّما هو للصالحين والمتحرّجين في دينهم من الأخيار».

رأي السيّد علي خان

والسيّد علي خان من أعلام الشيعة، وله رأي أصيل في الصحابة، قال: «وحكم الصحابة عندنا في العدالة حكم غيرهم، ولا يتحتّم الحكم بالإيمان والعدالة بمجرّد الصحبة، ولا يحصل بها النجاة من عقاب النّار، وغضب الجبّار، إلّا أن يكون مع يقين الإيمان، وخلوص الجنان، فمن علمنا عدالته وإيمانه وحفظ وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته وأنّه مات على ذلك، كسلمان الفارسي وأبي ذرّ وعمّار، والیناه وتقرّبنا إلى الله بحبّه، ومن علمنا أنّه انقلب على عقبه، وأظهر العداوة لأهل البيت عاديناه وتبرّأنا منه، ونسكت عن المجهول حاله»[2].

---

(١) الصحيفة السجّادية.

(٢) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ١١.

وهذا الرأي وثيق للغاية ، فإنّ الحبّ لخيار الصحابة حبّ لله تعالى وتقرّب إليه ، وبغض المنافقين والمنحرفين إنّما هو بغض لمن حاد عن الطريق واتّبع هواه ، وفي ذلك تقرّب إلى الله تعالى الذي أمر بمعاداة المنافقين والمرتدّين .

رأي الإمام شرف الدين

أمّا الإمام شرف الدين فهو علم الشيعة ، وزعيم علمائهم المجاهدين ، وله رأيه الأصيل في الصحابة .

قال نضّر الله مثواه : « إنّ من وقف على رأينا في الصحابة علم أنّه من أوسط الآراء؛ إذ لم نفرّط فيه تفريط الغلاة الذين كفّروهم جميعاً ، ولا أفرطنا إفراط الجمهور الذين وثّقوهم جميعاً ، فإنّ الكاهلية ومن كان في الغلوّ على شاكلتهم ، قالوا بكفر الصحابة كافّة ، وقال أهل السنّة بعدالة كلّ فرد ممّن سمع النبيّ أو رآه من المسلمين مطلقاً ، واحتجّوا بحديث «كلّ من دبّ ودرج منهم أجمعين أكتعين » .

أمّا نحن فإنّ الصحبة بمجرّدها وإن كانت عندنا فضيلة جليلة ، لكنّها بما هي من حيث هي غير عاصمة ، فالصحابة كغيرهم من الرجال فيهم العدول وهم عظماؤنا وعلماؤنا ، فنحن نحتجّ بعدولهم ونتولّاهم في الدنيا والآخرة ، وفيهم البغاة ، وفيهم أهل الجرائم من المنافقين ، وفيهم مجهول الحال .

أمّا البغاة على الوصيّ وأخي النبيّ ﷺ وسائر أهل الجرائم كابن هند وابن النابغة وابن الزرقاء وابن عقبة وابن أرطاة وأمثالهم ، فلا كرامة لهم ولا وزن لحديثهم ، ومجهول الحال نتوقّف فيه حتّى نتبيّن أمره .

هذا رأينا في حملة الحديث من الصحابة ، والكتاب والسنّة بيّنا هذا الرأي كما هو مفصّل في مظانّه من أُصول الفقه ، لكنّ الجمهور بالغوا في تقديس كلّ من يسمّونه صحابياً حتّى خرجوا عن الاعتدال ، فاحتجّوا بالغثّ منهم والسمين ، واقتدوا بكلّ

مسلم سمع من النبيّ ﷺ أو رآه اقتداءً أعمى ، وأنكروا على من يخالفهم في هـذا الغلو ، وخرجوا من الإنكار على كلّ حدّ من الحدود ، وما أشدّ إنكارهم علينا حتّى يروننا نردّ حديث كثير من الصحابة مصرّحين بجرحهم أو بكونهم مجهولي الحـال عملاً بالواجب الشرعي في تمحيص الحقائق الدينيّة ، والبحث عن الصـحيح مـن الآثار النبويّة ، وبهذا ظنّوا بنا الظنون فاتّهمونا بما اتّهمونا رجماً بالغيب ، وتهافتاً على الجهل ، ولو ثابت إليهم أحلامهم ، ورجعوا إلى قواعد العلم لعلموا أنّ أصالة العدالة في الصحابة ممّا لا دليل عليها ، ولو تدبّروا القرآن الكريم لوجدوه مشـحوناً بـذكر المنافقين منهم ، وحسبك سورة التوبة والأحزاب »[1] .

فإنّ الشيعة لم تقف مع الصحابة موقفاً عاطفيّاً يتّسم بالولاء أو البـغض ، وإنّـما اتّبعت فيهم المناهج العلمية والأدلّة الشرعيّة التي لا يسع المكلّف أن يتجاهلها ، أو يغضّ النظر عنها ، فأكبرت وقدّست ومجّدت كلّ صحابي ساهم في بناء الإسلام ، واتّبع منهاج رسول الله ﷺ وبقي صامداً أمام الأمور الجسام التي ابتلي بها المسلمون وامتحنوا امتحاناً عسيراً ، وأبغضت واستهانت واحتقرت من كان متّهماً في دينه ممّن رأى رسول الله ﷺ كمروان بن الحكم ، وأبـيه ، والوليـد بـن عـقبة ، وذي الثـدية ، وحاطب بن أبي بلتعة ، وأمثالهم ممّن عادوا الله ورسوله ، وانحرفوا عن الإسلام .

وليس في هذا الرأي المعتدل مروق عن الدين كما يتّهم بذلك الشيعة خصومهم .

---

(١) المراجعات

الصحابة في رحاب القرآن والسنّة

أمّا القرآن الحكيم والسنّة المقدّسة فهما الحاكمان في جميع الأحداث والشؤون الإسلاميّة ، وليس للمسلم أن يشذّ عن هذين المنهجين أو يقنّن ويشرّع ما ينافيهما ، ولنرجع إلى مائدتهما في هذه المسألة الحسّاسة التي اختلف فيها المسلمون كأشدّ ما يكون الاختلاف هل أنّهما يحكمان بعدالة جميع الصحابة كما يذهب إلى ذلك جمهور أهل السنّة ، أو أنّهما يحكمان بعدالة بعضهم دون بعض ، وفيما يلي ذلك :

في ظلال القرآن

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم للنظر في شؤون الصحابة ، وجدنا طائفتين من آيات الله العظام ، وهما :

الطائفة الأُولى : أثنت على الصحابة ثناءً عاطراً ، وأشادت بفضلهم وجهادهم وجهودهم في نصرة الإسلام ، وأنّهم كانوا بأعلى درجات من الإيمان ، وهذه بعض الآيات :

١ ـ قال الله تعالى : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً** ﴾[١] .

نزلت الآية الكريمة في كوكبة من الأنصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ وعاهدوه أن

---

(١) الفتح ٤٨ : ١٨ .

يحموا رسالته، ويناصروه في إشاعة قيمه وأهدافه، فقد أثنى عليهم الله تعالى وشكر مساعيهم، وأثابهم فتحاً قريباً.

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِن أَثَرِ السُّجُودِ ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾[١].

وحكت هذه الآية الكريمة الثناء العاطر من الله تعالى على صحابة رسول الله ﷺ الذين كانوا أشدّاء على الكفّار ورحماء فيما بينهم، قد أخلصوا في عبادتهم لله تعالى فكان أثر السجود والعبادة بادية كالنور على وجوههم وقد وعدهم الله بالمغفرة والأجر العظيم.

٣ ـ قال الله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[٢].

حكت هذه الآية فضل السابقين إلى الإسلام من مهاجرين وأنصار، وتابعين لهم بإحسان، فقد نصروا النبيّ ﷺ وحموه من جبابرة قريش وطغاتها، وقد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعدّ لهم المقام الكريم في الفردوس الأعلى، فقد أعدّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين، وذلك هو الفوز العظيم.

---

(١) الفتح ٤٨: ٢٩.

(٢) التوبة ٩: ١٠٠.

هذه بعض الآيات الكريمة التي أشادت بفضل صحابة رسول الله ﷺ ولهم غنى في مدح الله عن مدح المادحين ووصف الواصفين، ويجب على كلّ مسلم أن يكنّ لهم في أعماق نفسه أعظم الودّ والإخلاص.

وليس في هذه الآيات الكريمة عموم أو إطلاق لجميع الصحابة، وإنّما المراد منها البعض كما توضّحه الآيات التالية.

الطائفة الثانية: وأعلنت بعض الآيات الذمّ لبعض أصحاب النبيّ ﷺ ممّن مردوا على النفاق، وابتغوا الفتنة، وأظهروا الإسلام بألسنتهم دون قلوبهم، فقد انطوت على الكفر والنفاق، وهذه بعض الآيات:

١ ـ قال تعالى: ﴿ **وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ** ﴾[1].

الآية صريحة بوجود المنافقين من الأعراب ومن أهل المدينة، لا يعرفهم الرسول الأعظم ﷺ، وإنّما يعرفهم الله تعالى، وقد أعدّ لهم العذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

٢ ـ قال تعالى: ﴿ **وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[2].

نزلت الآية الكريمة في عصابة من المنافقين كانوا يأتون النبيّ بأخبار فيصدّقهم

---

(١) التوبة ٩: ١٠١.

(٢) التوبة ٩: ٦١.

عليها ، ثمّ يأتونه بأخبار معاكسة فيصدّقهم ، فقالوا : إنّه أُذُن ، فأنكر الله تعالى عليهم ذلك ، وقال إنّه أُذُن خير ورحمة للمؤمنين ، وأعدّ تعالى العذاب الدائم لمن آذى نبيّه العظيم .

٣ ـ قال تعالى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَيَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾[1] .

نزلت هذه الآية في جماعة كان عددهم يزيد على ثمانين رجلاً وقد تخلّفوا في غزوة تبوك فحلفوا للنبيّ ﷺ في أعذار افتعلوها ، فقبل منهم ولكنّ الله تعالى لم يقبل منهم .

٤ ـ قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾[2] .

نزلت الآية الكريمة في الوليد بن عقبة الذي أطلقوا عليه عنوان الصحابة ، وقد سمّاه القرآن بالفاسق ، وهو الذي شرب الخمر في الكوفة حينما كان والياً من قِبل عثمان بن عفّان عميد الأُسرة الأمويّة ، وصلّى بالنّاس وهو سكران ، وقد جلده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

٥ ـ قال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً

---

(١) التوبة ٩: ٩٥ و ٩٦.

(٢) الحجرات ٤٩: ٦.

وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[١].

حكت الآية الكريمة عن الزلزال المدمّر الذي يعقب وفاة رسول الله ﷺ من الارتداد على الأعقاب، وخلع ثوب الإيمان، وهذه هي النازلة الكبرى التي حلّت بالمسلمين بعد وفاة منقذها العظيم.

٦ ـ ومن جملة سور القرآن الكريم سورة المنافقون، وقد تحدّثت عن أساليب المنافقين وكذبهم ودجلهم، ولا نعلم أنّهم لماذا قد اختفوا بعد وفاة النبيّ ﷺ، فهل كانت وفاته سبباً لرجوعهم إلى حظيرة الإيمان.

هذه بعض الآيات التي حكت وجود المنافقين والمرتدّين في زمن رسول الله ﷺ، فالحكم بعدالة جميع الصحابة يتنافى مع هذه الآيات، فلا بدّ من تقييد الآيات الأُولى الدالّة على رضاء الله عن الصحابة بما إذا كانوا مؤمنين، وماتوا على الإسلام والإيمان.

في رحاب السنّة

وأعلنت كوكبة من الأحاديث النبويّة ارتداد بعض الصحابة ومروقهم من الدين، وهذه بعضها:

١ ـ روى أبو حازم، قال: «سمعت سهل بن سعد يقول: سمعت النبيّ ﷺ يقول:

أَنا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَداً لِيَرِدَ عَلَيَّ أَقْوامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفوني ثُمَّ يُحالُ بَيْني وَبَيْنَهُم..

قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عيّاش وأنا أُحدّثهم هذا، فقال: هكذا سمعت سهلاً، فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد

(١) آل عمران ٣: ١٤٤.

فيه قال : **إنَّهُم مِنّي** ، فيقال : إنّك لا تدري ما بدّلوا بعدك ، فأقول : **سُحْقاً سُحْقاً لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدي**»[1].

٢ ـ أخرج الترمذي بسنده عن النبيّ ﷺ أنّه قال :

«وَيُؤْخَذُ مِنْ أَصْحابي بِرِجالٍ ذاتَ الْيَمينِ وَذاتَ الشِّمالِ ، فَأَقُولُ : يا رَبِّ ، أَصْحابي ، فَيُقالُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي ما أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَزالوا مُرْتَدِّينَ عَلىٰ أَعْقابِهِمْ مُنْذُ فارَقْتَهُمْ ، فَأَقولُ كما قالَ الْعَبْدُ الصّالِحُ : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ ﴾[2]»[3].

٣ ـ روت السيّدة أمّ سلمة أنّ النبيّ ﷺ قال :

«أَيُّها النّاسُ ، إِنّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ فَإِيّايَ ، لا يَأْتينَ أَحَدُكُمْ فَيُذَبُّ عَنّي كَما يُذَبُّ الْبَعيرُ الضّالُّ ، فَأَقُولُ : فيمَ هذا ؟ فَيُقالُ : إِنَّكَ لا تَدْري ما أَحْدَثوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ : سُحْقاً»[4].

٤ ـ روت أسماء بنت أبي بكر أنّ رسول الله ﷺ قال :

«إِنّي عَلَى الْحَوْضِ حَتّىٰ أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُهُ عَلَيَّ مِنْكُمْ ، وَسَيُؤْخَذُ أُناسٌ دُوني ، فَأَقُولُ : يا رَبِّ ، مِنّي وَمِنْ أُمَّتي ، فَيُقالُ : أَما شَعَرْتَ ما عَمِلوا بَعْدَكَ ، وَاللهِ ما بَرِحوا بَعْدَكَ يَرْجِعونَ عَلىٰ أَعْقابِهِم»[5].

---

(١) صحيح الترمذي : ٦٨/٢.

(٢) المائدة ٥ : ١١٨.

(٣) صحيح مسلم : ٩٦/٧. صحيح البخاري : ٥٨/٩. مسند أحمد بن حنبل : ٢٣٣/٥.

(٤) صحيح مسلم : ٦٧/٧.

(٥) صحيح البخاري : ١٥١/٨. كنز العمّال : ٢٤١٦/١١. صحيح مسلم : ٦٦/٧.

٥ ـ روت عائشة، قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو بين ظهراني الصحابة:

إنّي عَلَى الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، فَوَاللهِ! لَيُقْتَطَعَنَّ دوني رِجالٌ، فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ مِنّي وَمِنْ اُمّتي، فَيَقولُ: إِنَّكَ ما تَدْري ما عَمِلوا بَعْدَكَ، ما زالوا يَرْجِعونَ عَلىٰ أَعْقابِهِم»[١].

٦ ـ روى طلحة بن عبيدالله وابن عبّاس وجابر بن عبدالله أنّ النبيّ ﷺ صلّى على قتلى اُحد، وقال: **أَنا عَلىٰ هؤُلاءِ شَهيدٌ**.

فقال أبو بكر: يا رسول الله، أليسوا إخواننا أسلموا كما أسلمنا، وجاهدوا كما جاهدنا؟

قال: **بَلىٰ، وَلكِنَّ هؤُلاءِ لَمْ يَأْكُلوا مِنْ اُجورِهِمْ شَيْئاً، ولا أَدْري ما تُحْدِثونَ بَعْدي**.

فبكى أبو بكر، وقال: إنّا لكائنون بعدك»[٢].

٧ ـ روت السيّدة اُمّ سلمة أنّ النبيّ ﷺ قال:

«مِنْ أَصحابي مَنْ لا أَراهُ وَلا يَراني بَعْدَ أَنْ أَموتَ أَبَداً»[٣].

وكثير من أمثال هذه الأحاديث دونت في الصحاح والسنن، وهي تدلّ على وجود المنافقين والضالّين في صحابة الرسول ﷺ، وليس لنا أن نحكم حكماً عامّاً بعدالة جميع الصحابة، فإنّ هذا الحكم ليس له أي سند من علم.

---

(١) صحيح مسلم: ١٦/٧. كنز العمّال: ٢٤١٦/١١.

(٢) دراسات في التاريخ الإسلامي: ٢٦٠/٢.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ٢٩٨/٦.

منافقون ومرتدّون

والشيء المحقّق أنّ طائفة من الصحابة لم يكن لهم أي رصيد من التقوى والإيمان ، ونشير إلى بعضهم :

١ ـ خذام وجماعته

وذكر المؤرّخون أنّ خذام بن خالد ومعتب بن قشير وأبو حبيبة بن أبي الأزعر وجماعتهم كانوا من رؤوس المنافقين ، وقد بنوا مسجداً يتظاهرون فيه بإقامة الصلاة في أوقات يزعمون أنّها تمنعهم من الوصول إلى النبيّ ﷺ ، وقد فضح الله أسرارهم ، وكذّب دعواهم ، فأنزل فيهم الآية الكريمة :

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[١].

لقد كشفت الآية زيف ما يقولون.

٢ ـ ذو الثدية

وذو الثدية رأى النبيّ ﷺ ، فهو عند الجماعة من الصحابة ، وكان من عناصر

---

(١) التوبة ٩: ١٠٧.

الضلال، أمر النبيّ ﷺ بقتله، فانبرى إليه أبو بكر فرآه يصلّي فامتنع عنه، وسارع عمر كذلك فلم يفعل، فبادر إليه الإمام ليقتله فلم يدركه[١].

وذو الثدية من زعماء الخوارج الذين ناجزوا الإمام، فقتله، فكيف نبني على عدالته بعد ما تبيّن خبثه.

٣ ـ الحكم بن أبي العاص

من رؤوس المنافقين، ومن ألدّ أعداء رسول الله ﷺ، ومن أحقدهم عليه.

كان يمرّ خلف النبيّ ﷺ فيغمز ويخلع بأنفه وفمه مستهزءً به وساخراً منه، وقد رآه النبيّ ﷺ يفعل ذلك.

فقال: «**كَذلِكَ فَلْتَكُنْ**»، فكان مختلجاً يرتعش حتّى هلك، وكان يثبّط النّاس عن الدخول في دين الإسلام، وقد أراد حويطب أن يسلم فمنعه الحكم وقال له: «تضيّع شرفك، وتدع دين آبائك لدين محدث، وتصير تابعاً»[٢]، وقد استأذن الحكم على رسول الله ﷺ فقال: ائذنوا له لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه إلّا المؤمنين وقليل ما هم، ذوو مكر وخديعة، يعطون الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق[٣] نفاه النبيّ ﷺ إلى الطائف، ولم يسمح له بالدخول إلى عاصمته ﷺ[٤]، وبقي منفياً طيلة خلافة أبي بكر وعمر، فلمّا ولي عثمان جلبه إلى يثرب، ومنحه الأموال الطائلة.

وهذا الخبيث الدنس معدود من الصحابة عند الجمهور.

---

(١) الإصابة: ١/٤٢٩.

(٢) أنساب الأشراف: ٥/٢٧.

(٣) تاريخ ابن كثير: ٨/٧٠.

(٤) السيرة الحلبيّة: ١/٣٣٧.

٤ ـ قزمان بن الحرث

شهد أُحداً، وقاتل مع النبيّ ﷺ قتال الأبطال، فقال النـبيّ ﷺ: «**إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النّار**»، وقد أصابته في معركة أُحد جراحات كثيرة، فقال له المسلمون: هنيئاً لك بالجنّة، فسخر منهم وقال: جنّة من حرمل والله ما قـاتلنا إلّا عـلى الأحسـاب[1]، فهل يصحّ أن يعدّ هذا من الصحابة.

٥ ـ أبو سفيان

من ألدّ أعداء رسول الله ﷺ، ومن أخبث الحاقدين عليه، وكان زعيم قريش، وعميد الأُسرة الأمويّة، حاول جاهداً بكلّ إمكانيّاته وطاقاته أن يلفّ لواء الإسلام، ويطفأ نور الله، فجيّش الجيوش، وقاد الكتائب تلو الكتائب من معرة إلى أُخـرى، ولكنّ الله ردّ كيده ودحر جيوشه، ونصر رسول الله وأعزّ جنده، فانتصر الإسـلام، وخفقت راياته على مكّة التي هي معقل القبائل القرشيّه المعادية لله، والتي جرّعت الرسول الغصص والآلام، ولولا فيض من رحمات النبيّ ﷺ لسبي نساءهم، وقتل رجالهم، ومحا وجودهم، إلّا أنّه عفا عنهم، وقـالوا: «**اذْهَـبوا فَـأَنْتُمُ الطُّـلَقاءُ**»، وأصدر عفواً عن أبي سفيان، فأقرّ بلسـانه بكلمة التوحيد لا بقلبه، فقد كانت نفسه مترعة بروح الجاهلية، وهو الذي ركل قبر حمزة سيّد الشهداء برجله، وصاح على القبر: إنّ هذا الأمر الذي كنّا نقاتل عليه أصبح بـأيدي صـبياننا. فكـيف يـعدّ هـذا الجاهلي صحابيّاً.

٦ ـ معاوية بن أبي سفيان

صاحب الأحداث والموبقات في الإسلام، وهو الذي حارب أمير المؤمنين عليه السلام،

---

(١) أنساب الأشراف: ٣/٣٥.

وقتل خيار الصحابة كحجر بن عدي وجماعته المؤمنين ، وهو الذي قتل الصحابي عمرو بن الحمق الخزاعي ، ودسّ السمّ إلى ريحانة رسول الله ﷺ وسبطه الإمام الحسن عليه السلام ، وهو الذي استخلف على المسلمين ابنه يزيد فاقترف كلّ جريمة ، فقتل ريحانة رسول الله الحسين عليه السلام ، وسبى حرائر النبوّة والرسالة ، وأباح مدينة الرسول ﷺ ، وهدم الكعبة إلى غير ذلك من موبقاته .

إنّ معاوية في جميع مراحل حياته لم يؤمن بالله تعالى طرفة عين ، وهو من أعمدة الجاهليّة وأركان الشرك ، فقد فرض سبّ العترة الطاهرة على المنابر والمآذن ، وأوعز إلى ولاته بقتل كلّ من يدين بالولاء للعترة الطاهرة ، فهل يعدّ هذا الذئب الجاهلي من الصحابة ؟!

٧ ـ أبو العادية

الجهني ، واسمه يسار ، وهو ممّن سمع النبيّ ﷺ وروى عنه هذا الحديث : « **إِنَّ دِماءَكُمْ وَأَمْوالَكُمْ حَرامٌ** » .

وأبو العادية هو قاتل الصحابي العظيم المساهم الأوّل في بناء الإسلام بعد الإمام عليّ عليه السلام الشهيد الخالد عمّار بن ياسر الذي قال له النبيّ ﷺ :

« **يا عَمّارُ ، تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْباغِيَةُ** » .

وكان هذا الدنس الجاهلي إذا أراد الدخول على معاوية يقول لحاجبه : قل له : « قاتل عمّار بالباب »[١] .

وفي الحديث : « **لَوْ أَنَّ عَمّاراً قَتَلَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ لَدَخلوا النّارَ** »[٢] ، فكيف يعدّ هذا الجاهلي صحابيّاً حينئذٍ ويحكم بوثاقته وعدالته .

---

(١) و (٢) أُسد الغابة : ٥/٢٦٧ .

٨ ـ قدامة بن مظعون

كان من السابقين الأوّلين إلى الإسلام، وهاجر الهجرتين، استعمله عمر بن الخطّاب والياً على البحرين فشرب الخمر، فأقام عليه عمر الحدّ[١]، فكيف بعدالته ؟

٩ ـ طلحة بن خويلد

كان صحابيّاً، ارتدّ عن الإسلام وادّعى النبوّة[٢]، فكيف يحكم بوثاقته ؟

ونكتفي بهذه النماذج اليسيرة من الصحابة الذين اقترفوا ما حرّم الله، وابتعدوا عن الطريق القويم، فكيف يحكم بعدالة جميع الصحابة، وتضفى عليهم النعوت الحسنة والألقاب الكريمة، ويعدّون في أعلى مراتب الإيمان.

وعلى أي حال، فما تبنّته الشيعة من الحكم بعدالة بعض الصحابة يتّفق مع القرآن والسنّة، ولا مجال لنقده.

نماذج من الروايات الموضوعة

وكان من أعظم ما نكب به الإسلام من فتن وخطوب هي الأحاديث الموضوعة، ونسبتها إلى الرسول الأعظم ﷺ في فضل الصحابة، وجعلهم بمنزلة أهل البيت عليهم السلام؛ وذلك للتقليل من أهمّيتهم، وقد عهد بوضعها معاوية بن هند، فقد شكّل لجنة لوضع الحديث، وكان من أعضائها كعب الأحبار وسمرة بن جندب وعمرو بن العاص وغيرهم، ومن المؤسف أنّها خفيت على مدوّني الصحاح والسنن فدوّنوها وصارت جزءً من العقيدة الإسلاميّة، وآمن بها الجمهور وهم لا يعلمون أنّها

(١) تاريخ بغداد: ٤/٥.

(٢) الإصابة: ٢/٢٣٤.

موضوعة ولا واقع لها ، ونلمح إلى بعضها :

١ ـ عن أنس مرفوعاً عن النبيّ ﷺ أنه قال : « لا أفتقد أحداً من أصحابي غير معاوية بن أبي سفيان ، لا أراه ثمانين عاماً ـ أو سبعين عاماً ـ فإذا كان بعد ثمانين عاماً ـ أو سبعين عاماً ـ يُقبل إليّ على ناقة من المسك الأذفر ، حشوها من رحمة الله ، قوائمها من الزبرجد ، فأقول : معاوية ، فيقول : لبّيك يا محمّد ، فأقول : أين كنت حينئذٍ من ثمانين عاماً ؟ فيقول : كنت في روضة تحت عرش ربّي يناجيني ويحيّيني وأحيّيه ، ويقول : هذا عوض ممّا كنت تُشتم في دار الدنيا ».

وهذا الحديث من موضوعات عبدالله بن حفص الوكيل ، وعلّق عليه ابن عدي بقوله : « موضوع لا أشكّ فيه ، وأنّه واضعه ».

وقال الخطيب : « باطل سنداً ومتناً ».

وقال ابن عساكر : « هذا حديث منكر »[١].

أقول : لماذا يفتقد النبيّ ﷺ معاوية ، وهو الذي حارب وصيّه وباب مدينة علمه ، وسمّ ريحانته الإمام الحسن عليه السلام ، وقتل خيار الصحابة ، ولماذا ربّ العرش يناجيه ثمانين عاماً ؟ وهو أقذر إنسان ، ومنحطّ القيم فتك بالإسلام والمسلمين ، فعلام يناجيه الله ويحيّيه .

٢ ـ عن أنس مرفوعاً : « أنّ النبيّ ﷺ قال : لمّا أُسري بي دخلت الجنّة فإذا أنا بتفاحة تعلّقت بيد حوراء ، قالت : أنا للمقتول ظلماً عثمان ».

أخرجه الذهبي عن طريق عبّاس بن محمّد العدوي الوضّاع ، وقال : « خبر موضوع »[٢].

---

(١) الغدير : ٥/٢٩٩.

(٢) ميزان الاعتدال : ٢/٢٠.

٣ ـ روى عبدالله بن عمر مرفوعاً عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «لمّا ولد أبو بكر اطّلع الله على جنّة عدن فقال: وعزّتي وجلالي، لا أُدخلك إلّا من أحبّ، هذا المولود».

علّق الخطيب البغدادي على هذا الحديث بقوله: «إنّه باطل، وفي إسناده غير واحد من المجهولين»(١).

٤ ـ روى أبو هريرة مرفوعاً عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «إنّ في السماء الدنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون الله لمن أحبّ أبا بكر وعمر، وفي السماء الثانية ثمانون ألف ملك يلعنون من أبغض أبا بكر وعمر».

علّق عليه الخطيب البغدادي بقوله: «هذا الحديث وضعه العدوي على كامل بن طلحة»(٢).

٥ ـ روى البراء مرفوعاً عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «إنّ الله اتّخذ لأبي بكر في أعلى علّيّين قبّة من ياقوتة بيضاء معلّقة بالقدرة تخترقها رياح الرحمة، للقبّة أربعة آلاف باب، كلّما اشتاق أبو بكر إلى الله انفتح منها باب ينظر إلى الله عزّ وجلّ..».

هذا الحديث من موضوعات محمّد بن عبدالله الأشناني عدّه الذهبي من طامات الأشناني(٣).

٦ ـ روى أبو هريرة عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «لمّا عرج بي إلى السماء فما مررت بسماء إلّا وجدت فيها مكتوباً محمّد رسول الله، وأبو بكر الصدّيق من خلفي..».

قال ابن حجر: «هذا خبر باطل، نقله عن ابن حبّان»(٤).

---

(١) تاريخ بغداد: ٣٠٩/٣.

(٢) الغدير: ٣٠٠/٥.

(٣) الغدير: ٣٠١/٥.

(٤) تهذيب التهذيب: ١٣٨/٥.

٧ ـ عن أنس، قال: «آخى النبيّ ﷺ بين كتفي أبي بكر وعمر، فقال لهما: أنتما وزيراي في الدنيا والآخرة، ما مثلي ومثلكما في الجنّة إلّا كمثل طائر يطير في الجنّة، فأنا جؤجؤ الطائر وأنتما جناحاه، وأنا وأنتما نسرح في الجنّة، وأنا وأنتما نزور ربّ العالمين، وأنا وأنتما نقعد في مجالس الجنّة...» فقال ـ أي أنس ـ: وفي الجنّة مجالس حينئذٍ؟ قال: «نعم مجالس ولهو»، فقال: أي شيء لهو الجنّة؟ قال: «آجام من قصب من كبريت أحمر، رحلها الدرّ الرطب، فيخرج ريح من تحت ساق العرش يقال لها الطيبة فتثور تلك الآجام فيخرج صوت ينسي أهل الجنّة أيّام الدنيا وما كان فيها..».

هذا الحديث من موضوعات زكريا بن دريد الكندي، أخرجه ابن حبّان وقال: «موضوع آفته زكريا»[1].

٨ ـ عن أنس عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «الأمناء سبعة: اللوح، والقلم، وإسرافيل، وميكائيل، وجبرئيل، ومحمّد، ومعاوية»[2].

ذكره ابن كثير وجعله من الأحاديث المنكرة[3].

قال الشيخ الأميني: «تعساً لأمّة تروي مثل هذه المخازي ولم تند منها جبهتها حياءاً. أليس عاراً على الإسلام وأهله أن يجعل معاوية الخؤون لدة نبيّه وأمناء الله المعصومين في الأمانة؟»[4].

٩ ـ روى زيد بن ثابت أنّ رسول الله ﷺ، قال: «أوّل من يُعطى كتابه بيمينه من هذه الأمّة عمر بن الخطّاب، وله شعاع كشعاع الشمس، قيل: فأين أبو بكر؟ قال:

---

(١) الغدير: ٣٠٢/٥.

(٢) ميزان الاعتدال: ٣٢١/١.

(٣) تاريخ ابن كثير: ١٢٠/٨.

(٤) الغدير: ٣٠٨/٥.

تزفّه الملائكة إلى الجنان».

عدّه السيوطي من الموضوعات[١].

١٠ ـ روي أنّ النبيّ ﷺ كان إذا اشتاق إلى الجنّة قبّل شيبة أبي بكر».

عدّه العجلوني من أشهر المشهورات من الموضوعات، ومن المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل[٢].

وذكر المحقّق الأمين مائة حديث من أمثال هذه الأحاديث من الموضوعات[٣].

ومن الجدير بالذكر أنّ الإمام محمّد الباقر عليه السلام أشار في حديث له مع كوكبة من العلماء إلى أنّ معظم الأحاديث التي وردت في فضل الصحابة من الموضوعات، وقد افتعلت أيّام حكومة معاوية للحطّ من شأن أهل البيت، وطلب منه أبان وهو من أعلام أصحابه أن يذكر بعض تلك الموضوعات، فذكر عليه السلام جملة كان منها:

أ ـ أنّ سيّدي كهول أهل الجنّة أبو بكر وعمر[٤].

ب ـ إنّ عمر محدّث، أي تحدّثه الملائكة.

جـ ـ إنّ السكينة تنطق على لسان عمر.

د ـ إنّ عمر يلقّنه المَلك.

هـ ـ إنّ الملائكة لتستحي من عثمان[٥].

واسترسل الإمام أبو جعفر في ذكر الأخبار الموضوعة في فضل الصحابة حتّى عدّ

---

(١) اللئالي: ١/١٥٦.

(٢) كشف الخفاء: ٢/٤١٩.

(٣) الغدير: ٥/٣١٧.

(٤) وضع الحديث لمعارضة الحديث المتواتر عن النبيّ ﷺ: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة».

(٥) لا نعلم وجهاً لاستحياء الملائكة من عثمان عميد الأُسرة الأمويّة.

منها أكثر من مائة ، وفي رواية أكثر من مائتين يحسبها النّاس أنّها حقّ وهي كذب وزور[١].

لقد افتعلت الأحاديث الكثيرة في فضل الصحابة أيّام الحكم الأموي والعبّاسي دعماً لحكمهم وتلقاها الجمهور بالقبول ، فقدّسوا جميع الصحابة ، وغضّوا النظر عمّا اقترفه بعضهم من الأعمال المجافية لروح الإسلام.

(١) حياة الإمام محمّد الباقر عليه‌السلام : ٢/١٨، نقله عن شرح النهج / ابن أبي الحديد.

الصحابة بين الحسن البصري وبين عالم زيدي

لعلّ من أروع ما كتب في هذا الموضوع أصالة وعمقاً واستناداً لأوثق الأدلّة من الكتاب والسنّة، هو ما أجاب به عالم كبير متضلّع في البحوث الإسلاميّة، ومن ألمع علماء الزيديّة، وقد بحث هذه المسألة من جميع جوانبها على ضوء الكتاب والسنّة، وقد تصدّى في كلامه للردّ على الحسن البصري الذي توقّف في مؤاخذة وانتقاص مثيري حرب الجمل وصفّين، ومن الخير أن نذكر رأي البصري وردّ الزيدي عليه:

رأي الحسن البصري

قال الحسن البصري حينما ذكرت عنده حرب الجمل وصفّين: «تلك دماء طهّر الله منها أسيافنا، فلا نلطّخ فيها ألسنتنا، ثمّ إنّ تلك الأحوال قد غابت عنّا، وبعُدت أخبارها على حقائقها، فلا يليق بنا أن نخوض فيها، ولو كان واحد من هؤلاء قد أخطأ لوجب أن يحفظ رسول الله ﷺ فيه، فمن المروءة أن يحفظ رسول الله ﷺ في عائشة زوجته، وفي الزبير ابن عمّته، وفي طلحة الذي وقاه بيده.

ثمّ ما الذي ألزمنا، وأوجب علينا أن نلعن أحداً من المسلمين، أو نبرأ منه، وأي ثواب في اللعنة والبراءة. إنّ الله تعالى لا يقول يوم القيامة للمكلّف لِمَ لَمْ تلعن؟ بل يقول له: لِمَ لعنت؟

ولو أنّ إنساناً عاش عمره كلّه لم يلعن إبليس لم يكن عاصياً ولا آثماً، ولو جعل الإنسان عوض اللعنة استغفر الله كان خيراً له، ثمّ كيف يجوز للعامّة أن تدخل نفسها

في أمور الخاصّة ؟ وأولئك قوم كانوا أمراء هذه الأمّة وقادتها ، ونحن اليوم في طبقة سافلة جدّاً عنهم ، فكيف يحسن بنا التعرّض لذكرهم ؟

أليس بقبيح من الرعيّة أن تخوض في دقائق أمور الملك وأحواله وشؤونه التي ترى بينه وبين أهله وبني عمّه ونسائه ومريديه ؟ وقد كان رسول الله ﷺ صهراً لمعاوية ، وأخته أمّ حبيبة تحته ، فالأدب أن تحفظ أمّ حبيبة ، وهي أمّ المؤمنين ، في أخيها ، وكيف يجوز أن يلعن من جعل بينه وبين رسول الله ﷺ مودّة .

أليس المفسّرون كلّهم قالوا : هذه الآية نزلت في أبي سفيان وهي قوله تعالى :

﴿ عَسَى اللهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِنْهُم مَوَدَّةً ﴾[1].

وكان ذلك مصاهرة رسول الله ﷺ أبا سفيان وتزوّجه ابنته .. على أنّ جميع ما تنقله الشيعة من الاختلاف بينهم والمشاجرة لم يثبت ، ولم يكن القوم إلّا كبني أمّ واحدة ، ولم يتكدّر باطن أحد منهم على صاحبه قطّ ، ولا وقع بينهم اختلاف ولا نزاع » ، انتهى كلام البصري .

ردّ العالم الزيدي

ولنستمع بدقّة وإمعان ردّ العالم الزيدي ، قال ما نصّه :

« لولا أنّ الله تعالى أوجب معاداة أعدائه ، كما أوجب موالاة أوليائه ، وضيّق على المسلمين تركها ، إذ دلّ العقل عليها ، وأوضح الخبر عنها .

يقول سبحانه : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[2].

---

(١) الممتحنة ٦٠ : ٧.

(٢) المجادلة ٥٨ : ٢٢.

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾[(١)].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾[(٢)].

ولإجماع المسلمين على أنّ الله تعالى فرض عداوة أعدائه، وولاية أوليائه، وأنّ البغض في الله واجب، والحبّ في الله واجب.. لما تعرّضنا لمعاداة أحد من النّاس في الدين، ولا البراءة منه، ولكانت عداوتنا للقوم تكلّفاً، ولو قلنا: إنّ الله عزّ وجلّ يعذرنا إذا قلنا: يا ربّ، غاب أمرهم عنّا فلم يكن لخوضنا في أمر غاب عنّا معنى لأعتمدنا على هذا العذر وواليناهم، ولكنّا نخاف أن يقول سبحانه لنا: إن كان أمرهم قد غاب عن أبصاركم فلم يغب عن قلوبكم وأسماعكم، قد أتتكم به الأخبار الصحيحة التي بمثلها ألزمتم أنفسكم الإقرار بالنبيّ ﷺ، وموالاة من صدّقه، ومعاداة من عصاه وجحده، وأمرتم بتدبّر القرآن، وما جاء به الرسول، فهلّا حذرتم من أن تكونوا من أهل هذه الآية القائلين غداً:

﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا ﴾[(٣)].

فأمّا لفظة اللعن فقد أمر الله بها وأوجبها، ألا ترى قوله تعالى:

﴿ أُولَـٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾[(٤)]، فهو إخبار معناه الأمر، كقوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾[(٥)].

---

(١) الممتحنة ٦٠: ١٣.

(٢) المائدة ٥: ٨١.

(٣) الأحزاب ٣٣: ٦٧.

(٤) البقرة ٢: ١٥٩.

(٥) البقرة ٢: ٢٢٨.

وقد لعن الله تعالى الغاصبين بقوله : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ ﴾[١].

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً ﴾[٢].

وقوله : ﴿ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ﴾[٣].

وقال الله لإبليس : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾[٤].

وقال : ﴿ إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً ﴾[٥].

فأمّا قول من يقول : أي ثواب في اللعن ؟ وأنّ الله تعالى لا يقول للمكلّف : لِمَ لَمْ تلعن ؟ بل قد يقول له : لِمَ لعنت ؟ وأنّه لو جعل مكان لعن الله فلاناً اللّهمّ اغفر لي لكان خيراً له ، ولو أنّ إنساناً عاش عمره كلّه ولم يلعن إبليس لم يؤاخذ بـذلك... فكلام جاهل لا يدري ما يقول : اللعن طاعة لله ، ويستحقّ عليها الثواب إذا فعلت على وجهها ، وهو أن يلعن مستحقّ اللعنة لله وفي الله ، لا في المعصية والهوى؛ لأنّ الشرع قد ورد بها في نفي الولد ، ونطق بها القرآن ، وهو أن يقول الزوج في الخامسة ﴿ أَنَّ لَعْنَتَ اللهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾[٦].

فلو لم يكن الله تعالى يريد أن يتلفّظ عباده بهذه اللفظة لما جعلها من معالم

---

(١) المائدة ٥ : ٧٨.

(٢) الأحزاب ٣٣ : ٥٧.

(٣) الأحزاب ٣٣ : ٦١.

(٤) سورة ص ٣٨ : ٧٨.

(٥) الأحزاب ٣٣ : ٦٤.

(٦) النور ٢٤ : ٧.

الشرع ، ولما كرّرها في كثير من كتابه العزيز » .

ودعم كلامه بكثير من الحجج القاطعة ، وأضاف بعد ذلك يقول :

« وقد كان كثير من الصحابة يلعن عثمان وهو خليفة ، منهم عائشة كانت تقول : اقتلوا نعثلاً[1] لعن الله نعثلاً ، ومنهم عبدالله بن مسعود ، وقد لعن معاوية عليّ بن أبي طالب ، وابنيه حسناً وحسيناً وهم أحياء يرزقون في العراق ، وهو يلعنهم في الشام على المنابر ، ويقنت عليهم في الصلوات ، وقد لعن أبو بكر وعمر سعد بن عبادة وهو حيّ ، وبرئا منه ، وأخرجاه من المدينة إلى الشام ، ولعن عمر خالد بن الوليد لمّا قتل مالك بن نويرة ، وما زال اللعن ماشياً في المسلمين إذا عرفوا من الإنسان معصية تقتضي اللعن والبراءة .

ولو كان حفظ شخص معتبراً من أجل أبيه لوجب أن يحفظ الصحابة في أولادهم فلا يلعنوا ، فيجب أن لا يلعن عمر بن سعد قاتل الحسين من أجل أبيه سعد ، ولا يلعن يزيد من أجل أبيه معاوية ، ويزيد هو صاحب واقعة الحرّة ، وقاتل الحسين ، وأن يحفظ عمر بن الخطّاب في عبيدالله ابنه قاتل الهرمزان ، والمحارب عليّاً في صفّين .

ولو كان الإمساك عن عداوة من عادى الله من أصحاب محمّد رسول الله من حفظ رسول الله في أصحابه ، ورعاية عهده وعقده لم نعاهدهم ولو ضربت رقابنا بالسيوف ، ولكنّ محبّة رسول الله ﷺ لأصحابه ليست كمحبّة الجهّال الذين يضع أحدهم حجّته لصاحبه مع المعصية ، وإنّما أوجب رسول الله محبّة أصحابه لطاعة الله ، فإذا عصوا الله ، وتركوا ما أوجب محبّتهم فليس عند رسول الله محاباة في ترك لزوم ما كان عليه في محبّتهم .

---

(١) تاريخ الطبري: ٤٥٩/٤. الكامل في التاريخ: ٢٠٦/٣. النهاية / ابن الأثير: ٨٠/٥. تذكرة الخواص: ٦٤ ـ ٦٦. الفتوح: ٢٤٩/٢ ـ ٢٥٥.

لقد كان رسول الله ﷺ يحبّ أن يعادي أعداء الله ولو كانوا عترته ، كما يحبّ أن يوالي أولياء الله ولو كانوا أبعد الخلق نسباً منه ، والشاهد على ذلك إجماع الأمّة على أنّ الله تعالى أوجب عداوة من ارتدّ بعد الإسلام ، وعداوة من نافق ، وإن كان من أصحاب رسول الله ، وإنّ رسول الله هو الذي أمر بذلك ودعا إليه ، فقد أوجب قطع يد السارق ، وضرب القاذف ، وجلد البكر إذا زنت ، وإن كان من المهاجرين والأنصار.

ألا ترى أنّه قال : **لَوْ سَرَقَتْ فاطِمَةُ لَقَطَعْتُ يَدَها** وهي ابنته الجارية مجرى نفسه ، لم يحابها في دين الله ، ولا راقبها في حدود الله ، وجلد أصحاب الإفك وفيهم مسطح بن أُثاثة ، وكان من أهل بدر ، فلو كان محلّ أصحاب رسول الله ﷺ أن لا يعادون إذا عصوا الله ولا يذكرون بالقبيح لأجل اسم الصحبة لكان كذلك صاحب موسى المسطور ثناءه في القرآن لمّا اتّبع هواه فانسلخ عمّا أُوتي من الآيات . قال سبحانه :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾[1].

ولكان ينبغي محلّ عبدة العجل من أصحاب موسى عليه السلام هذا المحل؛ لأنّ هؤلاء كلّهم قد صحبوا موسى رسولاً جليلاً من رسل الله تعالى ، ولو كانت الصحابة تعرف هذه المنزلة لالتزمت به ، مع أنّ الأمر على خلاف ذلك .

فهذا عليّ وعمّار وأبو الهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت وجميع من كان مع عليّ من المهاجرين والأنصار لم يروا ذلك ، فلم يتغافلوا عن طلحة والزبير حتّى فعلوا بهما وبمن معهما ما يفعل بالشراة في عصرنا ، وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وفي جانبهم لم يروا أن يمسكوا عن عليّ حتّى قصدوا له وحاربوه . وهذا معاوية

---

(١) الأعراف ٧: ١٧٥.

وعمرو لم يريا عليّاً بالعين التي يرى بها العامّي صديقه أو جاره ، ولم يـقصّرا دون ضرب وجهه بالسيف ، ولعنه ولعن أولاده ، وكلّ من كـان حـيّاً مـن أهـله ، وقـتل أصحابه ، وقد لعنهما هو أيضاً في الصلاة المفروضة ، ولعن معهما أبا الأعور السلمي وأبا موسى الأشعري ، وكلاهما من الصحابة .

وهذا سعد بن أبي وقّاص ومحمّد بن مسلمة وأُسامة بن زيد وسعد بن عمرو بن نفيل وعبدالله بن عمر ، وحسّان بن ثابت وأنس بن مالك لم يروا أن يقلّدوا عليّاً في حرب طلحة ، ولا طلحة في حرب عليّ ، وطلحة والزبير بإجماع المسلمين أفضل من هؤلاء المعدودين؛ لأنهم زعموا أنّهم قد خافوا أن يكون عليّ قد غلط وزلّ في حربهما ، وخافا أن يكونا قد زلّا وغلطا في حرب عليّ .

وهذا عثمان قد نفى أبا ذرّ إلى الربذة كما يفعل بأهل الخنا والريب .

وهذا عمّار وابن مسعود تلقّيا عثمان بما تلقّياه به لما ظهر لهما بزعمهما منه ، وما وعظاه لأجله ، ثمّ فعل عثمان ما تناهى إليكم ، ثمّ فعل القوم بعثمان ما قد علمتم وعلم النّاس كلّهم .

وهذا عمر يقول في قصّة الزبير بن العوّام لمّا استأذنه في الغزو : إنّي ممسك بباب هذا الشّعب أن يتفرّق أصحاب محمّد في النّاس فيضلّوهم .. ولا أنكر النّاس على عمر هذا القول ولا أنكروا على عثمان دوس بطن عمّار ، ولا كسر ضلع أبي مسعود ، ولا على عمّار وابن مسعود ما تلقّيا به عثمان كإنكار العامّة اليوم الخوض في حديث الصحابة ، ولا أعتقدت الصحابة في أنفسها مـا تـعتقده العـامّة فـيها ، اللّـهمّ إلّا أن يزعموا أنّهم أعرف بحقّ القوم منهم .

وهذا عليّ والعبّاس ما زالا على كلمة واحدة يكذّبان الرواية « نحن معاشر الأنبياء لا نورّث » ويقولان : إنّها مختلقة ، قالا : وكيف كان النبيّ ﷺ يعرّف هذا الحكم غيرنا ويكتمه عنّا ونحن الورثة ، ونحن أوْلى النّاس بأن يؤدّي هذا الحكم إلينا .

وهذا عمر بن الخطّاب يشهد لأهل الشورى أنّهم النفر الذين توفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ، ثمّ يأمرهم بضرب أعناقهم إن أخّروا فصل حال الإمامة بعد أن ثلبهم ، وقال في حقّهم ما لو سمعه اليوم من قائل لوضعت ثوبه في عنقه سحباً إلى السلطان ، ثمّ شهدت عليه بالرفض واستحللت دمه ، فإن كان الطعن على بعض الصحابة رفضاً فعمر بن الخطّاب أرفض النّاس ، وإمام الروافض كلّهم ، وقد شاع واشتهر قول عمر : « كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها ، فمن عاد لمثلها فاقتلوه » ، وهذا طعن في العقد وقدح في البيعة الأصليّة .

ثمّ ما نقل عنه في ذكر أبي بكر في خلواته قوله عن عبدالرحمن ابنه : « إنّه دويبة سوء ، وهو خير من أبيه » ، ثمّ عمر القائل في سعد بن عبادة رئيس الأنصار وسيّدها : « اقتلوا سعداً ، قتل الله سعداً ، اقتلوه فإنّه منافق » ، وقد شتم أبا هريرة وطعن في روايته ، وشتم خالد بن الوليد ، وطعن في دينه ، وحكم بفسقه ، وبوجوب قتله ، وخوّن عمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، ونسبهما إلى سرقة مال الفيء واقتطاعه ، وكان سريعاً إلى المسألة ، كثير الجبه والشتم والسبّ لكلّ أحد ، وقلّ أن يكون في الصحابة من سلم من معرّة لسانه ويده ، ولذلك أبغضوه ، وملّوا أيّامه مع كثرة الفتوح فيها ، فهلّا احترم عمر الصحابة كما تحترمهم العامّة ، أمّا أن يكون عمر مخطئاً ، وأمّا أن تكون العامّة على خطأ .

إنّ عرضنا الذي يجري بكلامنا أن نوضّح أنّ الصحابة قوم من النّاس لهم ما للنّاس ، وعليهم ما عليهم ، من أساء منهم ذممناه ، ومن أحسن منهم حمدناه ، وليس لهم على غيرهم من المسلمين كثير فضل إلّا بمشاهدة الرسول ﷺ ومعاصرته لا غير ، بل ربّما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم؛ لأنّهم شاهدوا الأعلام والمعجزات ، وقد قرب اعتقادهم من الضرورة ، ونحن لم نشاهد ذلك ، فكانت عقائدنا محض النظر والفكر ، وهي معرّضة للشكوك والشبه ، فمعاصينا أخفّ لأنّنا أعذر .

ثمّ نعود إلى ما كنّا فيه فنقول: هذه عائشة أمّ المؤمنين خرجت بقميص رسول الله ﷺ وهي تقول: هذا قميص رسول الله ﷺ لم يبل، وعثمان قد أبلى سنّته. اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً»، ثمّ لم ترض بذلك حتّى قالت: أشهد أنّ عثمان جيفة على الصراط غداً.. فمن النّاس من يقول: روت بذلك خبراً، ومن النّاس من يقول: موقوف عليها، وبدون هذا لو قاله إنسان اليوم يكون عند العامّة زنديقاً، ثمّ قد حصر عثمان، حصره أعيان الصحابة، فما كان أحد ينكر ذلك ولا يعظّمه، ولا يسعى في إزالته، وإنّما أنكر على المحاصرين رجل كما علمتم من وجوه أصحاب رسول الله ﷺ، ثمّ من أشرافهم، ثمّ أقرب إليه من أبي بكر وعمر، وهو مع ذلك إمام المسلمين، والمختار منهم للخلافة، وهو الإمام عليّ.

فإن كان القوم قد أصابوا فإذن ليست الصحابة في الموضع الذي وضعتهم به العامّة، وإن كان ما أصابوا فهذا هو الذي نقول: من أنّ الخطأ جائز على آحاد الصحابة كما يجوز على آحادنا، ولسنا نقدح في الإجماع ولسنا ندّعي إجماعاً حقيقيّاً على قتل عثمان، وإنّما نقول: إنّ كثيراً من المسلمين فعلوا ذلك، والخصم يسلّم أنّ ذلك كان خطأً ومعصية، فقد سلّم أنّ الصحابي يجوز أن يخطئ ويعصي وهو المطلوب.

وهذا المغيرة بن شعبة، وهو من الصحابة، ادّعي عليه الزنا، وشهد عليه قوم بذلك، فلم ينكر ذلك عمر، ولا قال: هذا محال وباطل؛ لأنّ هذا صحابي من صحابة رسول الله ﷺ ولا يجوز عليه الزنا، وهلّا أنكر عمر على الشهود، وقال لهم: ويحكم! هلّا تغافلتم عنه، فإنّ الله قد أوجب الإمساك عن مساوئ أصحاب رسول الله ﷺ وأوجب الستر عليهم، وهلّا تركتموه لرسول الله ﷺ في قوله: «دعو إليّ أصحابي» ما رأينا عمر إلّا قد انصت لسماع الدعوى، وإقامة الشهادة، وأقبل يقول: «يا مغيرة، ذهب ربعك، ذهب نصفك. يا مغيرة، ذهب ثلاثة أرباعك حتّى اضطرب الرابع فجلد الثلاثة، وهلّا قال المغيرة لعمر: «كيف تسمع قول هؤلاء، وليسوا من الصحابة، وأنا من الصحابة، ورسول الله ﷺ قد قال: «أصحابي كالنجوم

بأيّهم اقتديتم اهتديتم » ، ما رأيناه قال ذلك ، بل استسلم لحكم الله تعالى .

وهاهنا من هو أمثل من المغيرة وأفضل : قدامة بن مظعون لمّا شرب الخمر في أيّام عمر ، فأقام عليه الحدّ ، وهو رجل من علية الصحابة ومن أهل بدر المشهود لهم بالجنّة ، فلم يردّ عمر الشهادة ، ولا درأ عنه الحدّ لعلمه أنّه بدري ، ولا قـال : نـهى رسول الله عن ذكر مساوئ أصحابه .

وقد ضرب عمر أيضاً ابنه الحدّ فمات ، وكان ممّن عاصر رسول الله ، ولم تمنعه معاصرته له من إقامة الحدّ عليه .. وهذا عليّ عليه السلام قال :

« **ما حَدَّثَني أَحَدٌ بِحَديثٍ عَنْ رَسولِ اللهِ إِلَّا اسْتَحْلَفْتُهُ عَلَيْهِ** » .

أليس هذا اتّهاماً لهم بالكذب ، وما استثنى أحداً من المسلمين إلّا أبا بكر ـ على ما ورد في الخبر ـ وقد صرّح غير مرّة بتكذيب أبي هريرة .

وقال : « **لَا أَحَدٌ أَكْذَبُ مِنْ هذا الدُّوسِيِّ عَلىٰ رَسُولِ اللهِ** صلى الله عليه وآله » ، وقال أبو بكر في مرضه الذي توفّي فيه : « وددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة ولو كان أغلق على حرب » ، فندم والندم لا يكون إلّا عن ذنب ، ثمّ ينبغي للعاقل أن يفكّر في تأخّر عليّ عن بيعة أبي بكر ستّة أشهر إلى أن ماتت فاطمة سلام الله عليها ، فإن كان مصيباً فأبو بكر على الخطأ في انتصابه للخلافة ، وإن كان مصيباً فعليّ على الخطأ في تأخّره عن البيعة وحضور المسجد .

وقال أبو بكر في مرضه للصحابة : « فلمّا استخلفت عليكم خـيركم فـي نـفسي ـ يعني عمر ـ فكلّكم ورم أنفه ، يريد أن يكون الأمر له ، لما رأيتم الدنيا قد جاءت ، أما والله لتتّخذن ستائر الديباج ونضائد الحرير .. أليس هذا طعناً في الصحابة وتصريحاً بنسبتهم إلى الحسد لعمر لما نصّ عليه بالعهد ، وقال له طلحة لما ذكر عمر للأمر : « ماذا تقول لربّك إذا سألك عن عباده ، وقد ولّيت عليهم فظّاً غليظاً » ، فقال أبو بكر : « اجلسوني أبالله تخوّفني إذا سألني قلت ولّيت عليهم خـير أهـلي » ، ثـمّ شـتمه ،

فهل قول طلحة إلّا طعن في عمر ، وهل قول أبي بكر إلّا طعن في طلحة » .

وسيتعرّض العالم الزيدي إلى تأييد ما ذهب إليه بكثير من الأحداث التـاريخيّة التي عرضت لطعن بعض الصحابة لبعضهم ، الأمر الذي يدلّ بوضوح على ضحالة ما قيل من عدالة الصحابة أجمعين أكتعين ، وأضاف الزيدي قائلاً :

« وكيف يصحّ أن يقول رسول الله ﷺ : أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم ، ولا شبهة أنّ هذا يوجد أنّ أهل الشام وصفّين على هدى ، وأن يكون أهل العـراق أيضاً على هدى ، وأن يكون قاتل عمّار بن ياسر مهتدياً ، وقد صحّ الخبر الصحيح أنّه ﷺ قال له :

« **تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ** » .

وقال الله في القرآن :

﴿ **فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ** ﴾ [١] ، ومن يفارق أمر الله تعالى لا يكون مهتدياً ، وكان يجب أن يكون بسر بن أرطاة الذي ذبح ولدي عبيدالله بن العبّاس الصغيرين مهتدياً؛ لأنّ بسراً من الصحابة ، وكان يجب أن يكون عـمرو بـن العاص ومعاوية اللذين كانا يلعنان عليّاً في أدبار الصلاة وولديه مهتدين ، وقد شذّ بعض الصحابة فشرب الخمر وزنا كابن محجن الثقفي ، فمن اقتدى به يكون مهتدياً ، ولا شبهة أنّ هذا الحديث موضوع من موضوعات العصابة الأمـويّة التـي نـصرت الأمويّين بوضعها للأحاديث .

وذكر الزبيدي بعض الأحاديث الموضوعة ثمّ قال :

« فأمّا ما ورد في القرآن من قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [٢] .

---

(١) الحجرات : ٤٩ : ٩ .

(٢) الفتح ٤٨ : ١٨ .

وقوله سبحانه: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾[١].

وقول النبيّ ﷺ: «إنّ الله اطّلع على أهل بدر» إن كان الخبر صحيحاً، فإنّه مشروط بسلامة العاقبة، ولا يجوز أن يجبر الحكيم مكلّفاً غير معصوم بأن لا عقاب له فليفعل ما شاء.

ومن اتّصف وتأمّل أحوال الصحابة وجدهم مثلنا يجوز عليهم ما يجوز علينا، ولا فرق بيننا وبينهم إلّا الصحبة لا غير، فإنّ لها منزلة وشرفاً، ولكن لا إلى أحد يمتنع على كلّ من رأى رسول الله ﷺ وصحبه يوماً أو شهراً أو أكثر من ذلك أن لا يخطئ ويزلّ».

وأضاف الزيدي قائلاً:

«ومن الذي يجترئ على القول بأنّ أصحاب محمّد ﷺ لا تجوز البراءة من أحدهم وإن أساء وعصى بعد قول الله تعالى لنبيّه:

﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾[٢].

وبعد قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٣].

وبعد قوله عزّ وجلّ: ﴿ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾[٤].

هذا بعض ما ذكره العالم المحقّق الزيدي من أنّ الصحابة كبقيّة المسلمين يصيبون

---

(١) الفتح ٤٨: ٢٩.

(٢) الزمر ٣٩: ٦٥.

(٣) الأنعام ٦: ١٥.

(٤) سورة ص ٣٨: ٢٦.

ويخطئون ، وفيهم العدول والمجروحون ، وأنّ الحكم بعدالتهم أجمعين حكم لا تساعد عليه الأدلّة العلميّة والوثائق التاريخيّة ، وقد كانت بحوثه في منتهى الروعة والعمق.. وقد عرضت هذه البحوث على سماحة أُستاذنا المعظّم آية الله العظمى الشيخ محمّدطاهر الشيخ راضي نضّر الله مثواه ، فأكبرها وأثنى عليها ، وأطرى على ما ذكره الزيدي من الأدلّة.

وعلى أي حال ، فما ذهبت إليه الشيعة في الصحابة متّسم بالواقعيّة لا تحيّز ولا طائفيّة فيه ،كما أنّ عرض أمثال هذه البحوث ليس فيها أي حسّاسيّة ، وإنّما هي بحوث علميّة لا غرض منها إلّا إنارة الفكر والتدليل على أصالة ما تذهب إليه الشيعة في هذا الموضوع.

وبهذا ينتهي بنا المطاف ، آملاً أن يجد الباحث والقارئ المتعة وهو ما أتمنّاه.

المحتويات

أهل البيت عليهم السلام في رحاب القرآن الكريم
١٥ ـ ٦١

أهل البيت عليهم السلام في ظلال السنّة النبويّة
٦٣ ـ ١٠٩

سلامة القرآن الكريم من التحريف

١١١ ـ ١٤٤

براءة الشيعة من الغلو والغلاة

١٤٥ ـ ١٧٨

السجود على التربة الحسينيّة عند الشيعة

١٧٩ ـ ٢٠٥

أضواء على زيارة القبور

٢٠٧ ـ ٢٣٤

الشيعة والصحابة

٢٣٥ ـ ٢٩٢